العاقبة

أو

الموت والحشر والنشور

للفقير الزاهد المحدث

أبي محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي

حققه وعلق عليه

عبيد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري



العاقبة

أو

الموت والحشر والنشور

للفقير الزاهد المحدث

أبي محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي

حققه وعلق عليه

عبيد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري



لدار بطنطا

الصحابة للتراث

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب. ٤٧٧

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

الطبعة الأولى
سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

مقدمة المحقق :

« إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** [آل عمران – ٣ : ١٠٢] **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكـم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾** [النساء – ٤ : ١] **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيما ﴾** [الأحزاب – ٧٠/٣٣ – ٧١] أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، نعوذ برضا الله العظيم من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته والخذلان ونعوذ به تعالى من فتنة القول ومن فتنة العمل ، ونسأله – جل جلاله – أن يرزقنا الإخلاص والتجرّد لوجهه الكريم – وأن يكون – عزّ اسمه – من وراء قصدنا ، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه .

« وبعـــد »

فهذا كتاب جديد ، يكون بين يديك – منشورًا – لأول مَرّة – قيّضنا الله الكريم لإخراجه عن أصله المخطوط – المحفوظ بظاهرية دمشق – حفظها الله – بعد أن وفق الله – أخانا البحّاثة المتجرّد – خادم العلم وأهله – الأستاذ الفاضل صاحب

دار الصّحابة للنشر والتحقيق والتوزيع حفظها الله الحافظ – للحصول على نسخة مصورة بالفوتوغراف – منه وهذا – ولا مرية – فضل آخر جديد – يضاف إلى فضله القديم الكثير فى التنقيب عن دفائن الدّرر ومطمورات الجوهر واستخراجها من مدافن الهملة لتقريبها للناس والنفع بها ؛ نفع الله تعالى به .

وأجدنى مدفوعًا – بشدة – إلى تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لهذا الرّجل النَّبيل ، الذى قَلَّ – فى علمى – أن تجد فى مثل نُبْله أحدًا فى أيامنا هذه ؛ « وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » .

وأثبت شكرى وتقديرى وعرفانى – بخط يدى – لأياديه البيضاء الكثيرة ، على أهل العلم – عامّة – وعلىّ بخاصّة – وإنى إذ أشكر له جميل صنعه ، فإنى لا أفعل ذلك من باب أن « القلوب جبلت على حُبِّ من أحسن إليها » فَحَسْب ولكنى – والله – لا أعدو تقرير فضله وما له من معروفٍ طوّق به عنقى – ما أظن أن تذهب به الأيام . و « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » (!) فشكر الله له ، وأجزل مثوبته وجزاه أجره بأحسن ما كان يعمل .

والله – فى عليائه – يشهد – وكفى بالله شهيدا – أنى لا أقول ذلك من حيث لا أدرى (!) فإنى قد تعلمت أن لا أقول إلا بما أعلم ، ولا أشهد إلا بما أستيقن ، وإنى لأعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والخير كله من عنده ؛ وإن لى من دينى ما يمنعنى – إن شاء الله – من أن أتزلّف أحدًا ، أَوْ أن أداهن أحدًا ؛ وإنما – فقط – أقدّر ما للرّجل من فضل ، فإنما يعرف الفضل من الناس أهلِ الفضل ؛ وإلى الله المصير وجَزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه – أخانا أبا إسحٰق الحوينى الأثرى – الذى كان سببًا فى تعارف أجسادنا بعد أن تعارفت أرواحُنا فى أزل الله القديم فالله الكريم أسأل أن يجمعنا فى « دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نَصَب ولا يمسّنا فيها لغوب » كما جمعنا على محبته فى دار الفناء بفضله وعظيم مَنِّه إنه سبحانه أكرم مسئول وأبرّ مأمول .... آمين .

* * *

وأما بخصوص التمهيد للكتاب والتعريف بموضوعه وما يحتويه ، فهذا غير خافٍ حتى أبيّنه ؛ وسوف لن أسهب طويلا فى الكلام على ذلك ، فعمّا قليل

ينجلى ؛ وإنما بدَا لى أن أبيّن بعض أشياءَ لحظتُها من خلال عملى ، أحببت أن أوردها على القارىء الكريم قبل الشروع فى بيان منهج العمل ؛ إن كان لى من عمل يستأهل أن يُعمل له منهج أصلا (!) فقد :

(١) لاحظت – وهذه عندى – أخطر ما يُلاحَظ بالنسبة لعمل الباحث أن المصنف رحمه الله قد يستشهد لكلامه ويستدل له بحديث قد يكون ضعيفًا – ضعفًا لا يكاد يقوم معه – وقد يكون فى الباب غيره مما هو أقوى منه وأصح (!) والمفترض فى المصنف – رحمه الله – وهو الفقيه الخبير بالعلل – كما وصفه الناس – أن يكون عالمًا بذلك عارفاً به فيُنَحّيه عن كتابه تنقيةً له من شائبات الكدر ، ودفعًا لتعقب المتعقب (!) ولكن لا بأس (!) فما أعلمُ سَلَمَ من ذلك أحد – إلا ما شاء الله (!) ودونك الحفاظ الكبار ؛ كانوا يصنعون ذلك فى تواليفهم ؛ لا سيّما فى الفضائل والترغيب والترهيب والرّقاق والزهد وما إليها ، وما كانوا يتخيرّون أو يتحرّوْن الصحيح ويشترطونه دون غيره – فى مثل هذه المُصنفات (!) قال الحاكم – رحمه الله –: سمعت أبا زكريّا العنبرى يقول : إذا ورد الخبر لم يُحرّم حَلالاً ، ولم يحلّ حرامًا ولم يوجب حكما ، وكان فى ترغيبٍ أو ترهيبٍ أُغْمِضَ عنه وتُسُوهِلَ فى رواته » أ.هـ وأخرج البيهقى فى « المدخل » عن ابن مهدى – رحمهما الله –: إذا روينا عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى الحلال والحرام والأحكام شَدَّدْنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرّجال ؛ وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب سهلنا فى الأسانيد وتسامحنا فى الرّجال » ا.هـ

وللإمام أحمد – رحمه الله تعالى – كلام له هذا المعنى والله تعالى أعلم فحاصله : أنهم كانوا يتساهلون فى مواطن التساهل ويَتَشدَّدُون فى مواطن التَّشَدُّد حسب ما يقتضيه الحال ، راجع كلامهم فى كتب المصطلح يشفيك ، وقد أبى الله تعالى العصمة إلا لكتابه .

٢ – – لاحظت – كما سيلاحظ القارىء الكريم – أن المصنف – رحمه الله – كثير النقل عن كتاب « إحياء علوم الدين » – رحم الله مصنفه أبا حامد الإمام الغزالى – حتى إنه لينقل فقرات بكاملها وَبِوَضْعِهَا فى « الإحياء » كما عاينت

بنفسى (!) وليس فى ذلك ما يُعاب (!) فما زال الناس ينقل بعضهم عن بعض ، ويقتبس بعضهم من بعض – سيّما وأن المقاطع التى اقتبسها ، إنما هى فى الرّقائق والوعظيات التى اشتهر بها الإحياء – كما يعرفه من له إلمام به .
وإنما الذى يُعاب – وهذا على عمومه – فهو النقل دون تمحيص (!) والتعويل فى الاستشهاد والاستدلال على تلكم الإسرائيليات التى لا يُحْتَجّ بها فى شرعنا ، والتى كان يوردها أبو حامد رحمه الله مُعَلَّقةً تعليقًا تنقطع دون وصله الرّقاب (!) والتى يَعْسُر – إن لم يَسْتَحِلْ – أن تَرِدَ أخبارها – حتى فى غير كتاب أبى حامد – مسندةً موصولةً ، فضلا عن وجود نظائرها وأشباهها بوفرة فى قرآننا وفى سنّة نبيّنا صَلّى الله تعالى عليه وآله وسلم – بما يغنى عن اللجوء لغيرها (؟!)

٣ – لحظت جنوح المصنف – رحمه الله – إلى الفصل فى قضية فقهية – ما – إلى ما قد يراه البعض مخالفا لما عليه الجمهور سيّما فى الخلافيات الفقهية – كأن يحمل أمراً تكليفيا على الإباحة – [مثال : (٣٤٩) قد يراه البعض محمولا على التحريم مثلا كما ستراهُ فى موضعه إن شاء الله تَعالى – ولا غرابة (!) فالرجل مجتهد وله رؤيته ، وهذا وإن كان قليلا – إلا أننا نشير إليه وننبه عليه لأنه صدر عن رجل اشتهر بتصنيفه فى الأحكام ، وهو إمامُ عامَّة رحمه الله تعالى وغفر لنا وله .

٤ – لاحظت أن المصنف دائم النقل – تَقْريبًا – عن صحيح الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج وتقديمه على صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى – رحمهما الله – وهذا بخلاف الأولى – كما يعرف ذلك من له أدنى مُسْكَة من هذا العلم الشريف (!)

وهذه – إن وجدنا لها وجها – وهو شيوع صحيح مسلم واشتهاره عند المغاربة أكثر من صحيح البخارى ، فإن الذى يلفت النظر – أن المصنف قد يسوق حديثا هو فى الصحيحين – أو أحدهما – ويعزوه لغيرهما – سواء من الكتب المشهودة أو الأجزاء المنثورة فهذا أيضا بخلاف الأولى ؛ فالعزو إلى الصّحيحين أو أحدهما – فضلا عن تعزيز هذا العزو بجلالة الكتابين – مُقدّم على غيرهما (!) ولم أستطع توجيه ذلك من المصنف سوى أنه كان – رحمه

الله – يكتب من حفظه ، فلما أن يستحضر الرّواية ؛ ولا يكون فى نفس الوقت مستقرّا عنده – بِقَطْعٍ – أنها فى الصَّحيحين أو أحدهما فإنه كان يَتَهَيَّب من العَزو إليهما ، فيعزوها لِمَن يكون متيقنا من أنه أخرجها فى كتابه أو أنه يبعد عدم وجودها فيه – سيّما الكتب المعروفة بالاتساع أو كتب الفوائد أو نحوها وأرى منه – ذلك – عين التعقل وورود موارد السلامة فتأمل (!) فإن العزو إلى غير الصحيحين مع وجود الحديث فيهما أسلم وأنجى من العزو إليهما مع العكس (!) يعضد هذا أن الكتاب عارٍ عن الأسانيد التى هى إحدى القرائن التى بها يُعرف هل أخرجا هذا الخبر أم لا (؟!) هذا ما ظهر لى فى هذا الخصوص ، وأرجو أنى به أصبت الصّواب ، وإلا فأستغفر الله العظيم وأتوب إليه .

٥ -- لاحظت – وأزعجنى – بل وساءَنى هذا كثيرا ، ولم أدْرِ برأس من أعصب جنايته – إيراد الآيات القرآنية الكريمة مسوقة مساقًا واحدًا وفى سلكٍ واحدٍ دُونَما أيّة فواصل أو حدود تُنَبِّه على الانتقال من سُورَةٍ إلى أخرى (!) هذا فضلاً عن بعض الأخطاء (!) مختلفة الأنواع فيها (!) والخطر إنما يكمن فى أن الآيات تكون كثيرة ، من سور كثيرة فى موضع واحدٍ (!) ومع عدم وجود تلكم التَّنْبِيهَات بالفواصل أو الحدود بينها ، فإنه لا يُؤْمَن على غير الخبير بالقرآن أو غير الحافظ أو غير العارف بِمُتَشَابِهَاتِ القرآن – من الوقوع فى اللبْس أو الخطأ (!) فإن أقلّ ما يُتصور حدوثه هو تَصَوُّر ذلك القارىء – خطأً – أن كل هذه الآيات هى من سورة واحدة (!)

الأمر الثانى – فى صدد سرد الآيات – هو عدم مراعاة الترتيب فإن المصنف رحمه الله – كان عندما يستشهد بالقرآن ، يسوق الآيات كيفما اتفق له الاستحضار (!) فقد تكون الآية من سورة الواقعة – مثلا – فأجدها مُقَدّمة على الآية من سورة البقرة ، والمعنى مُتّحِد – تقريبا – فيهما (!) ولا نقول أن هذا يُخِلّ بالمقصود ، أو أننا نُفَضّل آية الأنعام على آية النحل ؛ ولكن كنا نودّ لو أنه راعى الترتيب ، أما كان أجود (؟!) الله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ...

وبعد فأرجو أنّ ما تَوَقّفْتُ عنده – فيما أوردته آنفا – كان جديرًا بأن

يُلحَظ ، وأني لم أسوّد وجوه الصَّحائف بما لا طائل وراءَه والله عز وجل من وراء الرجاء لا ربَّ غيره .

* * *

أمّا وقد آنَ أوانُ الشُّروع فى بيان منهج ما قمتُ به – بحول الله من عمل – فى هذا المخطوط النافع – إن شاء الله تعالى – فلا بُدّ لى من أن أسوق بين يَدَىْ ذلك اعتذارا عما قد يراه القارىء الكريم من عوار – مَا أحدٌ منه بمنأى – والكمال المطلق لله جَلّ ثناؤه – فإنه قابلتنى خُرُومٌ – بالأصل المُصوَّر – كثيرة وبياضات لم أستطع حيالها شيئًا ، فإن الأمانة العلمية تقتضى نقل ما فى الأصل – بنصّه وفصّه – بلا زيادة ولا نقصان – ووضعه بين يدى القارىء – بعد تحقيقه بالمنهج العلمى وبالأصول التى اصطلح عليها الناس – فاقتضى ذلك أن أترك بعض السّقط والبياضات – لاسيّما من كلام المصنف نفسه – طلبًا للسلامة من الافتيات عليه وتقويله مالم يَقُل وفى ذلك ما لا يخفى (!؟!) وأمّا النصوص المنقولة – من آيات قرآنية كريمة ، أو أحاديث نبوية شريفة ، أو قواعد فقهية ، أو فقرات من كتب الغير – فقد بذلت فيها جهدى ونصحت وما أَلَوْتُ ، ولم أدَّخر وسعًا فى ضبط ما أشكل منها – بإرجاعها إلى أصولها المتاحة ومطابقتها على جميع مظانٍّ وجودها زيادةً فى الاستيثاق والاستبراء للعرض والدّين ، فإن نَدَّ – بعد ذلك – منى شيء – فهو مِمَّا لا مَنْجَى لأحدٍ من مقارفته ، وَصَلّى الله وسلم على أنبيائه المعصُومين .

ولعلى – بما جهدتي فى هذا العمل – جهدًا لا يعلمه سوى من ابتغيتُ به وَجْهَهُ الكريم – أكون قد أعذرتُ إليه – تقدّس وجهه – فإنه سبحانه – خير من يُرْجىٰ نواله ﴿ وهو الذى يقبل التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٤٢ : ٢٥]

عملى فى الكتاب :

١ – تخريج الأخبار الواردة فى الكتاب – بمعنى الدلالة على مواضعها من كتب السُّنة المشرّفة – مقرونة بذكر الجزء والصفحة ، وجمع طرق الحديث واستقصاء أطرافه – قدر الوسع وفوق الوسع – والكلام على ذلك – جرحًا

وتعديلا – حسب أصول الصّنعة ، من المصادر المتاحة ، وإلا فأحيل على مواضعها فى الكتب التى مازالت رهينة الأرفف فى خزائن الكتب (!!!)

٢ – شرح الغريب والمشكل ، وإيراد النّكت الفقهية والأصولية واللغوية والحديثية وغيرها – ما وجدت إلى ذلك داعيًا وسبيلا من المصادر المعتبرة والتى سأفرد لها جريدة مفصلة فى آخر الكتاب إن شاء الله .

٣ – الاكتفاء – أحيانا – بإيراد الحديث برواية الصحيحين – أو أحدهما – إن كان الخبر فيهما – لجلالتهما – ولأن الناس – سيّما من اشتغل منهم بهذا الفن – يصرف بصره عن الخبر – ثقة بصحته – إن كان معزوًّا إلى الكتابين الجليلين – إلّا أن يدعو داعٍ لغير ذلك – فنبّينه – أو الاكتفاء بالدّلالة على موضع الخبر فى المصدر الذى أحال عليه المصنف رحمه الله – مع النقد .

٤ – فى بعض الأحايين – وذلك قليل – أُقَدّم ذكر غير الصَّحيحين عليهما ، وذلك لأمور فنّية ؛ كأن يكون صحابى الحديث – رضى الله عنه – غير الذى عندهما – ثم أردفه بقولى : « ويشهد له ما فى الصحيحين من طريق فلان عن أبى هريرة (مثلا) ونحو ذلك مما يعرف بداهة ، فليُتَنَبَّه إلى ذلك – حتى لا يقول قائل : « ها .. قد أخلّ بما اشترطه من تقديم الصحّيحين .. » فيجنى علينا دونما جناية منّا (!!)

٥ – اتباع المنهج العلمى ، الخاضع للأصول والقواعد التى وضعها أصحاب الشأن – لله درّهم وعليه شكرهم – فقد لا أتقيد بتصحيح إمام أو تضعيفه لحديث ما – إذا تَبَيَّن لى أنّ التحقيق بخلافه – وإنما جعلت كل همّى إعمال القاعدة العلمية حسبما وضعها الناس وتلقيناها عن علمائنا – رضى الله عنهم – وليس من ديدنى أن أرفع متقدِّمًا لتقدّمه أو أضع متأخرًا لتأخّره – بل هو المقياس العلمى ولا شىء غيره وإن أرجف مُرْجِفون وزعَمَ زاعمون (!!) فإن هذا العلم دين ، والتوفيق فيه – وفى غيره – من الله رَبّ العالمين .

٦ – لم أجعل من شأنى تخريج المقاطيع والمراسيل والموقوفات ونحوها – إلا ما يسّره الله تعالى ودعا إليه داعٍ وفى الأخبار المرفوعة – وهى كمٌّ جمٌّ – الغَنَاءُ إن شاء الله .

٧ - وضعت أرقامًا عدَدِية مسلسلة لما ورد بالكتاب من أخبار - من أوله إلى آخره - إلا ما شذّ عنى فى بياضات الأصل - وكذا رقمت لجميع ما علقته من حواشي .

٨ - لله دَرّ من قال :

ولا تكتب بكَفّك غير شيءٍ يُسرّك فى القيامة أن تراهُ (!)

وكان من تقدير الله العزيز الحكيم - أن حضر - دون استحضار - هذا البيت فى ذهنى إبان عملى فى الكتاب ، وعليه فلم يسعنى الإبقاء على الأخطاء والأغلاط والتصحيفات والتحريفات وغيرها مما ورد بالمخطوط ، وبين يدىّ من الأصول ما تتواطأ رواياته على إصلاح ذلك (!) نعم : الإبقاء على الأصل - كما هو - مطلوب ، ولكن الخطر من ذلك يكمن فى أنه قد يثبت الخطأ فى ذهن القارىء ، ويَعْسُرُ بعد ذلك تصحيحه ، حتى ولو أثبتّ ذلك التصويب فى حاشية الكتاب فى أسفل الصّحيفة ، والنفس البشرية مَلُولة ، مستوطنة للعجز جانحة للكسل - إلّا ما شاء الله - فأحيانا تجدنى أصلح الخطأ فى الأصل ذاته - مُنَبّهًا عليه ومُعْلِمًا عليه - وفى غالب الأحيان أنبه على ذلك فى الحاشية ، دفعنى إلى ذلك ما أسلفت بيانه من خشية ثبوت الخطأ ، وأضيف أن كثرة انتقال النظر بين المتن والحاشية - مع كثرة وجود الأخطاء - قد يُسبب نوعا من الإملال الذى قَدْ يَدَعُ المرءُ - من جرّائه - الكتاب جُمْلَةً (!) وهذا كتاب وضعه صاحبه لعامة الناس الذين ليسوا فى حاجة إلى أن نُعَنّهم - أكثر - بما سبق ذكره ، فصَنَعْتُ - سدًّا لِتِلْكَ الذّرِيعَةِ - ما صنعتُ ، والله تعالى من وراء القصد .

٩ - فى بعض الأحيان - وذلك قليل - أثبت رواية البخارىّ رحمه الله تعالى - فى تعليقى - حتى ولو كان حديث الباب من رواية مسلم - أو روايتهما جميعا - فإن مما أدين الله تعالى به - وما هو معلوم - حتى عند أغمار الناس وأفنائهم - أن كتاب أبى عبد الله - قدّس الله رُوحَه وروَّحَ ضريحه - أصحّ صحيحا مِمَّا سواه من الكتب المُصنفة فى السُّنّة قاطبة ، وكان مِمّا تَرَبَّيْتُ على اعتقاده أن « صحيح الإمام البخارى أصحّ الكتب بعد كتاب الله جَلّ ذكره » (!) نعم اكتشفت بعدما كبرت أن فيه بعض هَنَاتٍ - يطمرها

ويكتسحها بَحْرُهُ الزّخار وَسَيْلُهُ الجرّار – لا تستحق عِرْفَانًا بفضل البخارى العظيم أن تُذكر – إذْ هِىَ – والله – أشبه شىءٍ برمية صبىٍّ صغير بحصاة فى بحر لا ساحل له – ولكنى اكتشفت أيضا الحكمة العظمى وراء وجود هذه الهنات الصّغار فى هذا الكتاب الأجَلّ – ذلك لكي تكون العصمة المطلقة لكتاب واحد على ظهر هذه الأرض – هو القرآن العظيم – كتاب ربنا العزيز – الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (!) أعرفتَ الآن (؟) فَالْزَمْ ، ولا يهولنك إفكُ الأفّاكين ولا دعاوى المُتَخَرّصين المُترَخّصين دعاة التفسّخ والتَهَوُّر والهزيمة ، وربنا الرحمٰن المستعان .

١٠ – لم أطوّل النَّفَسَ فى علوم الآلة والمصطلحات الفنيّة الدقيقة – إذ ليس هذا موضعه – وإنما هو كتاب عامة كما اسلفنا القول ، اللّهم إلا أن تمسّ حاجة أو تدعو ضرورة .

١١ – سيقابل القارىء الكريم – كثيرا – قولى : « قال شيخ الإسلام ... كذا » فإذا لقيتنى أطلقتها – هكذا – فاعلم أنى أقصد بها الحافظ الجبل ابن حَجَر – رحمه الله تعالى – فإن كان غيره قيَّدتُ ، فليعرف ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

١٢ – قمت بتخريج الآيات القرآنية وتعيين رقم الآية واسم السورة وأتبعتها موضعها من الأصل بين معكفين [/] وبعد .. فهذا – إجمالا – منهج عملى القليل وجهدى الكليل فى هذا الكتاب الذى أرجو الله عَزّ وَجَلّ أن ينفع به .

فإنّ علم الله – تقدّست أسماؤه – صِدْقَ نيّتى وصَفَاءَ طَوِيَّتى وَنَقَاءَ سَرِيرَتى وإخلاصى وتجرّدى فى عملى فيه ، فسيُبْلغه الموقع الذى أردت من إصلاح مسارات السّلوكات المعوجّة ، وسيفتح الله تعالى به قلوبًا غُلفًا وآذانًا صُمًّا وأعينًا عُمْيًا ، وَسَيُقيم به على الطريق أقْدَامًا انحرفت عن الجادة وجانَبَت الاستقامة أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعل لى غُنْمَه وأن يُجَنّبَنى غُرْمَه ، وأن يدّخره لى فى خزائن رحمته ليوم تكون فيه العاقبة للمتقين وأن يُثِيبَ به كاتبه وجامعَه ؛ وقارِءَهُ وسامعه واستغفر الله العظيم من كل خطإٍ أو خطيئةٍ قلتها بلسانى أو خططتها ببنانى ، فما – والله – أردت ولا قصدت إلا الخير – يعلم ذلك الذى يعلم

ما تخفى الصّدور وما يختلج فى النحور ، لا ربّ غيره ولا إله سواه .
﴿ ربّنا إننا سَمعْنَا مُنَاديًا يُنَادِى للإيمَان أنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفّر عَنّا سَيِّئاتنا وَتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنا وَءاتِنا مَا وَعَدْتَنَا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخزِنا يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ إِنّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلمِيعَادَ ﴾ [آل عمران – ١٩٣ – ١٩٤] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين
وصلى الله تعالى وَسَلّم وَبَارَكَ عَلى مُعَلّم النّاسِ الخير سَيّدنا محمد وَآله

قالهُ بلسانه وقيّدهُ ببنانه
راجي عفو ربه المَنّان
عبيد الله المصرى الأثرى أبو عبد الرحمن
لسبع ليال خَلَت من ذى الحجة المبارك
من العام الثامن بعد المائة الرابعة والألف
الأول من الهجرة المباركة على صاحبها
صلوات الله وسلامه مَا كَرَّ الجديدان وتَعَاقَبَ الحَدَثَان

التَّعريفُ بالمُصنِّف* رحمه الله

هو الإمام الحافظ الفقيه الخطيب البارع المُجوِّد العلامة أبو محمد عبد الحق ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد الأزدى الأندلسى الإشبيلى المعروف فى زمانه بابن الخَرَّاط . أحد الأعلام ومؤلف الأحكام الكبرى والوسطى والصُّغرى .

« **مولده** » : قال الإمام النووى رحمه الله : « مولده فى شهر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة » . وقال الإمام الذهبى رحمه الله : مولده فيما قيده أبو جعفر ابن الزبير سنة أربع عشرة وخمسمائة (!) .

قال :حدَّث عن أبى الحسن شريح بن محمد،وأبى الحكم ابن برجان ، وعمر ابن أيوب ، وأبى بكر ابن حدير ، وأبى الحسن طارق بن يعيش ، والمحدث طاهر بن عطية ، وطائفة .

سكن مدينة بجايه وقت الفتنة التى زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنيّة (نسبة إلى بنى عبد المؤمن ، فنشر بها علمه ، وصنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وسادت بـ « أحكامه الصُّغرى » و « الوسطى » الرُّكبان وله « أحكام كبرى » قيل هى بأسانيده ، فالله أعلم ،وولى خطابة بجاية .

ذكره الحافظ أبو عبد الله البَلَنْسِىُّ الأبّار فقال : كان فقيهاً ، حافظًا ، عالمًا بالحديث وعلله ، عارفًا بالرجال ، موصوفًا بالخير ، والصلاح ، والزهد ، والورع ، ولزوم السنة ، والتقلّل من الدُّنيا ، مُشَارِكًا فى الأدب ، وقول الشعر ، قد صنَّف فى الأحكام نسختين : كبرى ؛ وصغرى ، وسبقه إلى مثل ذلك الفقيه أبو العباس ابن أبى مروان الشهير بلَبْلة ، فحَظِىَ الإمام عبد الحق دونه . (!)

قال الإمام الذهبى : « قلتُ وعمل « الجمع بين الصحيحين » بلا إسناد على ترتيب مسلم ، وأتقنه وجَوَّده » .

قال الأبار : « وله مصنف كبير جمع فيه بين الكتب السّتة ، وله كتاب « المعتل من الحديث » وكتاب « الرقاق » ومصنفات أخر قال الإمام الذهبي : قلت وله كتاب « العاقبة » فى الوعظ والزُّهد » ا.هـ .

قلت : وهو كتابُنَا هذا الذى بين يديك (!) قال الأبار : وله فى اللُّغة كتاب حافل ضاهى به كتاب « الغَرِيبَيْن » لأبى عُبَيْدٍ الهروىّ وقال : ولد سنة عشر وخمس مئة ، وتوفى ببجاية بعد محنةٍ نالته من قبل الدولة فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة ا.هـ .

* قلت : فى الهامش : « الذى فى النسخة الخطِّية من « تكملة ابن الأبار » : « اثنتين (يعنى إثنتين وثمانين) ا.هـ – وهو يوافق ما عند الإمام النووى فى « تهذيب الأسماء » (٢٩٣/١) حيث قال : وتوفى ببجاية فى أواخر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ا.هـ .

قلت : وفى « الشذرات » (٢٧١/٤) فى « حوادث سنة إحدى وثمانين وخمسمائة » قال ابن العماد رحمه الله : « وفيها عبد الحق بن عبد الرحمن أبو محمد الأزدى الإشبيلى .. ، ... ، ... ، نزل بجاية وَوَلِىَ خطابتها ؛ وبها تُوفِّى بعد محنة لحقته من الدولة فى ربيع الآخر عن إحدى وسبعين سنة ، وكان – مع جلالته فى العلم – قانعًا مُتَعَفِّفًا موصوفًا بالصَّلاح والورع ولزوم السُّنَّة ا.هـ .

قال الإمام الذهبى : « روى عنه خطيب بيت المقدس أبو الحسن على بن مُحَمّد المعافرى وأبو الحجّاج ابن الشيخ ، وأبو عبد الله ابن نقيمش ، ومحمد بن أحمد ابن غالب الأزدى ، وأبو العباس العزفى [فى الحاشية بزاى : رئيس سبته الأمير العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمى العزفى ، كان زاهدًا إمامًا مُفْتِيًا مُتَفَنِّنًا ، ألّف كتاب « المولد » وجوّده ، مات سنة «٦٣٣» ص – ٤٥٣] ؛ وآخرون .

وصنف الحافظ القاضى أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الحميرى الكتامىّ الفاسى المشهور بابن القطان كتابًا نفيسًا فى مجلدتين سَمَّاهُ « الوهم والإيهام »

فيما وقع من الخلل فى الأحكام الكبرى لعبد الحق يناقشه فيه فيما يتعلق بالعلل وبالجرح والتعديل ، طالعْتُه ، وعلقت منه فوائد جليلة .

قال فى الحاشية : « كان ابن القطان قد أقام بمراكش عند بنى عبد المؤمن وكان رأس العلماء بها ، توفى سنة «٦٢٨» ابن القاضى « جذوة الاقتباس » «٢٩٨» ، والذهبى فى « تاريخ الإسلام » الورقة (٧٢) أيا صوفيا (٣٠١٢) وابن ناصر الدين فى « التبيان » ، الورقة : (١٥٢) وقد وقع ابن القطان نفسه بأوهام كثيرة فى رَدِّه ، قال الذهبى فى « تاريخ الإسلام » : « طالعت جميع كتابه « الوهم والإيهام » الذى عَمِلَهُ .. يدل على تبحّره فى فنون الحديث ، وسيلان ذهنه ولكنه تَعَنَّتَ وتكلّم فى حال رجال فما أنصف » (الورقة : ٧٢ - أيا صوفيا (٣٠١٢) وقال ابن ناصر الدين فى « التبيان » بعد أن ذكر كتابه : « ولابن القطان فيه وهم كثير نبَّه أبو عبد الله الذهبى فى منتقى منه كبير » (الورقة - ١٥٢) ويرى الدكتور بشار أن الذهبى أفرد الرد على ابن القطان فى كتاب خاص منه مختصر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (انظر كتابه : الذهبى ومنهجه : (١٧٣ - ١٧٥) ا.هـ . قال الإمام الذهبى ومن مسموع الحافظ عبد الحق « صحيح مسلم » يحمله عن أبى القاسم ابن عطية قال أخبرنا محمد ابن بشر قال أخبرنا أبو على بن سُكّرة الصدفى أخبرنا أبو العباس بن دلهاث العذرى أخبرنا الرازى بإسناده ا.هـ .

قلت : فهذا هو السّر فى إكثارِهِ من النقل عن صحيح الإمام مسلم والإحالة عليه وتقديمه على صحيح الإمام أبى عبد الله البخارى بصورة واضحة وبشكل جَلِىّ (!)

قال الإمام الذهبى وقد أنبأنا « بالأحكام الصُّغرى » الإمام أبو محمد ابن هارون فى كتابه إلينا من المغرب ، قال أخبرنا أبو الحسن على بن أبى نصر بسماعه من المُصنِّف أبى محمد عبد الحق .

قال ابن الزبير فى ترجمة عبد الحق : كان يُزاحم فحول الشعراء ، ولم يُطلق عنانه فى نُطقه .

قلت : ما أحلى قوله وأوعظه إذ قال :

إنَّ فى الموتِ والمعادِ لشُغْلًا وادَّكارًا لذي النُّهَى وبلاغَا
فَاْغتَنِـم خُطتَّيْـنِ قَبْـل المنايـا صحَّة الجِسْمِ يا أخي والفراغا

قال فى الحاشية : « نقل الذهبى هذين البيتين من « التكملة » الأبارية : ٣/الورقة «٣٨» ، وأوردهما ابن شاكر فى « الفوات » (٢/٢٥٧) .

وساق له الإمام الذهبى – بإسناده إليه إلى أبى عيسى الترمذى حدثنا محمود ابن غيلان ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة عن قتادة ، سمعت عبد الله بن أبى عتبة يحدث عن أبى سعيد قال : كان رسول الله – ﷺ – : أشد حياءً من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئًا عرفناه فى وجهه » .

وإسناده صحيح – كما قال الأستاذ شعيب الأرناؤوط فى الحاشية ، قال : وهو فى الشمائل برقم «٣٥١» للترمذى وأخرجه البخارى (٦/٤٢١) فى « الأنبياء » : باب صفة النبى – ﷺ – و (١٠/٤٣٤) فى الأدب باب الحياء ومسلم (٢٣٢٠) فى فضائل النبى – ﷺ – باب كثرة حيائه ، كلهم من طريق شعبة ، عن قتادة عن عبد الله بن عتبة مولى أنس ، عن أبى سعيد .

قلت : هذه نُبذة مختصرة يسيرة عن الإمام عبد الحق الإشبيلى – رحمه الله – وإثبات نسبة الكتاب الجليل إليه .

وقد ذكره وأقتبس منه واستفاد به جَمْعٌ كبيرٌ من أئمتنا المحدثين والمفسِّرين والفقهاء الذين عاصروا الإمام أو جاءوا بعده . فمنهم مثلاً :

الإمام الحافظ المحدث المفسر المؤرخ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله ، حيث ذكر هذا الكتاب واشترك مع باقى الأئمة فى تسميته ، حيث قال : فى نهاية البداية والنهاية (الفتن والملاحم) (١/٢٠٠) فى باب (ذكر أسماء يوم القيامة) :

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلى فى كتاب (العاقبة) : يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة ؟ .. ، ثم شرع ينقل عنه أسماء اليوم العظيم نسأل الله النجاة من أهواله بمنه وكرمه إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه وهو كتاب ما أظن أنى بحاجة للإطناب

فى وصفه أو الثناء عليه ، فإنه يتكلم بنفسه عن نفسه بما لن يسعفنى خاطرى به .

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يتقبل عملى فيه بقبول حسن وأن يدخر لى ذخره ليوم تكون فيه العاقبة للمتقين .

وقد علم الله تقدست أسماؤه أنى قد بذلت فيه جهدى وما آلَوْتُ مع أنى لا أدعى العصمة من الخطأ والسهو فهذا لا يكون إلا للأنبياء المعصومين – صلى الله عليهم أجمعين – بل أوضحت ما ظهر لى فيه فليوضح أخٌ كريمٌ وقع كتابى فى يده ووقف على كلامى فيه ما ظهر له ، فما القصد إلا بيان الصواب طلبًا للثواب .

وإنى ناشد الله أخًا كريمًا وقع فيه على عثرة أو ذلة أو هفوة أو خطأ أن يتقبل ذلك منى بصدر رحب وأن يدعو لى بالمغفرة ، فما من أحد عن الخطأ بنحوى إذ هو لازمُ البشرية وقد يفوتنى الشيءُ بعدَ الشيءِ فيه ، وذلك أمر وارد ، فإنى ما قصدت أن أتقصّى وليس ذلك فى مقدورى ولا يسلم الاستقصاء لأحد فلو عورض كتاب ألفَ مرةٍ لوُجِد فيه خطأ فقد أبى الله العصمة إلا لكتابه كما يقول أئمتنا وسادتنا لله درّهم وعليه شكرهم وإنى أسأل ربى – جلّ ذكره أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وجامعه وناظره وسامعه إنه سبحانه المسؤول أن يفتح به أعينا عميًا وآذانا صُمًّا وقلوباً غلفًا ونُفوسًا ماتت أو إستماتت تحت وطأة الهوى واستيطان العجز وإيثار الخمول وأن يجعلنى من آول المنتفعين به إذ أننى لست عن كل ما أوردت بمنأى (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ . إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *) .

قاله بلسانه وقيده ببنانه
راجى عفو رَبّه الغفور
أبو عبد الرحمن المصرى عبد الله الأثرى
عَامَله الولىّ بلطفه الخَفّى
لسبع ليال خلت من شهر الله المحرم
عام ألف وأربعمائة وثمان
من هجرة خير من وطىء الحصى نبينا مُحمَّد صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم

وصف مخطوطة الكتاب (العاقبة)

توجد مخطوطة هذا الكتاب الطيب فى معهد المخطوطات تحت رقم (٢٩٧) تصوف ويشير فهرس معهد المخطوطات أن لهذه المخطوطة ثلاث نسخ موجودة بالمكتبة الظاهرية

١ - نسخة برقم (٢٣٥) تحتوى على (١١٣) ورقة قياس ١٨ سم × ٢٠ سم.

٢ - نسخة أخرى [أحمد الثالث] برقم (١٥٤٦) تحتوى على (٢١٩) ورقة قياس ١٧ سم × ٢٥ سم.

٣ - نسخة ثالثة [خزينة] برقم (٢٤٢) تحتوى على (٢٢٢) ورقة قياس ١٦,٥ سم = ٢١ سم. وهى أجملهم.

وقد اعتمدنا على منسوخة معهد المخطوطات بعد أن راجعناها على النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية وهى:

١ - الموت والحشر - دار الكتب - مصورات خارج الدار (١٦٤١٧).
٢ - العاقبة - دار الكتب - مصورات خارج الدار (٨٧٤).
٣ - العاقبة - دار الكتب - مصورات خارج الدار (٨٧٥).

أما عن وصف مخطوطة الكتاب التى اعتمدنا عليها فهى كالتالى :

تحتوى هذه المخطوطة على (١١٣) ورقة، قياس الورقة ٢٨سم × ٢٠سم، وكل ورقة تحتوى على (٢٥) سطراً، كل سطر يشتمل على ما بين (٩:١٦) كلمة.

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخى جيد عدا بعض الكلمات القليلة جداً وخاصة فى بعض الأشعار التى وجدت فى ثنايا الكتاب مثل صفحة ٨٥، ٨٧ بالمخطوط وغيرها من الصفحات القليلة والموجودة فى نهاية الكتاب تقريباً.
وهذه النسخة معنونة باسم (الموت والحشر والنشر) أو العاقبة.

الناشر
أبو حذيفة

كتاب العاقبة
في ذكر الموت والآخرة
للفقيه الإمام عبد الحق
الأزدي الإشبيلي رحمه الله تعالى

غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي رحمة الله عليه:

الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصر به آمال الأكاسرة [illegible]، الذي أدار عليهم [illegible] الدائرة، ولحقهم سيفه القاهر، فقدمهم للملك الحاكم [illegible] إلى الوقفة الساهرة، [illegible] ... لم يجعلوا على شيء من الأمر [illegible] والله لا يحرمها [illegible]، ولا [illegible]، ولا [illegible] إلا [illegible]، ثم منعهم ما حصنوه من المدائن والحصون، ولا حرسهم ما [illegible] من الحراس والعيون، ولا [illegible] من ريب المنون ما ادخروه من [illegible] ... صدمهم بركنه الشديد، و[illegible] المديد، [illegible] ما كتب عليهم الوعيد [illegible] ... وصيرهم بين [illegible] المحدود [illegible] أكلا للهوام والدود ... وأرسل عليهم [illegible] ... وأزال من نعمائهم ما شاء، وأبدل بالعويل منهم [illegible] ... وصيرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى

الصورة الخاصة بالصفحة الأولى من المخطوط

دار الصحابة للتراث
للنشر والتحقيق والتوزيع
ت: ٣٢١٥٨٧ - ص.ب: ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة ، وقصر ببغتته آمال القياصرة ، الذى أدار عليهم حلقته الدائرة ، وأخذهم بيده القاهرة ، فقذفهم فى ظلمات الحافرة ، وصيرهم بها رهنًا إلى وقعة الساهرة ، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولن يحصلوا على شيء من الآخرة ، مصيبة والله لا يجبر مصابها ، ولا يتجرع صبابها ولا تنقضى آلامها ولا أوصابها ، لم يمنعهم ما حصنوه من المعاقل والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون ، ولا فداهم من ريب المنون ؛ ما ذخروه من علق مصون ، وذهب مخزون ، بل صدمهم بركنه الشديد ، وطحنهم بجيشه المديد ، وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من الوعيد ، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود ، وصيرهم بين حجرها المنضود ، وجند لها أكلا للهوام والدود ، ونظر إليهم بعينه الشوساء ، وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عزتهم القعساء ، وأزال من نعمائهم ما شاء ، وأنطق بالعويل منهم ألسنة الخُرَساء ، وصيرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال ، والأسرة والحجال ، إلى الحجارة والرمال ، والأزاقم والصلال ، وشظف العيش بضيق المحالّ وحَلوا بَرَبِيعٍ غير محلال ، بحيث لا زوال ولا انتقال ، ولا عثرة تقال ، ولا يسمع فيها كل مقال ، ولا يلتفت عندها إلى كل من قال ، أرسل عليهم ربك جنوده العاتية ، وأخذهمْ أخذته الرابية ، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية ، وقيل فى أمثالهم :

حدث حديث القوم من فارس ومن بنى قبط ويونان .
ومن بنى الأصفر أعجب بهم وسيبدأ الأتراك خاقان
والأقدمين الأعظمين الألى من حمير أبناء قحطان .

من تبع العرب ومن قيصر الروم وكسرى آل ساسان .
من كل قرم شامخ أنفه وكل فرعون وهامان .
وإن نسيت اليوم شيئاً فلا تنس نبيطاً أخت شاة كلدان .
واذكر ملوك الأرض من بعدهم من عرب صيدى وعجمان .
من كل منصور للوالى أروع سليل أطواق وتيجان .
مجتمع الشمل على عزة شدت بأساس وأركان .
قد زلزل الأرض وراع الورى من جيشه الضخم بطوفان .
وذلّل الخلق بسلطانه كأنه رب لهم ثان .
انظر إليهم هل ترى منهم غير أحاديث بأفنان .
وانظر إلى الموت وأعماله فيهم ترى الملك ببرهان .
وتبصر القوم وماذا لقوا بالموت من ذل وخسران .
قد صفعتهم يده صفعة خروا للأعناق والأذقان .
ودك فى الأرض تيجانهم وألبسوا تيجان صمان .
من حجر صلد ورخو ومن ترب وحصباء وصيدان .
وأنزلوا بطن الثرى بعدما كانوا قعوداً فوق كيوان .
وأطعم الديدان لحمانهم يالك من لحم وديدان .
فكم هنا كم من فتى ناعم ومن فتاة ذات أردان .
ومن هزبر مرح فى الوغى وظبية تسرح فى بان .
كانوا كذا ثم اغتروا غيره للنازح الدار وللدان .
ولم يدافع عنهم جحفل قد طبق الأرض بفرسان .
ولا بيوت ملئت كلها من لؤلؤ بحتٍ وعقيان .
بل مرداكم كاد مسرعاً كالريح مرت بين قضبان .
وأصبح الملك لمن ملكه باق وكل غيره فان .

فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء ، وتوحد بالديمومة والبقاء ، وطوق عباده بطوق الفناء ، وفرقهم بما كتب عليهم من السعادة والشقاء وجعل الموت مخلصاً لأوليائه السعداء ، ومهلكاً لأعدائه الأشقياء وخلق خزلانا وقدر توفيقاً ، وأنهج سبيلاً وأوضح طريقاً ، فهدى إليه فريقاً وأضل عنه فريقاً ، لا يسأل عما يفعل وهم

يسألون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق لها فى الأزل ، وكتب له بها فى القسم الأول ، ففتح إليها كل باب ، وهتك دونها كل حجاب ، وخلصها من الشبه والارتياب ، وظهرت عليه فيها نعمة العزيز الوهاب ، الغفور التواب ، ملك الأملاك ، ورب الأرباب ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المرفوع عليه علم التحقيق ، والمختص بخصائص التوفيق ، الداعي إلى أنجح سبيل وأوضح طريق ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة تزيده شرفاً ، وترفعه زلفاً ، وتوردنا مورده الذى عذب وصفا ، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم وكرم ، وشرف وعظم .

أما بعد : فإن الموت أمر كبار ، أنجد وأغار ، وكأس يدار ، فيمن أقام أو سار ، وباب تسوقك إليه يد الأقدار ، ويزعجك فيه حكم الاضطرار ، ويخرج بك منه إما إلى الجنة وإما إلى النار ، خبر علم الله يُصمُّ الأسماع ويُغَيِّر الطباع ، ويُكثر من الآلام والأوجاع .

واعلموا أنه لو لم يكن فى الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ، ونسيانك آخر الليالى والأيام ، لكان فيه لأهل اللذات مكدرًا ، ولأصحاب النعيم مغيرًا ، ولأرباب العقول عن الرغبة فى هذه الدار زاجراً ومُنَفِّراً ، كما قال مطرف بن عبد الله ابن الشخير « إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه » .

فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب ، وتدهش فيه الألباب ، وتفنى فى شرحه الأقلام والكتاب ، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب .

واعلموا رحمكم الله أن الناس فى ذكر الموت على ضروب ، فمنهم المنهمك فى لذاته ، المثابر على شهواته ، المضيع فيها مالا يرجع من أوقاته ، ولا يخطر الموت له على بال ، ولا يحدث نفسه بزوال ، قد اطرح أخراه ، وأكب على دنياه ، واتخذ إلٰهه هواه ، فأصمه ذلك وأعماه ، وأهلكه ذلك وأرداه ، وإن ذكر له الموت نفر وشرد ، وإن وعظ أنف وعند ، وقام فى أمره الأول وقعد ، قد حاد عن سواء نهجه ، ونكب

عن طريق فلجه ، وأقبل على بطنه وفرجه ، تبت يداه ، وخاب مسعاه ، كأنه لم يسمع قول الله عز وجل [آل عمران / ١٨٥] ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ولا يسمع قول القائل فيه وفى أمثاله :

يا راكب الردع للذاته كأنه فى أثر عير .
وأكلاً كل الذى يشتهى كأنه فى كلأ ثور .
وناهضاً أن يدع داعى الموتى كأنه من خفة طير .
وكل ما يسمع أو ما يرى كأنما يعنى به الغير .
إن كؤوس الموت بين الورى دائرة قد حثها السير .
وقد تيقنت وإن أبطأت أن سوف يأتيك بها الدور .
ومن يكن فى سيره جائراً تالله ما فى سيرها جور .

نعم ربما أخطر الموت بخاطره ، وجعله من بعض خواطره ، فلا يهيج منه إلا غما ولا يثير من قلبه إلا حزنا ، مخافة أن يقطعه عما يؤمل ، أو يعظه عن لذة فى المستقبل . وربما فر بفكره منه ، ودفع ذلك الخاطر عنه ، يا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز وجل : [الجمعة / ٨] ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ ولا قول القائل :

فر من الموت أو اثبت له لابد من أنك تلقاه .
واكتب بذى الدار ما شئته فإن فى تلك ستقراه .

وكذلك من كان قلبه معلقاً بالدنيا وهمه فيها ، ونظره مصروفاً إليها وسعيه كله لها ، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين ، وأبنائها المكدودين ، لم ينل منها حظاً ، ولا رقى منها مرقى ولا نجح له فيها مسعى ، إن ذُكر له الموت تصامم عن ذكره ، ولم يمكنه من فكره ، وتمادى على أول أمره ، رجاء أن يبلغ ما أمل ، أو يدرك بعض ما تخيل ، فعمره ينقص وحرصه يزيد ، وجسمه يَخْلَقُ وأمله جديد ، وحتفه قريب ومطلبه بعيد ، يحرص حرص مقيم ، ويسير إلى الآخرة سير مجد ، كأن الدنيا حق يقين والآخرة طريق الظنون ، وفى مثل هذا قيل :

أتحرص يا بن آدم حرص باق ... وأنت تمر ويحك كل حين
وتعمل طول دهرك بالظنون ... وأنت من المنون على يقين

وهذا إذا ذَكر الموت أو ذُكر به لم يخف أن يقطع عليه هماً من الأعراض قد كان حصله ، ولا عظيماً من الآمال فى نفسه قد كان أدركه ، لأنه لم يصل إليه ولا قدر عليه ، لكنه يخاف أن يقطعه فى المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفسه ، ويخدع به حسه ، وهو يرى فيه يومه كما قد رأى أمسه ، قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث المشغلة والأمانى المرذلة ، والوساوس المتلفة ، قد جعلها ديدنه ودينه ، وإيمانه ويقينه .

وربما ضاق ذرعه بالدنيا وطال همه فيها من تقذر مراده عليه وقلة تأتِّيه له ، فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه ، وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت ، والذى يستريح بالموت غيره ، والذى يفرح به سواه ، إنما الفرح من وراء الصراط ، والراحة بعد المغفرة .

توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله – ﷺ – يمازحونها ويضحكون منها فقالت عائشة استراحت فقال رسول الله – ﷺ – : « إنما يستريح من غُفر له »[1] ذكره أبو بكر البزار فى مسنده .

فلا يزال هذا البائس يتحمل من الدنيا بؤسها ، ويتلقى نحوسها ، ويلبس لكل شدة لبوسها ، وهو يتعلل بعسى ولعل ، ويرى جنده الأَقَلّ ، وحزبه الأقل ، وناصره الأذل ، فلا يرعوى ولا يزدجر ، ولا يفكر ولا يعتبر ، ولا ينظر ولا يستبصر ، حتى إذا وقعت رايته ، وقامت قيامته ، وهجمت عليه منيته ، وأحاطت به خطيئته وكشف له الغطاء ، وتبدت له موارد الشقاء ، صاح واخيبتاه ، واثكل أماه ، واسوء

---

(١) **صحيح** * أخرجه أحمد (٦/٦٩ ، ١٠٢) من طريقين عن ابن لهيعة ؛ الأول من طريق يحيى ، وهو ابن إسحق ؛ سمع من ابن لهيعة حال سلامته –على ما اعتمده الناس– وأخرجه ابن المبارك فى « الزهد » (٢٥١) وهو أيضا من قدماء أصحاب ابن لهيعة ، فحديثه أيضاً صحيح عند جمهورهم ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/٣٣٣) : « رواه أحمد والطبرانى فى «الأوسط» وفيه ابن لهيعة وفيه كلام» ا.هـ

(*) قُلتُ : لا يُغترّ بذلك بعد الذى بيَّنّاه . والله تعالى أعلم . وأورده شيخ الإسلام فى « المطالب العالية » (٣/١٤٠) عن عروة قال .. فذكره ، وقال : «مرسل رجاله ثقات» ا.هـ.

مقلباه ، هيهات هيهات ندم والله حيث لا ينفعه الندم ، وأراد التثبت بعدما زلت به القدم ، فخر صريعاً لليدين وللفم ، إلى حيث ألقت رحلها أم قَشْعَمْ ، فنعوذ بالله من الحرمان ، ومن ضحك العدو وشماتة الشيطان .

وهذا والذى قبله إن لم تكن لهما عناية أزلية ، وسابقة أولية ، فيمسك عليهما الإيمان ، ويختم لهما بالإسلام ، وإلا فقد هلكا كل الهلاك ووقعا بحيث لا دراك ولا مخلص ولا انفكاك ، فنعوذ بالله من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، بفضله ورحمته .

ورجل آخر وقليلٌ ما هم من أُزيل عن عينه قذاها ، وكشف عن بصيرته عماها ، وعُرضت عليه الحقيقة فرآها ، وأبصر نفسه وهواها ، فزجرها ونهاها ، وأبغضها وقلاها ، فلبى المنادى وأجاب الداعى ، وشمر لتلافى ما فات ، والنظر فيما هو آت ، وتأهب لهجوم الممات وحلول الشتات ، والانتقال إلى محلة الأموات ، ومع هذا فإنه يكره الموت أن يشهد وقائعه ، أو يرى طلائعه ، أو يكون ذاكر حديثه أو سامعه ، وليس يكره الموت لذاته ، ولا لأنه هادم لذاته ، لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد ، والاكتساب ليوم الحساب ، ويكره أن تطوى صحيفة عمله ، قبل بلوغ أمله ، وأن يبادر بأجله ، قبل صلاح حاله ، وإدراك زلله ، فهو يريد البقاء فى هذه الدار لقضاء هذه الأوطار ، والإقامة بهذه المحلة ، وبسبب هذه العلة . كما يروى عن بعض الصالحين وقد بكى عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال : « والله ما أبكى لفراق هذه الدار ، حرصا على غرس الأشجار ، وإجراء الأنهار ، لكن على ما يفوتنى من الادخار ، ليوم الافتقار ، والاكتساب ليوم المآب » قال هذا أو معناه .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » لأن هذا لم يكره لقاء الله وإنما كره أن يقدم على الله عز وجل متدنسًا بأوزاره ، ثقيل الظهر بها ، ملآن من عاره وشناره ، فأراد أن يتطيب للقاء ، ويستغنم لفضل القضاء .

قال أبو سليمان الدارانى : « قلت لأم هارون : تحبين أن تموتى ؟ قالت : لا قلت : ولم ؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءهُ فكيف بالخالق جل جلاله » .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : « يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أعمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال : كيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحًا مسرورًا ، وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفاً محزونًا » .

وقال أبو بكر الكنانى : « كان رجل يحاسب نفسه فحسب سنينه يومًا فوجدها ستين سنة ، فحسب أيامه فوجدها إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة خر مغشيًا عليه ، فلما أفاق قال : يا ويلاه أنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب !! يقول : هذا لو كان ذنبٌ واحدٌ كل يوم فكيف بذنوب لا تحصى ؟! ثم قال : آه علىَّ عَمْرتُ دُنياى وأخربت أخراى وعصيت مولاى ثم لا أشتهى النقلة من العمران إلى الخراب ، وكيف النقلان إلى دار الكتاب والحساب والعقاب والعذاب بلا عمل ، ولا ثواب وأنشد :

منازل دنياك شيدتها وخربت دارك فى الآخرة
فأصبحت تكرهها للخراب وترغب فى دارك العامرة

ثم شهق شهقة عظيمة فحركوه فإذا هو ميت » .

على أن هذا الحديث : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » قد جاء مفسرا . قالت عائشة – رضى الله عنها – قال رسول الله – ﷺ – : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقلت : يا نبى الله أكراهية الموت وكلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه » ذكره مسلم بن الحجاج .

وقال البخارى فى هذا الحديث : « ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شىء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » .

ورجل آخر : وهو من القليل قليل ، عرف الله تعالى بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينه وقلبه وطاشت عقله ولبه ؛ فهو يحن إلى ذلك المشهد ويحوم على ذلك المورد ويستعجل إنجاز ذلك الموعد وقد علم أن الموت حجاب بينه وبين محبوبه وستر مسدل بينه وبين مطلوبه ، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه فلو أصاب إلى هتك ذلك الحجاب هتكه ، ورفع ذلك الستر رفعه ، وكسر ذلك الباب كسره ، فعذابه فى الحياة وراحته فى الممات .

كما روى عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - لما نزل به الموت قال : « حبيب جاء على فاقة » .

وقد قيل : « الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب » .

ويروى عن على بن الفتح أنه رأى الناس فى يوم عيد يتقربون بقربانهم - يعنى بضحاياهم - فقال : « يا رب وأنا تقربت إليك بأحزانى ، ثم غشى عليه فلما أفاق قال : إلهى كم ترددنى فى هذه الدنيا ؟! » فمات من ساعته .
ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال .

قال أحمد بن أبى الحوارى : قال أبو سليمان الدارانى : « الناس رجلان : رجل أحب الله فأحب الموت شوقًا إلى لقاء الله ، ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله . قال : فوثب غلام لم يحتلم فقال : ورجل ثالث - أو قال ورجل آخر - فقال أبو سليمان : ومن هو ؟ فقال : من لم يختر هذا ولا هذا اختار ما اختاره الله عز وجل له . فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فإنه صدّيق » .

واجتمع يومًا وهب بن الورد ، وسفيان الثورى ، ويوسف بن أسباط ، فقال الثورى : كنت أكره موت الفجاءة ووددت اليوم أنى مُت فقال له يوسف بن أسباط : لم ؟ قال : لما أتخوف من الفتنة فى الدين . فقال يوسف : لكنى أحب الحياة وطول البقاء . قال له سفيان : لم ؟ قال : لعلى أن أصادف يومًا فأتوب فيه وأعمل صالحًا . فقيل لوهب : أى شيء تقول أنت ؟ فقال : أنا لا أختار شيئًا أَحَبُّ ذلك

إلىَّ أحبُّهُ إلى الله عز وجل . فقبل الثورى بين عينيه وقال : روحانية ورب الكعبة .

وقال على بن الجهضم عن على بن عثمان بن سهل : دخلت على عمرو بن عثمان وهو فى علته التى توفى فيها فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أجد سرى واقفًا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام - يعنى مثل الماء فى الإناء - أو القرار فى الأرض - يقول لا يختار الحياة ولا الموت .

وقال القائل فى هذا المعنى :

كلُّ ما يفعل الحبيبُ حَبيبٌ والذى شاء بى فشىء عجيب .
إن سلون أراد بى فسلون ، أو وجيب أراد بى فوجيب .
وإذا ما أراد موتى فموتى أو حياتى لكل ذاك أجيب .
كلما كان من قضاء فيحلو بفؤادى نزوله ويطيب .

ومنهم من يتمنى الموت ويشتهيه ، ويَسَلْهُ ربَّه تعالى ويرغب إليه فيه ، وقد علم أن وراءه يومًا ثقيلاً ، وحبسًا طويلاً ، ومقامًا يقوم فيه ذليلاً ، لكن لما رأى نفسه منصوبًا للمجن ، معرضًا للفتن ، مرتهنًا بما هو به مرتهن ، وأبصر تفريطه فى الزاد ليوم المعاد ، وفى الاستعداد ليوم الأشهاد ، وخاف أن يُقطع عن سبيل المؤمنين ، ويختلج عن طريق المسلمين ، تمنى الموت لينجو من هذا الخطم ويسلم من هذا الغرور وأن ينقذه الله عز وجل بالإيمان ، كائنًا منه بعد ذلك ما كان ، وهذا إن شاء الله إذا مات خرجت له البشرى بالأمان وأن يحل فى جوار الرحمن حيث شاء من دار الكرامة والرضوان .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ ينزل به » . فإنه عليه السلام أراد الضر الدنياوى الذى ينزل بالإنسان من محن الدنيا فى النفس والأهل والمال ، وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضرر الأُخراوى وأن يُقْطَع بالمعاصى عن الله عز وجل ، وأن يُصَدَّ بالفتن عن سبيل الله . وبالجملة فالموت طريق نجاةٍ يركبها المؤمنُ ومرور وسلامةٍ يرد المسلمون لقوا فيه ما لقوا ، وسُقوا منه ما سقوا ، لكل ذلك يلقون لما يفضى بهم إليه من السعادة الأبدية ، والحياة السرمدية ، نسأل الله جميل الخاتمة وحسن العاقبة ومردًا غير مخزٍ ، ولا فاضح برحمته ، لا رب غيره .

والأحاديث التى وردت فى النهى عن تمنى الموت صحيحة .

١ – ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيًا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرًا لى** » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمنَ عمرهُ إلا خيراً** »[(٢)] أخرجه مسلم .

٢ – وذكر البخارى من حديث أبى هريرة أيضاً أن رسول الله – ﷺ – قال : « **لا يتمن أحدكم الموت إلا محسناً فلعله أن يزداد وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب** »[(٣)] .

٣ – وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله – ﷺ – : « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة »[(٤)] .

وسأذكر لك إن شاء الله جملة كافية مما ورد فى الموت ومما يعين على ذكره والفكرة فيه وذكر الصالحين له وكلامهم عند نزوله مع كلام غيرهم من المغترين والجهلة المخدوعين وما وراءه من السؤال والحساب ، والثواب والعقاب ، والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولعلك تظن بقولى هذا – « وبالجملة فالموت طريق نجاة يركبها المؤمنون » الكلام إلى آخره – أنى إنما أردت

---

(٢) **صحيح** * وهو عند مسلم (٨/١٧ – نووى) والنسائى (١/٧ /سيوطى)، والبغوى فى «شرح السنة» (٢٥٨/٥) وأورده السيوطى فى «الجامع الصغير» فهو فى قسم «الصحيح» منه برقم (٧٤٨٨).

(٣) **صحيح** * إتفق على إخراجه الشيخان ، البخارى (١٢٧/١٠ – فتح) ومسلم (٨/١٧ – نووى) ، وأخرجه ابن حبان فى «صحيحه» (٢٨٥/٤) ، والنسائى (٣/٤ – سيوطى) ، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٣٧٧/٣) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٥٨/٥) وابن المبارك فى «الزهد» (رقم – ٣٣) وغيرهم والله تعالى أعلم.

(٤) **حسن** * أخرجه أحمد (٣٣٢/٣) ، وفيه كثير بن زيد «صدوق يخطىء» كما فى «التقريب» (٣٢/٢) ، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢٠٦/١٠) رواه أحمد والبزّار ، وسنده حسن» ا.هـ.

بذلك تهوين الموت وتسهيل كربه ، وتحقير خطبه ، والازدراء بشأنه ، وقلة المبالاة به كلا ومَنْ كتبه على البشر ، وجعله عبرة من العبر ، وأخرى آية الكبر ، ما قلت ذلك لهواً وإنما قلته للحالة التى يؤول المؤمنون إليها ، ويقيمون عليها ، ويكرمون بها ، ويخلدون فيها ، فذلك يهوِّن الموتَ ، وما هو [بعد] الموت أعظم من الموت ، بل الإقامة فى سكراته وتجرع مراراته آلافاً من السنين وأضعاف ما تقرءون ، وإلا فالموت هو الخطب الأقطع والأمر الأشنع ، والكأس الذى طعمها أكره وأبشع ، وأنه للحادث الأهدم للذات ، والأقطع للراحات ، والأجلب للكرهيات ، وإن أمراً يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، ويبث أعضاءك ، وينشر أركانك ، لهو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وأن يومه لهو اليوم العقيم ، وما ظنك - رحمك الله - بنازل ينزل بك فيزيل رونقك وبهائك ، ويغير منظرك ورواءك ، ويمحو صورة جمالك ، ويمنع من اجتماعك وأفضالك ، ويردك بعد النعمة والنضرة والسطوة والمروءة والنخوة والعزة ، إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك وأعطفهم عليك ، فيقرِّبكَ فى حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها ، مظلمة أرجاؤها ، محكم عليك حجرها وصلدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك يتمكن منك الإعدام ، وتختلط بالرغام ، وتصير تراباً تطؤه الأقدام ، وربما ضُرب منك إناءُ فخار ، أو أُحكم بك بناءُ جدار ، أو طلى بك [إناء] ماء أو موقد نار ، كما روى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - « أنه أتى بإناء ماء ليشربه فأخذه بيده ونظر إليه وقال كم فيك من عين كحيل وخدٌّ أسيل » .

ويحكى : أن رجلين تنازعا وتخاصما فى أرض فأنطق الله عز وجل لبنة فى حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان إنى كنت ملكاً من الملوك ، ملكت كذا وكذا سنة ، ثم مت وصرت تراباً فبقيت كذلك ألف سنة ، ثم أخذنى خزّافٌ - يعنى فخّاراً - فعمل منى إناء فاستُعملت حتى تكسرت ، ثم عدت تراباً فبقيت ألف سنة ، ثم أخذنى رجل فضرب منى لبنة فجعلنى فى هذا الحائط ، ففيم تنازعكما ؟! وفيم تخاصمكما ؟!

وهذا التغير إنما يحل بجسدك ، وينزل ببدنك ، لا بروحك لأن الروح له حكم آخر ، وما قضى منك فغير متاع ، وتفرُّقه لا يمنعه من الاجتماع ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ [ق / ٤] .

والحكايات فى هذا الباب أكثر من هذا والكلام فيه متسع ، وقد دُوِّنت فى الموت الأخبار ، وصنعت فيه الأشعار ، وضربت بشدته الأمثال ، وكثر فيه القيل والقال ، وعملت بسببه أعمال وأعمال .

قال بعضهم :

قالوا صف الموت يا هذا وشدته
فقلت وأثر منى عند ذا الصوت
يكفيكم منه أن الناس إن عجزوا
عن [و] صف حبرهم قالوا : هو الموت

وقد أمر عليه السلام بذكره ، وأعاد القول فيه تهويلا لأمره ، وتعظيما لشأنه .

٤ - ذكر النسائى :

عن عائشة قالت قال رسول الله - ﷺ - : « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت »(٥) .

وهذا كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة ، وأبلغ فى الموعظة ، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنها فى المستقبل ، وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة ، والقلوب الغافلة ، تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلا ففيما ذكرته من قوله عليه السلام : « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » ما يكفى السامع له ، ويشغل الناظر فيه طرفة .

٥ - ويروى عن عطاء الخراسانى أنه قال : « مر رسول الله - ﷺ - بمجلس قد ارتفع فيه الضحك فقال [شُوبُوا] مجلسكم بذكر مُكَدِّر اللَّذات ، قالوا وما مكدر اللذات ؟ قال الموت »(٦) .

---

(٥) **صحيح** * من حديث **أبى هريرة** أخرجه الترمذى (٢٣٠٧) قال : حسن غريب والنسائى (٤/٤) وابن ماجة (٤٢٥٨) وابن حبان فى «صحيحه» (٢٩٨١ - ٢٩٨٣) والحاكم فى «المستدرك» (٣٢١/٤) والبغوى (٢٦٠/٥) والديلمى (٢١٧) قال الهيثمى فى «المجمع» (٣١١/١٠) رواه البزار وإسناده حسن.

(٦) **ضعيف** * قال الهيثمى (٤٨/٧) رواه الطبرانى وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. قال العراق [رواه] ابن

٦ – وخرج يومًا عليه السلام إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : « اذكروا الموت ، أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »(٧) .

٧ – وعن ابن عمر قال : « أتيت رسول الله – ﷺ – عاشر عشرةٍ فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله مَنْ أكيس الناس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداد قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة »(٨) .

٨ – وقال عليه السلام : « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد »(٩) .

٩ – ويروى عنه عليه السلام أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً فالناطق القرآن والصامت الموت »(١٠) .

١٠ – ويروى أن جبريل – عليه السلام – قال لرسول الله – ﷺ – : « عش ما

أبى الدنيا فى ذكر الموت هكذا مرسلاً وروايتها فى «أمالى» الخلال من حديث أنس ولا يصح وما بين المعكوفتين من «الإحياء» (١١٦/٦).

(٧) **صحيح * متفق عليه**. أخرجه البخارى (٥٣٦/٢ فتح) ومسلم (١٩٨/٦) وأخرجه أصحاب الكتب عن جمع غفير من الصحابة مجتزىء منها بحديث أم المؤمنين عائشة عند الشيخين والله أعلم.

(٨) **حسن** * أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» رواه الطبرانى فى «الصغير» وإسناده حسن ا.هـ.

(٩) **صالح** * أورده الديلمى فى «الفردوس» (١٠١) وهو أيضًا فى «الإحياء» (١٣٢/٦) وعزاه العراقى لابن أبى الدنيا فى «قصر الأمل» وأبى القاسم البغوى بإسناد فيه لين ا.هـ. وأخرجه أيضًا أبو بكر ابن أبى داود فى «البعث» وقال أبو إسحق المؤيد –حفظه الله– إسناده صالح. أخرجه أبو يعلى كما فى تفسير ابن كثير (١٧٨/٦) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (ق ٢/٧٦) والقضاعى فى مسند الشهاب (٣٣٣) من طريق ضمام ابن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبى هريرة. قال الهيثمى فى «المجمع (٢٢٧/١٠) رجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل وهو ثقة.

(١٠) **لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما بين يدى من المصادر**. ولكن جاء معناه فيما أخرجه أحمد (٣٦٦/٤) ومسلم (١٨٤/٨) والطبرانى فى «الكبير» (٨٦/٢/٥) وعزاه أخونا الشيخ حمدى السلفى للفسوى فى «المعرفة والتاريخ» (٥٣٧/١) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢) من حديث زيد ابن أرقم بأسانيد صحاح.

شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به »[11] .

وهذه الأحاديث رويتها من طريق أبى بكر البزار والقاضى أبى الحسن بن صخر وأبى على الغسانى وغيرهم .

١١ - وقال أبو الدرداء : « من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده » .

١٢ - وقال بعض أصحاب الحسن : « كنا ندخل على الحسن فما هو داكر إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت » .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه على حدته .

١٣ - وقال التيمى رحمه الله : « شيئان قطعا عنى لذاذة الدنيا ذكر الموت ، وذكر الوقوف بين يدى الله عز وجل »[12] .

١٤ - وقال مطرف بن عبد الله : « رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول فى وسط جامع البصرة : قطع ذكرُ الموت قلوبَ الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين[13] محزونين » .

١٥ - وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - « لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لَفَسَدَ » .

١٦ - وقال لعنبسة :[14] « أكثر ذكر الموت ؛ فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك ، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك »[15] .

١٧ - وكان يزيد الرقاشى يقولَ لنفسه : « ويحك يا يزيد من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد

---

(١١) **حسن** * أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣٢٤/٤) وصححه ووافقه الذهبى، وفى «المطالب العالية» (١٣٨/٣) عزاه شيخ الإسلام لأبى داود (يعنى الطيالسى) وقال الأعظمى رواه الطيالسى بسند ضعيف بضعف الحسن بن أبى جعفر لكن له شاهد رواه الحاكم وصححه ا.هـ

(١٢) **راجع الإحياء (١٠٧/٦).**

(١٣) **أثر مطرف فى الإحياء أيضًا (١٠٧/٦)**

(١٤) * **أثر عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فى «الإحياء» (١٠٨/٦)**

(١٥) ***قول عمر بن عبدالعزيز لعنبسة**. أكثر ذكر الموت إلخ هو فى «الإحياء» أيضا (١٠٨/٦).

الموت ؟ ثم يقول أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من الموت موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟! ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه » .

١٨ – ويروى أن عيسى عليه السلام أنه كان « إذا ذكر عنده الموت والقيامة تقطّر جسده دماً »[١٦] .

١٩ – وعن داود عليه السلام « أنه كان إذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكرت الرحمة رجعت »[١٧] .

٢٠ – وكان عمر بن عبد العزيز « يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة »[١٨] .

وأنشد بعضهم :

يا باكيا من خيفة الموت أصبتَ فارفعْ من مدى الصوت .
ونادِ يا ملهياً على فسحة فى العمر فاتت أيما فوت .
صبغتها ظالم نفسى ولم أصغ إلى موت ولا مَيْت .
يا ليتها عادت وهيهات أن يعود ما قد فات بالليْت .
فخل عن هذى الأمانى ودع خوضك فى هات وفى هيت .
وبادر الأمر فما غاب أسرع إتيانا من الموت .
كم شائدٍ بيتاً ليغنى به مات ولم يفرغ من البيت .

واعلم أن كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصى ، ويُلين القلب القاسى ،

---

(١٦) (**قوله**) ويروى (!) أن عيسى –عليه السلام– إذا ذكر الموت عنده ... إلخ
قلت : سبقت الإشارة فى خطبة الكتاب إلى أن مثل هذا الأثر – وأضرابه – إنما هو من الإسرائيليات التى لا يحتج بها فى ديننا والتى أمرنا ألا نصدقها وألا نكذبها – والله تعالى أعلم.

(١٧) * **وقوله «وعن» داود –عليه السلام–** أورده أبو حامد رحمه الله فى الإحياء (١٠٧/٦ ، ١٠٨) وفى كتاب ربنا مالا يحصيه المحصون من «البدائل» –إذا جاز هذا التعبير– لهذه الحكاية وأشباهها.

(١٨) * (**قوله**) وكان عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– يجمع الفقهاء. إلخ هو فى «الإحياء» وفى ترجمة عمر فى «الحلية» (٣٦٥/٥).

ويذهب الفرح بالدنيا ، ويهون المصائب فيها ، وأن من لم يخفه فى هذه الدار ربما تمناه فى الآخرة فلا يؤتاه ، ويسأل فيه فلا يعطاه .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه : « يا أخى احذر الموت فى هذه الدار من قبل أن تصير إلى دار يُتمنَّى الموتُ فيها فلا يوجد ويُطلَب فلا يُدرَك » .

٢١ – ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة – رضى الله عنها – قساوةً فى قلبها ، فقالت لها : « أكثرى ذكر الموت يرقَّ قلبُك . ففعلت ذلك فرقَّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة – رضى الله عنها – »[١٩] .

٢٢ – وقال الحسن : « فضح الدنيا واللهِ هذا الموتُ فلم يترك فيها [لذى لُبٍّ فرحاً] » .

٢٣ – وقال : « ما رأيت غافلاً قط إلا وجدته حَذِراً من الموت حزيناً من أجله »[٢٠] .

٢٤ – وقال كعب : « من ذكر الموت هانت عليه المصائب » .

٢٥ – وقال حامد اللَّفَّاف : « ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء : موت كريه المذاق ، ونارٌ أليمة العذاب ، وجنة عظيمةُ الثواب » .

– **واعلم** أن الموت لن يمنعه منك مانع ، ولا يدفعه عنك دافع ، وأن فيه لزجراً لِلَّبيب ، وشغلاً للأريب ، ومنبهة للنائم ، وتنشيطاً للمستيقظ ، وأنه لَلطَّالِبُ المُدِركُ ، والمُتَّبِعُ اللاحقُ ، والمُغِيرُ الذى يبعث الطليعة ويعجل الزينة ويسبق النذيرَ العريانَ ، لا يرده الباب الشديد ، ولا البرج المشيد ، ولا النحب العرمرم ، ولا البلد البعيد .

٢٦ – **روى خيثمة** عن سليمان بن مهران الأعمش وحدث به غيره أيضاً : « أن رجلاً كان جالساً عند نبى الله سليمان – ﷺ – فدخل عليه داخل فجعل ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان ويديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل :

---

(١٩) * (**قوله**) ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة –رضى الله عنها–.. الخ الإحياء (٦/١٠٧).

(٢٠) **أثر الحسن رحمه الله**. «فضح الدنيا».. إلخ
الإحياء (٦/١٠٨)

يا نبى الله من هذا الداخل عليك ؟ قال : ملك الموت . قال : يا نبى الله لقد رأيته يديم النظر إلىَّ ويشخص فى وإنى لأظنه يريدنى قال : فما تريد ؟ قال : أريد يا نبى الله أن تأمر الريح فتأخذنى فتلقينى فى أبعد جزائر البحر فإنه قد أطار عقلى وأذهب لبى ونفض كل عضو فى بدنى فأوحى الله إلى سليمان أو ألقي فى نفسه أن يفعل ذلك فأمر الريح فأخذته فألقته حيث أراد فما استقر بالأرض حتى نزل عليه ملك الموت فقبض روحه ثم رجع إلى سليمان فقال له سليمان : رأيتك تديم النظر إلى جليسى قال : نعم ، كنت أتعجب منه لأنى أمرت بقبض روحه فى أبعد بلاد الهند فى ساعة قريبة من الوقت الذى كان عندك فما هو إلا أن عرجت قيل لى : انزل عليه فإنه بها فنزلت عليه فوجدته بها فقبضت روحه »[٢١] .

وأنشد بعضهم :

ما أنت والرشا الأحوى تغازله والركب تسئل عنه فإنه الوادى .
رقد أضلك جيش الردى لجت كالبحر توصل أمداد بأمداد .
من كل واهية لو أنها مثلت شخصاً لأظلم منه كل وقاد .
لا يمنع المرء منها رأس شاهقة ولا يرده أشباهاً نسج زراد .
وأنت غار على ظهر الطريق وما لديك من ناصر يرجى ولا قاد.
كأننى بك مصروعاً لوطئته هذا أو أن مغار الفارس العاد .
ثم قد أتيت ولا منجا ولا ورد للويل أصبحت من ركض وأماد .
صح بالثرى وبالقصر المشيد عمى هيهات هيهات فإن القصر والناد.
يا وافداً وعيون الموت ساهرة لقد أعدت لأمر غير رقاد .

— **واعلم** : أن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع

---

(٢١) (**قوله) روى خيثمة عن سليمان بن مهران الأعمش** . ،. أن رجلاً كان جالسًا مع نبى الله سليمان ـ ﷺ ـ الإحياء (١٣٨/٦) وهى فى «حلية الأولياء» (٦٠/٦) بنحوه.

الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

٢٧ - يُروى أن الحسن البصرى - رحمه الله - « دخل على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربِهِ وعلوه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير الذى خرج من عندهم فقالوا له : الطعام رحمك الله أتأكُل ؟ فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه » .

- **وقال** بعض العلماء : « أى عيش يطيب وليس للموت طبيب » .

- **وقال** بعض الزهاد : « لنا من كل ميت عظة بحاله وعِبْرةٌ بِمالهِ » .

٢٨ - وقال ابن مسعود : « كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى ، وبالعبادة شُغْلًا » .

- **واعلم** : أنه وإن كان هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى ، فأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له ، وأن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر .

٢٩ - وفى خبر مروى عن النبى عليه السلام : « لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً »(٢٢) .

ويروى أن رجلاً من الأغنياء نزل به داء فى وجهه فعجز أطباء بلاده عن معالجته ولم يجدوا سبيلاً إلى شفائه ، فخرج يضرب فى الأرض ويخترق البلاد يطلب علاجاً لدائه وفرجاً لبلائه فدل على طبيب حاذق ببلاد الهند فقطع إليه المفاوز البعيدة ، وركب إليه البحار المخطرة واللجج الهائلة ، حتى وصل إليه بعدما كاد ،

---

(٢٢) * خبر أنه - ﷺ - **قال** : لو أن البهائم تعلم من الموت ... الحديث

* **ضعيف** * أورده فى «الإحياء» (١٠٥/٦) قال العراقى رحمه الله : « البيهقى » فى « الشعب » من حديث أم حبيبة الجهنية) ا هـ. وسكت عليه

وأقول : إنه ضعيف جدًا انظر «ضعيف الجامع» (٤٨١٣) وانظر أيضًا «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٣٥٣).

فدخل عليه فوجد رجلاً ملقى على فراشه جلدة على عظم فسلم عليه ، فأحسن الرد ، وأظهر البشر ، وسأله عن حاله ، ومن أى البلاد هو ، وما الذى جاء به ، فأخبره خبره فإنه إنما جاء يلتمس معالجة دائه . فقال له : كم معك من المال ؟ وما جئت به من البضاعة ؟ فأخبره فقال له : آخذ منك نصف ما عندك وأعالجك حتى تستريح . فأجابه إلى ذلك ودفع إليه نصف ما عنده فعالجه ولاطفه حتى ذهب عنه الألم وجميع ما كان يوجبه ولم يبق فيه شيء إلا أن موضع الداء بقى أسود دون ألم يجده فيه فقال له : قد برأ داؤك وذهبت علتك ، وقد استوجبتُ ما أخذتُه منك . فقال له : أيها الفاضل أنا رجل بعيد الداء أو ما ترى الموضع قد بقى أسود مخالفاً لونه لونى وكيف يكون هذا البرء وكيف تكون هذه الصحة وكيف تستوجب ما أخذته منى ؟ فقال له : لم أشارطك على نقاء اللون وبياض البشرة وإنما شارطتك على ذهاب الألم وحسم الداء ولست أنظر لك فيما تريده من إزالة هذا السواد إلا أن تدفع إلى النصف الثانى من مالك . فقال له : أيها الفاضل أنا غريب بعيد الدار نائى الأهل وإذا دفعت إليك النصف الثانى بقيت منقطعاً بى عن أهلى ووطنى فقيراً بأرض غربة عالةً على من لا يعرفنى . فقال له : لابد لك من أن تعطينى ما قلت لك وإلا لم أنظر لك فى شيء مما تريد . فلما رأى الرجل أنه لا يجيبه إلى معالجته والنظر فى أمره حتى يعطيه ما سأل أجابه إلى ما أراد ، ودفع إليه النصف الثانى ، فعالجه حتى ذهب عنه سواده فلما برىء قال له : أبقى لك شيء ؟ فقال : لا . قال : فاستوجبتُ ما أخذتُ منك ؟ قال : نعم . فقال له : يا هذا إنى لم آخذ مالك رغبةً فيه ولا لأستأثر به دونك ولكن أردت أن أعرف مقدار نفسك عندك وأيهما أحب إليك المال أم هى وقد رأيت ، هذا كله مردود إليك ، لا والله لا آخذ منك شيئاً ، ولا درهماً واحداً . فرده عليه ثم قال له : ما نحلتكم التى تنتحلون ؟ وما شريعتكم التى بها تتشرعون ؟ فقال له : نحن قوم مسلمون . فقال : وما مسلمون ؟ قال : نحن أمة محمد قال : وما محمد ؟ قال : رجل من العرب ثم من قريش بعثه الله إلينا رسولاً ، واختاره صفياً أميناً ، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، وذكر لنا أن بين أيدينا يوماً تبعث فيه الأموات ، ونجازى فيه بالسيئات والحسنات . قال : وكيف أنتم فى اتباعه ؟ قال : إنا نسلك فى غير هديه ، ونترك كثيراً من أمره . قال : والله يا هذا ما أقول كما تقولون ، وما ردَّنى كما ترى جلدة على عظم إلا الفكرة فى الموت خاصة وفيما هو ، فكيف لو

قلت كما تقولون من بعد الموت من الحساب والعقاب والجزاء والثواب ؟! ما رأيت بأقل عقولاً منكم . ثم دفع إليه ماله وانصرف . حدثنى بهذه الحكاية أبو عمر الشريف رحمه الله . وهذا الكلام الأخير منها فى ذكر الموت وغيره .

[وأنشدوا :]

عجبتُ لمن يبكى رسمَ دارٍ عفتْ آياتها أو سير ظعن .
ويترك نفسه يبكى عليها وقد جبلت على صعب ووهن .
وقد صاح الحمام بها احبسى من وقهم ويلك ذا التأنى .
ومن بعد الحمام له حديث يريه من العجائب كل فن .
حديث ما حديث يبين له اليقين من التظنى .
وعمر ينقضى فى غير شىء ولكن فى المحال من التمنى .
وتعذلنى لأن أرسلت دمعاً على وجنات ذى خبر وغبن .
ألا يا حاج والبلوى ضروبا ودعتك للذى تهوى .
إذا أنا لم أبكِ ذهابَ عُمرى فمن هذا الذى تبكيه عينى ؟!

ولعلك تقول : لو أنى قصرت أملى كما تريده منى وقصر ذلك أمله وذلك أمله وقصر الناس آمالهم تركوا صناعاتهم وأسباب معيشتهم فخربت الأرض وهلك الناس وفسد هذا العالم .

فأقول : نعم صدقت لو قصر الناس آمالهم بحيث يتركون صناعاتهم والنظر فى معيشتهم وعمارة دنياهم واجتمعوا على ذلك لكان ما قلت ، ولكنهم لا يفعلون ، وليس بتقصيرك أنت أملَك يقصر الناسُ آمالَهم ولا بزهدك أنت فى الدنيا يزهد الناسُ كلُّهم فيها فلا تبكه هذا ولا تشغل نفسك به ، ولا يمنعك ذلك من تقصير أملك ، ولا من زهدك وإصلاح عملك ، وعليك نفسك فعنها تُسأل ، وبالواجب عليها تطلب ، وليس تقصيرك أملك بالذى يمنعك أن تطلب رزقك ، وأن تشتغل بإصلاح معيشتك وتربية ولدك ، إلى غير ذلك من جميع منافعك ، بل تقدر أن تجمع بينهما ، وذلك أن تنظر – بمعونة الله عز وجل وتثبيته إياك – سبب معيشتك ، فإن كان مما يتكرر كل يوم عملت فيه يومك ، وأخذت منه قوتك ، ولم تعول على أنك تعيش

غداً ، بل أصبحت غدا عملت كذلك أيضاً وكذلك إن كان سببها مما يتم بعد أيام كثيرة ، أو يكون مما تنظر فيه السنة كلها كالزراعة ونحوها ، ما نظرت فيه على كماله ولم تعول على أن تدرك آناته وأن تبلغ وقته ، فإن بلغته كان الذى أردت ، وإن اخترمتك المنية دونه كان ما عملت منه معونة لغيرك، وتمهيداً لمن يأتى من بعدك ، فتقدر أن تعمل السبب الذى تكون فيه معيشتك كما وصفت لك ، وتقصر أملك عن تمامه ، [سواء] كان السبب مما تعمل فيه سنة أو يوماً أو أقل ، وكذلك سائر الناس ولو كانوا هكذا لما هلكوا ، ولا خربت الأرض ، ولا قبر هذا العالم كما قلت ، لكنه كان يقل فرحهم بالدنيا وسعيهم لها واغتباطهم بها ، وكانوا يتركون تشييد البنيان وتنقيده وزخرفته وتنحيره ، ويدعون التأنق فى ملابسهم ومراكبهم ، إلى غير ذلك من جميع أمورهم ، ويختارون من الدنيا ما أمكن ، ويأخذون منها ما يتيسر ، ويقتصرون على ما يُبَلِّغ ، فتقل تبعتهم ، ويهون حسابهم ، ويخرجون من الدنيا خفافاً ، يقدرون على قطع عقبات الآخرة ، وسلوك طرقها الضيقة ، وسبلها الشاقة ، ويسهل عليهم الأمر هنالك ، وأما قصر الأمل حتى تُتْرك الصناعات وأسباب المعيشة فإنما يصح فى ذلك بعض الأشخاص ، وفى القليل من الناس ، فإنه إن فعل ذلك قام غيره بمؤونته ، ونظر له سواه فى معيشته ، سنة الله عز وجل مع المتوكلين ، وعادته مع المنقطعين ، ويبقى أولئك مع آمالهم والنظر فى أعمالهم ، فإن الأمل رحمة من الله تنتظم بها أسباب المعاش ، وتستحكم بها أمور الناس ، ويتقوى به الصانع على صناعته ، والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال ، حتى أنسى وألهى وحط عن صالح الأعمال .

٣٠ – يروى « أن الله عز وجل لما مسح ظهر آدم فاستخرج ذريته قالت الملائكة رب لا تسعهم الأرضُ قال تعالى : إنى جاعلٌ موتاً . قالت لا يهنيهم العيشُ – قال : إنى جاعل أملا » .

– **وقال الثورى** : « بلغنى أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك ما هناه العيش » .

– **ويروى** أن عيسى عليه السلام « كان جالساً وبين يديه شيخ يعمل بمسحاة فى أرض له ، فنظر إليه وقال : اللهم انزع الأمل من قلبه فطرح الشيخ المساحة وقعد . فقال عيسى عليه السلام : اللهم رد عليه أمله فقام الشيخ إلى

مسحاته ورجع إلى عمله . فدعاه عيسى عليه السلام فقال : أيها الشيخ لم طرحت مسحاتك ثم رجعت إليها ؟ فقال يا روح الله بينا أنا أعمل بمسحاتى إذ قلت فى نفسى وإلى متى هذا العمل وإلى متى هذا التعب ولعل الموت يأتينى فى هذه الساعة ، فطرحت المسحاة وقعدت ، فبينا أنا قاعد تفكرت فى نفسى وقلت ولعل الموت لا يجيئنى فى هذا الوقت ، وأنا أحتاج إلى قوت يقيمنى ، وغذاء يمسك بنيتى ولابد من العمل ، فقمت إلى مسحاتى ورجعت إلى عملى »[٢٣] .

٣١ - **وقال** مطرف بن عبد الله « لو علمت متى أجلى لخشيت ذهاب عقلى ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة عنه ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق »[٢٤] .

٣٢ - **وقال** الحسن : « الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق »[٢٥] يريد لو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وحرب الموت بحيث لا ينظرون فى معايشهم ، وما يكون سبباً لحياتهم لهلكوا » وكذلك أراد مطرف رحمه الله .

٣٣ - **ويروى** أن الفضل بن فضالة : « سأل ربه أن يرفع عنه الأمل فاستجاب له فترك الأكل والشرب ولم تستقم له عبادة فدعا ربه أن يرد عليه أمله فرُدَّ عليه فرجع إلى طعامه وشرابه » .

٣٤ - **وقال** سعيد بن عبد الرحمن : « إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها » يريد أن لقلة عقولهم انصرفت هممهم عن الآخرة وأقبلت على الدنيا فعمروها واشتغلوا بها .

واعلم رحمك الله أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر ، وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير متيسر ، فإن حب الدنيا هو سبب طول الأمل فيها ،

---

(٢٣) (**قوله**) ويروى أن عيسى –عليه السلام– كان جالسًا وبين يديه شيخ .. إلخ– زاد فى «الإحياء» «يثير بها الأرض» الإحياء (١١٣/٦)

(٢٤) (**قوله**): وقال مطرّف إلخ الإحياء (١١٣/٦).

(٢٥) (**قوله**): وقال الحسن. «الغفلة والأمل» الإحياء (١١٣/٦)

والإكباب عليها يمنع من الفكرة فى الخروج عنها ، والجهل بغوائلها وعواقبها يحمل على الإرادة لها ، والازدياد منها ؛ لأن من أحب شيئاً أحب الكون معه والازدياد منه ، ومن كان مشغوفاً بالدنيا محباً لها حريصاً عليها قد خدعته بزخرفها وأمالته برونقها وسحرته بزينتها كيف يريد مفارقتها ؟! أو كيف يحب مزايلتها ؟! هذا أمر لم تجرِ العادةُ به ولا حُدِّثنا عنه . بل تجد من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير ، أصم عن داعى الرشد ، أهل الرأى ، مسىء النظر ، ضعيف الإيمان ، لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يرى الحقائق بواسطته ، إنما دينه وشغله وحديثه دنياه ، لها ينظر ولها يسمع ، ولها يعطى ، ولها يأخذ ، قد ملأت عينه وقلبه وأذنه .

كما قال القائل :

ملأت قلبه غرورا وفتنة وأصمت عن الحقيقة أذنه .
ورمت عينه يزمة سحر طمستها مما يرى ما .
لم تدع فيه مطمئنا لسواها فهواها لديه فرض وسنة .
أى خرافة تعلق منها اثها اثها وباثه باثه .
فاطرحها وما أخالك إلا مثله فالكلام سعر وجنة .

فتجده قد طول أمله ومد المسافة بين يديه ، فإن كان شاباً قال : أنا صغير والأيام بين يدى دائرة حتى أبلغ ستين سنة أو سبعين سنة ، وأنا محتاج إلى الزوجة ، والزوجة تحتاج إلى كذا وكذا ، وإذا كانت الزوجة كان الولد ، وكانت البنت ، واحتاج الولد إلى كذا وإلى كذا ، واحتاجت البنت أيضاً إلى كذا وإلى كذا ، وهذا كله إنما يكون بالمال ، فإن لم يكن لى مال لم أصل إلى مرغوب ، ولم أظفر بمطلوب ، فإن قعدت عن الطلب احتجت إلى الناس ، وإذا احتجت إلى الناس احُتقِرتُ واستُخِفَّ بى وجُهِلَ قدرى .

كما قال القائل :

والمرء لا يصغر مقداره إلا إذا احتاج إلى الناس

وترى فلاناً قد كسب وجمع ، وتزوج وتمتع بالمراد ، ووصل إلى ما أراد ، وفلان كذلك وفلان كذلك . ولا يقول ترى فلاناً كان شاباً مثلي وأراد ما أردت ، وسعى فيما سعيت ، فمات قبل أن يصل إلى إرادته ، واختُطف قبل أن يحصل على طلباته ، ولا يقول ترى فلاناً طلب واجتهد ، فلما اجتمع له ما اجتمع سُرق منه أو عُدى عليه فاغتصب ، أو عطب فى رجوعه إلى بلده وانصرافه إلى وطنه فمات فى عطبته ، وهلك فى نكبته ، أو خرج محروماً مسلوباً فقيراً خسيراً . وترى فلاناً كذلك وفلاناً كذلك إنما يعرض على نفسه ويجرى على « خاطره من بلغ إلى إرادته ، ووصل إلى أمنيته ، لأن ذلك هو الذى غلب على قلبه ، وشغف بحديثه ، فتراه يسعى ويرغب ، ويحرص ويطلب ، ويزجر ويكرب ، فى حدور وصعود ، وطلوع وهبوط ، آناء الليل وآناء النهار لا يقرُّبه قرار ، ولا تضمه فى أكثر الأوقات دار ، كلما فرغ من شغل أخذ فى آخر ، فيما يحتاج إليه ومالا يحتاج إليه ، بل لا يفرغ من شغل إلا وقد عرضت له أشغال ، ولا يصل إلى أمل إلا انبعثت له آمال ، فيمنى نفسه بالأمانى الباطلة ، ويحدثها بالأحاديث الكاذبة ، فإن وصل إلى حظ من المال ونصيب وافر من الكسب – مما يمكن أن يعيش به عمره كله أو طعن فى السن – وقيل له يا فلان أرح نفسك ، وودع جسمك ، وهذا الذى عندك يكفيك . قال لا تقل هذا يا أخى ، الليل والنهار بين يدى ولا يكفهما قليل ، ولن يدوما على آجر إلا أذهبا ما فى يديه ، وأخذا ما كان عنده ، ولا تدرى ما يكون ، والآفات كثيرة ، والأمراض متوقعة ، والحاجة إلى الناس صعبة ، ولاسيما مع الكبر ولاسيما إن كان الأهلُ والولدُ ، فيقيم العذرَ لنفسه ، ويطلب لها الحجة ، ويُوجِدُها الدليلَ ، ويصحح لها بزعمه التأويل .

فإن ذُكِّر بالموت أو حُدِّث بموت إنسان قال إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله إنا لفى غفلة ، والله إنا لفى غرور ، والله إن هذه لمصيبة ، لا يدرى الإنسان متى يُخترَم ، ولا متى يختطف ، ولا متى تفجؤه المنية ، ويحل به هذه الرزية ، وتنزل به هذه المصيبة . هكذا قولاً بلا فعل ، وكلاماً بلا نية ، ولو كان عن صدق نية وصحة إرادة لظهر ذلك عليه ، وبدت مخائله منه .

وربما وعد نفسه ومناها ، وطمعها فى التوبة ورجاها ، وقال لو جئت من هذه السفرة ، أو لو بنيت هذه الدار ، أو لو جمعت ما كان لى متفرقاً ، أو لو جهزت هذه البنت ، أو هذا الولد ، وأدخلته بيته ونظرت له فيما يعيش لتفرغت للنظر لنفسى ، وقدمت ما أجده فى رَمْسى ، وكنت من دارى إلى مسجدى ، ومن مسجدى إلى دارى ، لا أنظر فى شيء ولا أشتغل بشيء . فإن جاء من سفرته تجهز لغيرها ، وإن فرغ من بنيان داره نظر فيما يصلح لها ، وإن جمع ماله نظر فى تفريقه فى الوجه الذى ينميه ويزيد فيه ، وإن جهز ولداً بقى له آخر ، وإن لم يكن له أحد قال ما تريد ؟ تريد أن آكل ما عندى وأرجع إلى ولدى حتى يطعمنى ويكسونى ويعولنى ؟! لا يكون هذا أبداً ، الموت فى القفار ولجج البحار أهون على من هذا . فهو هكذا أبداً لامع المال ولا داون المال ، ولا مع الولد ولا داون الولد ، يحدث الناس عن الأموات ولا يحدث نفسه بأنه يموت ، ويشيع جنائزهم ولا يتخيل أن جنازته تشيع ، ويقدر العيش الطويل ولا يقدر الموت القريب ، قد غلب عليه السهو ، وأطبقه الجهل ، ومدت عليه الغفلة طرق الإنابة ، وصرفت عن أسباب الفكرة وكم رأى من إنسان قد أعدَّ ثوباً ليلبسه فكان كفنه ، وكم رأى ممن يبنى داراً ليسكنها فكانت قبره ، وكم رأى من آخر كان يحب الولد ويشتهيه ، ويتضرع إلى الله عز وجل ويرغب إليه فيه ، فلما أُعطِيه ومن عليه به جمع عليه الرجال ، وأنفق عليه الأموال ، وقال العقيقة سنة ، والنفقة فيها حسنة ، وربما كانت نفقته إلى الإسراف أقرب ، وإلى التبذير أميل ، وربما كانت نفقته للمناكير وسلما لبعض المعاصى ، على رؤية منه ومشاهدة لذلك ، كما جرت العادة فى الأعزام والولائم والاجتماعات ، فيجعل الإسراف شكراً لتلك النعمة ، والمعصية جزاءً لتلك المنة ، ولعل الولد يموت بعد ذلك بأيام ، أو بأشهر أو بأعوام ، أو يعيش فيرى فيه من الأمراض والأسقام ، وأنواع الابتلاء والامتحان ، ما يود معه أنه هو لم يكن ، فكيف ولده ؟!

هذا أمر مشاهد بالعيان وموجود بالبرهان ولعله إن شب وبلغ فيه الأمل ، ورأى له من العمر ذاك الذى كان يؤمل ، صار له أعداء الأعداء ، وكان منه أبعد البعداء ، كما قد سمع بجماعة قتلهم أولادهم ليستعجلوا ميراثهم ، أو لينتهى إليهم الملك بعدهم ، ونعوذ بالله من أمر لا يستخار الله فيه ، ولا يرد إليه عند تمنيه .

وكذلك إن كان صاحب تجارة فى سوقه وملتزماً فى دكانه ، إنما هو من الحانوت إلى الدار ، ومن الدار إلى الحانوت ، من الصباح إلى المصباح ، ومن البكرة إلى اخر الرواح ، وإن كان ممن يصلى فى السحر ويكثر التعاهد له قل ما يخلو فيه مع ربه ، ويتنصل من ذنبه ، إنما هو فى الحديث مع فلان والضحك مع فلان ، والسؤال عن أحوال الإخوان ، وما جرى فى البلدان ، وما أنفق فى القديم من الأزمان ، وربما أخرجه ذلك إلى الغيبة وكثير من البهتان ، وكذلك صاحب الصنعة .

والضعيف من الحرفة إنما هو فى كد وعناء ، وتعب وشقاء ، ونصب وبلاء ، كده وجهده ولذته وأمنيته أن يكسو ظهره ، ويُشْبِع بطنه ، أو يقوم على عيال أو يغذو أطفالاً ، مع شكائه لربه ، وتسخط لحكمه ، وتبرم بقضائه وقلة صبر على بلائه ، ولا يحدث نفسه بموت ، ولا يخطر بباله زوال ، ولعله إن ذكر الموت إنما يذكره متمنياً ، ليريحه من ذلك العذاب العاجل الذى عذب به ، وذلك البلاء النازل الذى نزل عليه ، وشغله ما لقى فى الحال عن النظر فى المآل ، وعن التزود من صالح الأعمال ، فلا من أبناء الدنيا المنعمين ، ولا من طلابها المدركين ، ولا مع الصابرين الراضين الحامدين الشاكرين .

ولا يزال كل واحد من هؤلاء على حاله مواظباً ، ولما هو فيه ملازماً ، حتى يموت على ما هو عليه ثم يبقى فى البرزخ على ما كان عليه ، ثم يبعث على ما بقى عليه فى البرزخ ، أو تتغمده الرحمة ، وتتغشاه المنة ، فينقذه ربه تعالى من هذه الغمرات ، ويأخذ بيده فى هذه الهلكات ، ويجعل له نوراً يمشى به فى الظلمات ، على ما يرجى من مشيئته وفضله ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

وربما كان الرجل مبخوتا من أول عمره إلى آخره ، فيولد فى نعمة ويتربى فى نعمة ، وينشأ فى نعمة تمد عليه ظلالها ، وتطول من خلفه أذيالها ، ويجود عليه فى كل حين إسعادها وإقبالها ، قد صار لوالديه ديناً ودنيا ، فله يقومان وله يقعدان ، وله يهتمان وله يجمعان ، وبعينه ينظران ، وبأذنيه يسمعان ، ثم يموتان ويسلمان له تلك النعمة بكمالها ، ويتركانها له على حالها ، لم يسمع له فيها أنين ، ولا عرف له فيها جنين ، فيبقى هو على ما كان عليه ، يمد فى تلك النعمة يديه ورجليه ، ويفتح لها عينيه وأذنيه ، فما شئت من لذة تنال فى الحال وأخرى تنتظر فى المآل ، كلما نال لذة

سعى فى أخرى ، وكلما وصل إلى مطلوب نظر فى غيره ، لم يصحب إلا شكله ، ولم يسمع إلا قوله ، ولا رأى إلا عمله وفعله ، فإن ذُكِّر بالتوبة أو خُوِّف بالموت ، قال دعنا من هذا وحدثنا فى غير هذا ، هذه سنوات الصِّبا وأيام الشباب ، ومنازل اللّذات ومرتع الأحباب .

كما قال القائل فيه وفى أمثاله :

قال أموت أخاف من سالمنا ثم سعى يطلب أمثالها .
وواقع الذنب فما هاله والباذخات الشم قد هالها .
وقال هذه سنوات الصبا فاسحب على رسلك أذيالها .
وقم إلى خاتم حرب المنى ففضه واشتف جزياً لها .
ومن يقل فى شأننا قولة فخلها فى فم من قالها .
أما ترى القضبان ميالة فأمرد على رأسك ميالها .
ومر فيستهتر فى عصبة من شكلة تصحب أشكالها .
أولى له ثمت أولى له وتلكم العصبة أولى لها .
يا ويحه من غافل يا له وتلكم العصبة يا ويحها يالها .

يقول وإذا كبرت تبت ، والطلق ممتد والميدان عريض . ولا يرى هذا أنه قد شيع إلى الآخرة من كان أصغر منه ميتاً ، وأحدث بالرحم منه عمراً ، قد عزته الشيبة ، وخدعته الصحة ، وتمكنت منه الغرة ، بما عنده من الثروة والقوة ، يقول أنا صحيح ومتى أمرض ومتى أموت ، ولا يرى المسكين أن الموت فى الشباب أكثر ، وحادثه إلمهم فيه أسرع ، وإن الإنسان يموت بغتة وإن لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات .

٣٥ – **كما يروى** إن الحسن قيل له إن فلاناً مات بغتة فقال : « ما يعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة لمرض بغتة ثم مات » .

أما يعلم هذا البائس أن الأرض كلها مكان للموت ، وأن الزمان كله وقت للموت ، فلا يختص بمكان من الأرض دون مكان ، ولا من العمر بوقت دون وقت ، فلا يزال هذا المغرور مكباً على شهوته ، مثابراً على لذته ، غافلاً عن يوم صرعته ، حتى يؤخذها ، بما تأخر وما تقدم ويلقى صريعاً لليدين

وللفم ، إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم ، تبكيه بواك طال ما من حبها أبكته ، وتندبه نوادب طال ما قبل ذلك غنته .

وفى مثل ذلك قيل :

تندبه نادبة طال ما غنته من قبل وغنى لها .
ولم يكن يخطر ذا باله ولم يكن يخطر ذا بالها .

فانظر – رحمك الله – كيف يقصر مع هذه الأحوال أمل ، أو يستقيم معها عمل ، أو كيف يطمع مع هذه المواقع أن يخرج حب الدنيا من القلب ، أو تنقطع علائقها عن النفس ، أو يخطر بالخاطر ذكر الموت ، كلّا حب الدنيا فى القلب أرسخ ، وإخراجها منه أصعب ، والنفس إليها أميل ، وهى بها أشغف ، وفى طلبها أهلك وأتلف ، وعن طريق الرشد أبعد وأصرف ، وإن حب الدنيا هو الداء العضال الذى أهلك الرجال ، وأفسد كثيراً من الأعمال ، إلا أن تأتى العناية الإلهية ، والشفاعة الربانية ، فتصرف الإنسان إلى النظر الصحيح ، وتحمله على الطريق المستقيم ، فيرى بعين الحقيقة وصحيح البصيرة أنه لابُدَّ له من الموت وإن طال المدى وامتد الطلق وبعدت الغاية ، وأنه سيصير تحت أطباق الثرى ، ويرمى به فى ظلمات الأرض ، ويسلط الدود على جسده ، والهوام على بدنه ، فتأخذه من قرنه إلى قدمه ، قد عدم الطبيب وأسلمه الحبيب ، وتركه الولى والقريب ، وعرض عليه عذاب السعير ، وأتاه منكر ونكير ، ولم يجد هنالك أنيساً إلا عمله ، ولا صاحباً إلا فعله الذى فعله .

كما قال القائل :

أسلمنى الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عنى فيا وحشتا .
وعاد دونى مغرماً بائساً ما يبدى القوم إلا البكا .
وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتا .
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل المها .
ولم أجد لى مؤنساً ها هنا غير فجور كان لى أو .
فلو ترانى وترى حالتى بكيت لى يا صاح مما ترا .

وأما الدنيا فينظر إليها فإن كان ملكاً نظر إلى من تقدمه من الملوك وماذا فعل الدهر بهم ، كيف فرق جموعهم ، وشتت جميعهم ، وأفقر منهم قصورهم ، وعمّرهم حفرهم وقبورهم ، وينظر إلى أيام ملكه هل يخلو من عدو يكابره ، أو منازع يكابده ، أو قتال يكافحه ، أو مرض يهجم عليه ، أو خلط سوء يثور معه ، وأنه كما قيل تمره يخمر ، وإن نال لذة تجرع بعدها غصة ، وإن أتته فرحة غشيته ترحة ، بل ربما كانت الترحات أكثر من الفرحات ، والداهية أكثر من الصافية ، وكلما عظم ملكه ، عظمت همته وامتد أمله ، وأراد مالا يمكن ، وطلب مالا يجد ، وقد يأتيه النكد من حيث لا يظن ، ويدخل معه الهم من حيث لا يحتسب ، ولو من جارية يحبها وامرأة يشغف بها ، فيجعلها قبلته ، ويصفى لها مودته ، ويخلص لها محبته ، ويريد منها مثل ذلك والقلوب قد تتنافر ، والمزاج ربما يختلف ، والطباع قد لا تتفق ، فيرى منها خلاف الذى يريد ، ويجد عندها غير الذى يطلب ، ولا يقدر على معاقبتها ، فإنه إن عاقبها إنما يعاقب نفسه ، وإن آلمها إنما يؤلم قلبه ، فتجده يتحمل منها مالا يتحمله منه بعضُ رعيته ، فبينا هو ملك إذ صار مملوكاً ، وبينا هو رئيس قد عاد مرؤساً ، كما قد سُمع وتُحُقِق عن بعض الملوك حتى قال أمير المؤمنين هارون الرشيد وقصته مشهورة :

ملك الثلاث الآنسات عنانى وحلقن من قلبى بكل مكان .
مالى تطاوعنى البرية كلها وأطيعهن وهن فى عصيانى .
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوى أعز من سلطانى .

وقد تكون صادقة فى محبتها مخلصة فى مودتها فيتهمها فى وداد [ها ، ولا] يصدقها فى إخلاصها ، لشدة كلفه بها وفرط محبته لها ، لأنه يتخيل أن عيشه لا يطيب وسروره لا يتم وفرحه لا يكون إلا بأن تخلص له المودة من قلبها ، وتحبه من ذات نفسها . وقد تكون له كما يريد فيخلع عنانه معها ويستوى سروره بها ، فيصاب فيها بمرض أو يفجع فيها بموت ، فيعود الفرح حزناً والسرور مأتما .

٣٦ – **كما روى** فى قصة « أن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين كان مشغوفاً بجارية يقال لها حبابة كانت قد ملأت قلبه وأطاشت عقله وأذهبت لبه ، ونزلت من نفسه حيث أرادت وحلت منه بالمحل الذى شاءت ، وكان قد نزل منها

بالمكان الذى نزلت منه ، فقال يوماً لحاجبه : لا تأذن اليوم علىّ لأحد ولا تخبرنى بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكى . وخلا بجاريته تلك فى مجلس أنسه ومقام سروره ومعه من الدنيا ما يكون مع مثله ، فبينما هما على ما اشتهيا إذ أخذت حبة رمان فأدخلتها فى فيها فشرقت بها فتخبطت حتى خرجت روحها بين يديه ، فلا تسأل عن حال يزيد وما طرأ عليه وما حل به . ففقد الصبر والعقل وتوله وتحير وتدله ، وأكثر الصراخ والبكاء والصياح والعجيج والضجيج ، ومنع من دفنها وصد عن مواراتها وأقامت على ذلك أياماً حتى تغيرت وتنتنت ، فاجتمع إليه بنو أمية وعزوه فيها وصبروه عليها وسألوه فى دفنها وقالوا له : يا أمير المؤمنين هذه فضيحة بنا ، وسبة علينا وأى فائدة لك فى تركها وكم عسى أن تبقى على هذه الحالة وكم عسى أن تدوم على هذه الصفة . ولم يزالوا به ، وكلمه النساء ممن يكرم من أهله وسراريه ، إلى أن أمر بدفنها وخرج فى جبانتها على رجليه ولما دفنت تمثل على قبرها ببيت : جنبها .

وكل خليل رآنى فهو قائل من أجلك

هذا هالك اليوم أو غد

ثم أخرجها من قبرها بعد شهر وجعل يعانقها ويقبلها فاجتمع عليه أهله وبنو عمه من بنى أمية وقالوا : ما هذا يا أمير المؤمنين والله لمن سمع بهذا لتتخلص من ملكك ولينتقص عليك أمرك وليقومن فى مقامك غيرك فأقصر عن ذلك الهيام وسكن من ذلك . ثم لم يزل واجباً عليها محزوناً بموتها إلى أن مات ولم يعش بعدها إلا يسيراً ، وغيره كذلك وغيره وغيره .

وكذلك إن لم يكن ملكاً وكان قديراً أو غير ذلك من الناس ، وصفاتهم فى تقلب الدنيا بهم معلومة ، وأحوالهم فيها مشهورة ، كل واحد منا يعلم هذا من نفسه ويراه من غيره ، وأنه ليس من إنسان إلا وله شرب من [الغم] ونصيب من الهم ، يقل عند إنسان ويكثر عند آخر ، فإذا أخذ نفسه هذه الأفكار ، وعرض عليها هذا الاعتبار أعرض عن الدنيا ولم يلتفت إليها ولا شغل نفسه بها ، وتذكر الموت وخاف فجأته ولم يأمن بغتته ، ولم

يسمع إلا وجبته ، ولا رأى إلا [أخذته] وصرعته ، والله تعالى ولى التوفيق بفضله وطوله .

واعلم رحمك الله أن من كان منتظراً العقاب ينزل به من أمر فلذته أو عظيم قربته فإنه لا يزال متألم القلب مشغول النفس وبحسب النوع الذى يخاف من العقاب يكون ألم قلبه وشغل نفسه ، فإنه مَنْ توعدَه الأمير بأن يضربه مائة سوط يكون أشغل سواء ممن توعده بأن يضربه عشرة أسواط . ومن توعده بأن يقطع جارحة من جوارحه كان أكثر توجعاً ممن توعده بأن يضربه مائة سوط . ومن توعده بأن يضرب عنقه كان أشد خوفاً ممن توعده بأن يقطع بعض جوارحه . وكذلك من توعده بأن يجعل عليه أنواع العذاب ويعاقبه بضروب من العقاب حتى يموت تحتها وتخرج نفسه بها كان أعظم جزعاً ممن تواعده بضرب عنقه ، هذا هو المتعارف . فإن وُجِد إنسان يختار تطويل العذاب ويهون عليه رعبه منه فى الحياة ما بين موته بالعذاب وسرعة موته بالسيف فهذا رجل قد غلب عليه الجزع وملك قلبه الهلع فأطاش لبه وأزال عقله حتى منعه من حسن النظر وأوقعه فى سيء الاختيار ، وما منا أحد إلا وقد تُوعِّد بالقتل لأن الموت قتل فى الباطن ألا ترى أنه يقال : قتل فلان فلاناً ، فيقال : بم قتله ؟ فيقال بسيف أو بسكين أو بحجر أو خنقه أو غرّقه أو بغير ذلك من أنواع القتل والموت كالخنق فهو إذاً قتلةٌ من القتلات وإنما جرت العادة بأن يقال قتل فلان إذا قتله مخلوق وقد يقال قتل الله فلاناً وهو قد مات من علة أو مات بغتة ولم يكن لمخلوق فى ذلك فعل فقد بان لك إذاً أن كل واحد منا ينتظر القتل ولا فرق بين أن يثب عليك إنسان بسيف أو بسكين أو حجر أو غير ذلك فيقتلك أو يثب عليك ذلك الموت فيقبض روحك . فلو كُشف للناس عن أبصارهم فرأوه حين يثب عليك وشاهدوه فى الباطن حين يأخذ روحك لما كان بينه وبين إنسان يقتلك فى الظاهر فرق ، إلا أن الإنسان يحتاج إلى آلة يقتلك بها من سيف أو سكين أو غير ذلك والمَلَكُ لا يحتاج إلى شيء من ذلك فإن أخذك إنسان وروعك وحبسك للقتل وهددك ثم قتلك فاجعل ذلك الألم الذى تجده من حبسه وترويعه وتهديده كالذى يصيبك من المرض أو مما كان من العلل قبل الموت ثم تموت ومعلوم أن من الأمراض ما يقوم أَلَمُه مقام التهديد

والوعيد بل منها ما هو أشد وأشق كوجع الاحتقان ووجع الخصى وغيرها ، وقد شوهد من الناس من مات من وجع الخصى ووجع الاحتقان ، وليس القتل الذى هو الضرب بشيء على يد مخلوق ولا ما يكون على غير يد المخلوق كالهدم والغرق والحرق وغير ذلك مما يزيد فى شدة الموت ويكثر من ألمه ووجعه لأن هذه كلها أسباب للموت والموت شيء آخر وهو أمر إلهى ينزل بالروح لا يعلم حقيقته إلا الذى ينزل به .

قال أبو حامد – رحمه الله– : « اعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها على الحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس على الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذى يشهد له هو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح أحس ، فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم والمؤلم [إذا] لم يتفرق على اللحم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم ، فإن كان فى الألم ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده . والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجده فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة ، وإنما يعظم أثر الإحراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحرق ظاهراً ولا باطناً إلا وتصيبه النار ، فتحس به الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم ، وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذى يمسه الحديد فقط ، فكان لذلك ألم الجروح دون ألم النار . فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرقٍ من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة [وبشرة][٢٦] من [القرن][٢٧] إلى القدم ، فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا : إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض

---

(٢٦) (**قوله**) : قال أبو حامد...، ...، [وبشرة] : ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من نسخ أخرى.

(٢٧) [**القرن**] : ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من النسخ التى قابلناها بالمعتمد عليها والمقصود بالقرن الرأس [الوسيط (٧٣٠/٢)]

بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشَر نفس الروح ، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوة فى قلبه وفى لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه شدة ألمه وغلب على كل موضع منه فَهَدَّ كل جزء وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد [غَشِيَهُ][٢٨] [وَشَوَّشَهُ][٢٩] وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويَود أن لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خواراً وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وارْبَدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل خلقته ، وقد جُذِب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر فى داخله وخارجه ، حتى ترتفع الحدقتان إلى [أعالى][٣٠] جفونه ، ويقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما ، وتخضَرّ أنامله ، فلا تسأل عن بدن يُجْذَبُ منه كل عرق من عروقه ، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألماً عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من العروق كلها ، ثم يموت كل عضوٍ من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الندامة والحسرة][٣١] .

وأنشد بعضهم فى الموت :

كأنى بنفسى على ضعفِها تَجَرّعُ رغماً كؤوسَ الردَّى .
وقد كشف الله عنها الغِطاء فحنت هناك لكشف الغطا .
ومُدَّت إليها يَدٌ فَظَّةٌ لِفَظٍّ غَلِيظٍ شَدَيدِ القوى .

---

(٢٨) عشيه : ما بين المعكوفتين استدركناه من نسخ أخرى ومعناها . حواه وعطاه.

(٢٩) «وشوشه» . ما بين المعكوفين استدركناه من نسخ أخرى. ومعناها : الشبه.

(٣٠) «أعالى» : ما بين المعكوفتين استدركناه من نسخ أخرى

(٣١) راجع الإحياء (٦/١٢٥ - ١٢٦)، وما بين الأقواس منه والله أعلم.

فما شئت من نفس ضيقٌ وجَذْبُ عروقٍ وقَطْعُ حَشَى[٣٢] .
ونفس تساق أشد مساق فتضعف فى لهوات القنى .
ولا دافِعٍ يرتجى دفعه ولا قائِلٍ ما به يقتدى .
[و][٣٣] مالى انتصار ومالى فِرَارٌ ومالى مَن حيلةٍ تُرْتَجَى .
فَدَعْنِى ويَوْمىَ أَبْكى لَهُ فَحُقّ لِيَومِى يطول البُكَا .

وأنشد أيضا :

يا ندماً أندمه ليس فى ذلك من ريب ولا شك .
إذا رسا الموت على لبى وحال بين الفك والفك .
ولم يكن لى عنه من مخلص ولم أكن عنه بمفك .
وحشرجت نفسى فى صدرها كأنها تمحص فى .
وكل ما تدريه من نخوة فىّ ومن عجب ومن فتك .
قد عاد ذاكم كله ذِلة يظل منها شامتى يبك .
وذاكم المال الذى كنت قد جمعت من زور ومن إفك .
قد حيل ما بينى وما بينه وزال عن حكمى وعن ملك .
غير تباعات تحملتها تكثر من بينى ومن معك .
فكيف لا أندم أم كيف لا أملأ حفونى بدم أبك .
فيا إلهى والذى جوده سال لذى الإخلاص والشك .
رحماك فى واهى القوى يائس فى عيشه من حاله ضنك .
قد حجبته عنك آثامُه ورُدَّ عن بابك بالصد .
إن لم ينله عفوك المرتجى وتحترمه سعة الملك .
فاعف إلاهى عنه واغفر له واعدل به عن هوة الهلك .
أولا فمن ذا بجوده يرتجى غيرك أو عن فضله يمسك .

(٣٢)، (٣٣) الإحياء، وهى بالأصل غير واضحة .

٣٧ - **ويروى أن النبى - عليه السلام** - دخل على مريض فقال : « إنى لأعلم ما يلقى ، ما فيه عرق وهو يألم للموت على حدته »(٣٤) .
وكان على - رضى الله عنه - يحض على القتال ويقول : « إن لم تُقتلوا تموتوا والذى [نفس] محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش »(٣٥) .

٣٨ - **وقال شداد بن أوس** : « الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم » .

٣٩ - **ودخل الحسن البصرى** - رحمه الله - « على رجل فوجده فى سكرات الموت فنظر إليه وقال إن أمرا هذا أوله ينبغى أن يُتَّقَى آخره وإن أمراً هذا آخره ينبغى أن يُزهَد فى أوله » .

٤٠ - **ويروى أن النبى** - ﷺ - كان عنده قدح من ماء عندما نزل به الموت فجعل يدخل يده فى القدح ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت ويروى اللهم هون على سكرات الموت ، ويروى فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ، وفاطمة ابنته - رضى الله عنها - تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم »(٣٦) ذكره البخارى والنسائى

---

(٣٤) (قوله) : ويروى أن النبى - ﷺ - دخل على مريض فقال إنى لأعلم ما يلقى... إلخ - ضعيف .. رواه الطبرانى فى «الكبير» عن سلمان قال : الهيثمى فى المجمع (٣٣٠/٣) فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف ا.هـ .
قال العراقى فى تخريج الإحياء (١٢٨/٦) [رواه] ابن أبى الدنيا من حديث سلمان بسند ضعيف ، ورواه فى «المرضى والكفارات» من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف ورجاله ثقات ا.هـ.

(٣٥) (**قوله**) * **وكان على** - عليه السلام - يحض الناس على القتال الإحياء (١٢٨/٦).

(٣٦) خبر أنه - ﷺ - كان عنده قدح ماء.
* **صحيح** * أخرجه البخارى من حديث عائشة - رضى الله عنها - وعنده : «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات» (١٤٤/٨/فتح) وهو عند أحمد (١٤٨/٦ و٢٧٤) والنسائى (٤٨/٤) والترمذى (٣٩٩/٣ - عبدالباقى) وابن حبان فى «صحيحه» (٢١٠/٨ ، ٢١٤) والبغوى فى «شرح السنة» (٤٤/١٤).

وغيرهما ذكر كل واحد منهما شيئاً لم يذكره صاحبه .

٤١ – **وعن عيسى عليه السلام** أنه قال : « يا معشر الحواريين ادعو الله لى أن يهون على هذه السكرة – يعنى الموت – فقد خفت الموت مخافةً أوقفنى خوفى من الموت على الموت »(٣٧) .

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال : « إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار »(٣٨) .

٤٢ – وكان عمرو بن العاص – رحمه الله – يقول : « لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما نزل به الموت قيل له : يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه فقال : أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسى تخرج على قدر ثقب إبرة »(٣٩) .

٤٣ – **ويروى عن** مكحول عن النبى – ﷺ – أنه قال : « لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن فى كل شعرة من الميت الموت ولا يقع الموت على شىء إلا مات »(٤٠) .

---

(٣٧) **(قوله) : وعن عيسى –عليه السلام–..** إلخ الإحياء (١٣٧/٦) وهو فى «تذكرة القرطبى» وعنده: «ادعوا الله أن يهون عليكم» بدل «على» عند المصنف» والله تعالى أعلم.

(٣٨) **(قوله) عن أسلم** مولى عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– إلخ
هو فى الإحياء (١٣٨/٦): عن زيد بن أسلم عن أبيه قال ... فذكره

(٣٩) **(قوله) : وكان عمرو بن العاص –رضى الله عنه– يقول.** لوددت.. إلخ هو فى المسند (١٩٩ –٢٠٠) وابن عساكر (٢٦٩/١٣/آ) وفى «التذكرة» عند القرطبى (ص ٢٢) معزو لشهر بن حوشب قال: ولماّ حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه :....، فذكره، وراجع لهذه القصة– بتمامها– «سير أعلام النبلاء» (٧٥/٣–٧٦) وهو «صحيح» وقد جرحته واهيا فى كتابى: « التحرير المرسخ بأحوال البرزخ» والله تعالى أعلم.

(٤٠) **(قوله) : ويروى عن مكحول عن النبى –ﷺ– لو أن شعره..** اخ

وأنشدوا :

ماذا تؤمل والأيام ذاهبة ومن ورائك للآمال قطاع .
وصيحة لهجوم الموت منكرة صمت لوقعتها الشنعاء أسماع .
وغُصَّة بكؤوس أنت شاربها لها تقلبك آلام وأوجاع .
يا غافلاً وهو مطلوب ومتبع أتاك سيل من الفرسان دفاع .
خذها إليك طعاناً فيك نافذة تعدى الجليس وأمراً ليس ينطاع .
إن المنية لو تلقى على جبل لأصبح الصخر منها وهو مياع .

٤٤ – **ويروى أن** إبراهيم – ﷺ – لما مات قال الله له : كيف وجدت الموت ؟ قال : كسفودٍ جعل فى صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوناه عليك »(٤١) .

٤٥ – **وعن موسى – عليه السلام** – أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : « وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير »(٤٢) .

٤٦ – **ويروى عنه** أنه قال : « وجدت نفسى كشاة حية بيد « القَصّاب » تسلخ » .

٤٧ – **وقال عمر** لكعب الأحبار : « يا كعب حدثنا عن الموت فقال : نعم يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى »(٤٣) .

---

* **مرسل** * وهو فى الإحياء (٦/١٢٨–١٢٩) قال الزين العراق [أحرجه] ابن أبى الدنيا فى «الموت» من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه: لو أن ألم شعره.. فذكره وزاد وإن فى يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف» وأبو ميسرة هو عمرو ابن شرحبيل. والحديث مرسل حسن الإسناد» ا.هـ.

(٤١) **زاد فى «الإحياء» يا خليلى قال: كسفود جعل فى صوف.. إلخ**
الإحياء (٦/١٢٩) «والتذكرة» ص ٢١ وعزاه للمحاسبى فى «الرعاية» راجع تنزيه «الشريعة» (٢/٣٦٥).

(٤٢) **الإحياء (٦/١٢٩)** وما بين المعكفين منه، و «التذكرة» ص ٢١.

(٤٣) **انظر الإحياء** (٦/١٢٩).

٤٨ - **وذكر أبو بكر بن أبى شيبة** فى مسنده من حديث جابر بن عبد الله عن النبى - ﷺ - قال : « تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب[٤٤] ثم أنشأ يحدث قال : خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر خلا شىء من بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إلىَّ فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت » .

٤٩ - **ويروى فى الخبر** « أن العبد ليعالج سكرات الموت وكروبه وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام عليك السلام »[٤٥] .

وأما مشاهدة صورة ملك الموت وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع فهو أمر لا يُعبَّر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدى له ويطَّلِع عليه وإنما هى أمثال تضرب وحكايات تحكى .

٥٠ - **يروى** أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال : « لملك الموت : - ﷺ - هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر قال : لا تطيق ذلك قال : بلى . قال : فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورتك وقباحة وجهك لكان ذلك حسبه »[٤٦] .

---

(٤٤) **الحديث ليس بذاك القائم**: قال الإمام الهيثمى فى المجمع (١/١٩٦) عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ - فذكره وقال: رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد بن أبى وكيع عن أبيه. ولم أعرفهما. وبقية رجاله ثقات.
قال فى الحاشية (فائدة): «إنما قال البزار حدثنا جعفر بن محمد بن أبى وكيع نا عبدالله بن نمير، ما رأيت فيه عن أبيه، فليحرر هذا- كما فى الهامش ا.هـ.
راجع «تذكرة القرطبى» وأهوال القبور لابن رجب.

(٤٥) * **ضعيف** * ذكره أبو حامد فى الإحياء (٦/١٣٩) وقال الزين العراقى: «رويناه فى الأربعين لأبى هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - وأبو هدبة هالك ا.هـ

(٤٦) * **راجع الإحياء (٦/١٣٠)** وقد مضى الكلام على مثله .

ونظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على ميت فقال : « لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إن ميتكم نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رآه ومرارة الموت قد ذاقها وخوف الخاتمة قد أمنها » .

٥١ - **ويروى عن** عبدالله بن عمرو أنه قال : « إذا قبض ملك الموت روح العبد قام على عتبة بابه ولأهل البيت ضجة فمنهم الضاربة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية يا ويلها فيقول ملك الموت فيم هذا الجذع ؟ فوالله ما انتقصت لأحدٍ منكم عمراً ولا أخذت لأحدٍ منكم رزقاً ولا ظلمت أحداً منكم حقّاً فإن كانت شكايتكم وتسخطكم عليَّ فإنى والله مأمور وإن كانت من ميتكم فإنه مقهور وإن كانت من ربكم فأنتم به كفرة ولى فيكم عودة ثم عودة قال : فلو سمعوا كلامه ورأوا مكانه لشغلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

وأنشد بعضهم :

بكا لأنْ مات ميت من عشيرته وقال واحزناً وصاح واحربا .
وبات فوق حشاه للأسى لهب إذا أراد حبواً فار والتهبا .
ولو رأى بصحيح العقل حين رأى وكشف الله عنه للهوى حجبا .
لما رأى الدهر ميتاً أو أحس به إلا بكا نفسه المسكين وانتحبا .
ومن رأى الشمس فى جنبيه شارعة أنى يراها بجنب ناء أو قربا .
وطلعة الموت إن تطلع على أحد أرته فى نفسه من هَوْلها عجبا .

ولعلك تقول قد ذكرت من هول الموت وشدته ، وكربه وغصته وأنه أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وأنه وأنه وقد شاهدنا من بعض الأموات ما يدل على أن الموت ليس كما وصفت وأنه إنما هو كأس تسهل على إنسان وتصعب على آخر وقد رأينا من الأموات من يحدثك ويوصى إليك ويشهد بماله وبما عليه ونفسه تخرج من قدمه إلى صدره أو إلى الحلقوم وهو على حاله فى وصيته وإشهاده وربما ظن من رآه فجأة أنه لا بأس عليه ولا موت عنده ثم يموت كذلك وما هذه صفة من ينشر بالمناشير ويقرض بالمقاريض ويُفعل به ويفعل ولو كان كذلك لمنعه ألم النشر ووجع القرض وكرب الموت عن الكلام والإشهاد وعن الوصية بأن يدفن فى موضع كذا أو

يكفن فى ثوب كذا وحتى لو كان كما قلت فقد رأينا من سرعة خروج بعض الأرواح ما لو كان فى الموت أضعاف ما قلت من الشدة لما كان يبالى عن ذلك لسرعة خروج الروح وعجلة استلالها . نعم للموت عند الأكثر مقدمات من آلام وأمراض وأسقام تبلغ منه المبالغ قبل الموت ثم يموت وقد تنزل تلك الأمراض والأسقام بأحد فتشرف به على اليقين وتريه المنون قبل المنون ثم تقلع عنه فلا يبقى لها أثر وكأنه ما سمع لها بخبر ، فأقول : صدقت والأمر كما قلت ، قد شوهد من بعض الأموات ما ذكرت ، وقد علم أن الموت يهون على بعض الناس ويسهل عليه وبعضهم أو أكثرهم يشدد عليه ويغص به فمن أى الفريقين أنت؟ أممن يهون عليه أم ممن يصعب عليه ؟ لابد لك من أن تشرب بإحدى الكأسين وترمى بأحد السهمين لابد لك من ذلك فما الذى يؤمنك أن تطعم أصره وتسقى أَمَرَّه وتصلى أشقه وأخره ما الذى أمنك من هذا وكيف ما كان بالموت شربة كريهة وكأس مُرةَ حتى أن الإنسان لو عرض عليه مقعده من الجنة وقيل له تموت وتسير إليه ربما انقبض لذلك واجتمع عندما يذكر له الموت .

كما يروى عن سهل بن عبد الله التُّسْتَرىّ – رحمه الله :[٤٧] « أن ولياً من أولياء الله عز وجل تبدّى له الملك فأخبره برضى الله عز وجل عنه وبشره بالجنة وأنه يموت فى وقتٍ قريب حدّه له قال سهل : فقلت له كيف وجدت نفسك عند ذكر الموت قال : أصابتني قشعريرة ثم مات الرجل فى الوقت الذى حَدَّ له » وقد تقدم لك أن النبى – ﷺ – « كان عند الموت يدخل يده فى قدح فيه ماء ويمسح به وجهه الكريم ويقول : اللهم أعنى على سكرات الموت » .

٥٢ – وقال عمر بن صبيح السعدى : « رأيت عبد العزيز بن سلمان العابد فى منامى بعد موته وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ فقلت له : يا أبا محمد كيف كنت بعدنا ؟ وكيف وجدت طعم الموت ؟ وكيف وجدت الأمر هنالك ؟ فقال : أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه لكن رحمة الله سترت مناكل عيب وما نلناها إلا بتفضله » .

---

(٤٧) – « التُّستُرى » نسبة إلى « تستر » – اسم مدينة غير واضحة بالأصل

وأيضاً فإنك لا تدرى بما تسمع نغمة الملك الوارد عليك من ربك ، ولا بماذا يبشرك به ، ولابُدَّ لك من إحدى البشرتين ، والإعلام بمنزلك الذى كتب لك من إحدى الدارين ، ولابد أن يفزع سمعك قوله إما : يا ولى الله أبشر بالجنة ، وإما : يا عدو الله أبشر بالنار وهذا هو الذى قطع قلوب الخائفين وأسال عبرات التائبين وأسهر ليالى العابدين ، وإن كنت من جملة المخلصين وأصحاب الكبائر من المسلمين فلابد أن ينفتح لك الباب الذى تلج منه ويظهر لك العمل الذى تسأل عنه ، وقد تقدم الخبر الصحيح عن الله تبارك وتعالى « إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه وإذا كره لقائى كرهت لقائه »(٤٨) . وإن هذه المحبة وهذه الكراهية إنما تكون عند الموت ، ذكرت ذلك عائشة – رضى الله عنها – وهذا موضع ذكرى تتفتت لها الأعضاء ، وتتصدع لها الأكباد وسأذكر لك جملة من كلام المرضى والمحتضرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وغيرهم من المقصرين والجهلة المخدوعين لعله سيحرك منك ساكناً ويخوف منك آمناً ويشغلك بعون الله وتوفيقه ظاهراً وباطناً .

٥٣ – **ويروى عن** أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – « أنه مرض فقالوا له : ألا

---

(٤٨) * **صحيح** * رواه البخارى –رحمه الله– من حديث أم المؤمنين عائشة –رضى الله عنها– –معلقاً– (٣٥٧/١١– فتح) ووصله مسلم (٩/١٧ نووى) والترمذى وقال : «حسن صحيح» وأحمد (٥٤/٦ ، ٥٥ ، ٢٠٧) والنسائى (٩/٤ سيوطى) وابن ماجة (٤٢٦٤) وابن حبان فى «صحيحه» (٦/٥) والبغوى فى «شرح السنة» (٥/ ٢٦٣ ، ٢٦٤) والدارمى فى «السنن» (٣١٢/٢) وابن المبارك فى «الزهد» (٩٧٢) ومن حديث أنس عن عبادة بن الصامت أخرجه البخارى (٣٥٧/١١) ومسلم (٩/١٧– نووى) والترمذى (٣٧٠/٣–عبدالباقى) وأحمد (٣١٦/٤) والنسائى (١٠/٤– سيوطى) والطيالسى أبو داود فى المسند برقم (٥٧٤) والبغوى (٢٦٣/٥) والدارمى (٣١٢/٢) ومن حديث أبى هريرة أخرجه إمام الأئمة مالك بن أنس فى «الموطأ» (٢٤٠/١) ومسلم (٩/١٧) والنسائى (٩/٤) وابن حبان فى «صحيحه» (٥/٥) والبغوى (٢٦٢/٥)

ومن حديث أبى موسى أخرجه الشيخان البخارى (٣٥٧/١١) ومسلم (١١/١٧) وعن أنس (مفردًا) أخرجه أحمد (١٠٧/٣) وهو فى «المطالب العالية» (١٨٢/٣) عن عبدالرحمن بن أبى ليلى يقول حدثنا فلان رجل من أصحاب النبى – ﷺ – وعزاه لابن أبى عمر وفى «المجمع» (٣٢٣/٢) أورده الهيثمى رحمه الله عن أنس وعزاه لأحمد وأبى يعلى والبزار وقال : رجال أحمد رجال الصحيح ا.هـ.واستقصى طرقه هناك راجعهما إن أحببت .

ندعو لك طبيباً ؟ فقال : قد رآني : فقالوا : وأى شيء قالَ لك ؟ فقال : قال لى : إنى فعال لما أريد »(٤٩) .

٥٤ – ومرض أبو الدرداء – رضى الله عنه – « فقالوا له أى شيء تشتهى ؟ فقال الجنة . قالوا : أندعوا لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضنى . فقال له رجل من أصحابه : يا أبا الدرداء أتشتهى أن أساهرك الليلة ؟ فقال له أبو الدرداء : أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعنى أن أنام أسأل الله الذى لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر » .

٥٥ – **ولما اشتد مرض** عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – « جاءوا بطبيب فلما دخل عليه ورآه قال : إنه قد سُقِي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره إليه وقال : ولا يؤمن أيضاً الموت على من لم يسق السم . فقال الطبيب : وهل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، عرفت ذلك حين وقع فى بطنى . فقال : تعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك . فقال عمر : ربى تبارك وتعالى خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت إليه يدى اللهم حد لعمر فى لقائك فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى مات – رضى الله عنه »(٥٠) .

٥٦ – **ومرض الربيع بن خيثم** « فقالوا له : ألا ندعو لك طبيباً فتفكر فقال : إن عاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً قد كانت فيهم الأدواء وكانت فيهم الأطباء فلا أرى المداوين تقى ولا المداوى كل قد فنى ومضى والله لا أدعو لى طبيباً أبداً »(٥١) .

---

(٤٩) **أثر الصديق الأكبر – رضى الله عنه** – أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٣٤/١) من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنى أبى ثنا وكيع عن مالك بن معول عن أبى السفر به.

(٥٠) **أثر عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه** – هو فى ترجمته من «الحلية» (٣٣٥/٥) أخرجه أبو نعيم من طريق أبى كريب عن جابر بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال حدثتنى فاطمة امرأة عمر .. فذكره . وكذا فى «الزهد» لابن المبارك رقم (٨٨٧).

(٥١) أثر الربيع بن خثيم . أورده الإمام الذهبى فى «سير النبلاء» ([illegible]) قال : قال سفيان الثورى وقيل له : لو تداويت ... فذكره بنحو ما هنا .

٥٧ – **وذكر ابن جهضم** فى كتابه عن أبى يعقوب يوسف بن أحمد قال : « خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة فقراء وفيهم شاب كنت أميل إليه لحسن سمته ومراعاة حاله واشتهاره بذكر ربه وكثرة مناجاته وتملقه ، فلما وصلنا لمدينة شرفها الله مرض مرضاً شديداً وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة أصحابنا نتعرّف خبره فلما رأينا شدة ما به قال بعضنا : لو أحضرنا طبيبا ينظر إليه ويرى علته فلعله يكون عنده دواؤه فسمع الشاب مقالته فتبسم من ذلك وقال : يا مشايخى ويا أحبائى ما أقبح المخالفة بعد الموافقة من أراد الله له حالاً وأراد هو غيرها أليس قد خالف الله فى إرادته . قال أبو يعقوب : فخجلنا من كلامه فنظر إلينا وقال : لو عرفتم داء القتيل لطلبتم لدائه دواء إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير وداء القتيل مشاهدة اليقين وموافقة الهوى » .

ثم أنشد يقول :

بيـــــد الله دوائى وبعلـــــم الله دائى
إنما أظلـــــم نفسي باتباعـــــى لهوائى
كلمـــا داويت دائى غلب الـــداء دوائى

قال فقمنا من عنده وتركناه »

يريد بقوله « داء القتيل » : الداء الذى يقتل صاحبه .

٥٨ – وقيل لحسان بن أبى سنان فى مرضه : « كيف تجدك ؟ فقال : بخير إن نجوت من النار » .

وقال بعض الصالحين : دخلنا على مغيرة الخراز وهو مريض فقلنا له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى موقراً بالآثام قلنا : فما تشتكى ؟ قال : الحسرة على طول الغفلة . قلنا : فما تشتهى ؟ قال : الإنابة إلى ما عند الله والنقلة عما يكرهه الله قال : فبكا القوم جميعاً . (*)[قيل له : فما تشتهى ؟ قال : ليلة طويلة أصليها كلها] .

٥٩ – **ودخل الحسن البصري** رحمه الله « على عطاء السلمي يعوده وهو مريض فوجده قد علاه الغبار والصبار فقال : يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار

فكان يضربك الهواء فيجد له راحة فقال له : يا أبا سعيد وبهذا تأمرنى والله إنى لأستحى من الله عز وجل أن أخطو خطوة فى راحة بدنى » .

٦٠ – **وقال منصور** : « دخلت على عطاء السلمى بعد هذا أعوده وهو مريض فرأيته يتبسم فعجبت من ذلك ، فكأنه فهم عنى فقال : أتعجب يا ابن أخى ؟ فقلت وكيف لا أعجب فقال وكيف لا أضحك وقد دنا فراق ممن كنت أخافه وأحذره ، ودنا قدومى على من كنت أرجوه وأؤمله أتجعل مقامى مع مخلوق أخافه كقدومى على خالق أرجوه . قال هذا قبل أن يحتضر وينزل به الموت » .

٦١ – **وقال أحمد بن أبى الحوارى** « دخلت على بعض المتعبدين وهو مريض فقلت كيف تجدك فقال بحال شريفة أسيرُ كريمٍ حبيس جوارحه مع أعوان صدق والله لو لم يكن بى مما ترون عوضاً إلا ما أُودِعُ قلبى من محبته لكنت خليقاً أن أدوم على الرضا عنه ، وما الدنيا وما غاية البلاء فيها ؟ هل هو إلا ما ترون من هذه العلة ويوشك إن اشتدّ بى الأمر أن ترحلنى إلى سرر ولنعمت العلة علة رحلت بمُحِبٌ إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه » .

٦٢ – **ويروى** أن مالك بن دينار رحمه الله « دخل على شاب يعوده فوجده خيالاً على فراشه كالشن البالى فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه وأشار بطرفه فبينما نحن كذلك وإذا نحن بصوت المؤذن فسمعناه يقول مثل ما يقول المؤذن ويشير بأصبعه عند الشهادتين ثم أمر والده يوضأه ثم أمره أن يوجهه إلى القبلة ليصلى راقداً بالإيماء ثم قال : يا مالك . راحة مع بقاء الإيمان ، يا مالك نِعَمُهُ لا تُعَدُّ وبلاؤه واحدٌ . قال مالك : فعجبت من يقينه وصبره وصدق وفائه وخالص محبته ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله » .

٦٣ – **وقال عبد الله بن عتبة** « عدت رجلا مريضاً فلما قعدت عنده قلت له كيف تجدك فقال :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقل الحاملون جنازتى .

وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى أجل كرامتى .

كأنهم لم يعرفوا قط صورتى غداة أتى يومى على وساعتى .

٦٤ – **ولما احتضر أبو بكر الصديق** – رضى الله عنه – « جاءته ابنته عائشة أم

المؤمنين – رضى الله عنها – فلما رأته تمثلت بهذا البيت :

لعمركَ ما يُغنى الثراءُ عن الفتى إذا حَشْرجتْ[٥٢] يوماً وضاق بها الصدرُ .

فكشف أبو بكر عن وجهه وقال : ليس كذلك ولكن قولى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ [ق / ١٩] ثم قال : فى كم كفن رسول الله – ﷺ – ؟ قالت : فى ثلاثة[٥٣] أثواب بيض سحولية فقال أبو بكر : خذوا هذا الثوب ثوب كان عليه قد أصابه شق أو زعفران فاغسلوه ثم كفنونى فيه مع ثوبين آخرين وكان به فاخلقا فقالت له عائشة : ما هذا تريد أنه خلق فقال أبو بكر : الحي أحوج إلى الجديد من الميت إنما هذا للمهلة يريد للصديد . ثم سمع منشداً فى البيت ينشد :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

فالتفت إليه أبو بكر – رضى الله عنه – وقال : ذاك رسول الله – ﷺ – .

وصدق أبو بكر ، هذا البيت قاله أبو طالب عم رسول الله – ﷺ – فى قصيدته الطويلة التى يمدح فيها رسول الله – ﷺ – قال فيها :

---

(٥٢) خبر احتضار الصديق الأكبر أبى بكر – رضى الله عنه – و « جاءته ابنته عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – فلما رأته تمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

البخارى (٣/٢٥٢ – فتح) بإسناده به ، قال شيخ الإسلام ابن حجر . « زاد أبو نعيم فى « المستخرج » من هذا الوجه فرأيت به الموت فقلت : هيج .. هيج

من لا يزال دمعه مقنعا فإنه فى مرة مدفوق

فقال لا تقولى هذا ولكن قولى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ... الآية ثم قال فى أى يوم ... الحديث (فتح البارى ٣/٢٥٢) قال : وهذه الزيادة أخرجها ابن سعد مفردة عن أبى أسامة عن هشام وقولها : هيج : بالجيم : حكاية بكائها ا.هـ كلامه رحمه الله والقصة أوردها فى الإحياء (٦/١٥١) وغيره .

(٥٣) **صحيح** : أخرجه البخارى (٣/١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٥٢ فتح) ومسلم (٧/٧ نووى) وأحمد (٦/١١٨) وأبو داود (٣/١٩٨) والترمذى (٣/٣١٢ عبد الباقى) والنسائى (٤/٣٥ سيوطى) وابن ماجة (١٤٦٩) والبيهقى (٣/٣٩٩) والطيالسى (١٤٥٣) وابن حزم فى « المحلى » (٥/١١٨ – شاكر) كلهم – وغيرهم – عن عائشة – رضى الله عنها – .

وما ترك قوم لا أبالك سيراً يحوط الدمار غير درب مواكل .
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمة وفواضل .

كذلك قال أبو طالب « يلوذ به الهلاك من آل هاشم » ولم يدر أنه – ﷺ – يلوذ به الهلاك من بنى آدم .

٦٥ – **ويروى عن سعيد بن المسيب** أنه قال : « لما احتضر أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – أتاه ناس من أصحابه فقالوا له : يا خليفة رسول الله – ﷺ – إنا نراك لما بك فأوصنا منك بوصية وزودنا منك بموعظة . فقال : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدى العرش فيه رياض وأشجار وأنهار فمن قال هذا القول جعله الله فى ذلك المكان : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير ، فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير ، اللهم إنك خلقتهم وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً فلا تشقنى بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك ، اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتى أن أشاء ما يقربنى إليك ، اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شىء إلا بإذنك فاجعل حركاتى فى تقواك ، اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلنى من خير القسمين ، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلنى من ساكنى جنتك ، اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى ، اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحينى حياة طيبة وقربنى إليك زلفى ، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه فى غيرك فإن ثقتى ورجائى لا حول ولا قوة إلا بالله . قال أبو بكر : وهذا كله فى كتاب الله عز وجل »(٥٤) .

---

(٥٤) **أثر سعيد بن المسيب** : راجع له الإحياء (١٥٢/٦ ، ١٥٣) .

فى الهامش رواه أبو السبخ الأصبهانى فى كتاب ثواب الأعمال وعنده أنه قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى هذه الكلمات فمات على ذلك كتب فى نغشاه كل بوم مائة رحمة فمن مات على القول جعل روحه فى المكان » .

٦٦ – وقال الشعبى رحمه الله . « لما طعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أتى بلبن فشرب منه فخرج اللبن من طعنته فقال : الله أكبر . وعلم أنه يموت فجعل جلساؤه يثنون عليه خيراً فقال : وددت أن أخرج منها كفافا كما دخلت لا على ولا لى والله لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ، ولما حضر غشى عليه ورأسه بالأرض وضع ابنه عبد الله رأسه بين حجره فلما أفاق قال له : ضع رأسى بالأرض فقال له : يا أبت وهل الأرض وحجرى إلا سواء قال : ضع رأسى بالأرض كما أمرتك فوضعه قال : فمسح خديه بالتراب ثم قال : ويل لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر . فقال له ابنه عبد الله . يا أبه وهل الأرض وحجرى إلا سواء قال ضع رأسى بالأرض كما أمرتك فإذا قبضت فأسرعوا بى إلى حفرتى فإنما هو خير تقدموننى إليه أو شر تضعونه عن رقابكم »(٥٥) .

٦٧ – **ولما احتضر** عثمان بن عفان – رضى الله عنه – جعل يقول ودمه يسيل : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إننى أستعينك على أمورى وأسألك الصبر على بلائى »(٥٦) .

٦٨ – **ولما احتضر** سلمان الفارسى – رضى الله عنه – « بكا فقيل له : ما يبكيك ؟ قال والله ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن عهد عهده إلينا رسول الله – ﷺ – قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب .

---

(٥٥) **خبر استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضى الله عنه–**
* **صحيح** * أخرجه البخارى (٤٣/٧)، وحكاها عن أشياخه إمام المؤرخين أبو جعفر بن جرير الطبرى (١٩١/٤) وما بعدها والمحب الطبرى فى «الرياض النضرة» (٤٠٩/٢) وما بعدها. وهو فى الإحياء (١٥٣/٦، ١٥٤، ١٥٥).

(٥٦) **خبر استشهاد أمير المؤمنين عثمان –رضى الله عنه–**
هو فى الحلية (٥٨/١) والرياض النضره (٧٢/٣، ٧٣) والإحياء (١٥٧/٦)

فلما مات نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته ثلاثون درهماً وقد كان أميراً على المدائن مدائن كسرى »[٥٧] .

٦٩ – **ويروى أن** امرأته قالت وهو فى الموت : « واحزناه فقال سلمان : بل واطرباه ، غداً نلقى الأحبة ، محمداً وحزبه » .

ومثل هذا القول يروى أيضاً عن بلال مولى أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – أنه قال : « غداً نلقى الأحبة ، محمداً وحزبه »[٥٨] .

٧٠ – **ويروى أن** عمرو بن العاص لما دنا منه الموت « دعا بحرسه ورجاله فلما دخلوا عليه قال : هل تغنون عنى من الله شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فافترقوا عنى . ثم دعا بماء فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال : احملونى إلى المسجد فحملوه فقال استقبلوا بى القبلة ففعلوا فقال : اللهم إنك أمرتنى فعصيت وائتمنتنى فخنت وحدّدت لى فتعديت اللهم لا [برىء فأعتذر][٥٩] ولا قوى فأنتصر بل مذنب مستغفر لا مصر ولا مستكبر ثم قال لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فلم يزل يرددها حتى مات »[٦٠] وقوله لحرسه ورجاله : « هل تغنون عنى من الله شيئا » إنما فعل ذلك تصغيراً لنفسه وتحقيراً وليريها رؤية مشاهدة أن الذين كانوا يغنون عنه فى الدنيا لا يغنون عنه عند نزول الموت شيئاً .

٧١ – **ولما حضرت الوفاة** معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – قال : « الآن

---

(٥٧) **خبر سلمان الفارسى –رضى الله عنه–** : أخرجه ابن ماجة (١٤٠٤) **صحيح** وأحمد (٤٣٧/٥) والطبرانى فى الكبير (٦٠٦٩) وأخرجه الطبرانى أيضًا (٦٠/٦١) وصححه ابن حبان (٢٤٨٠) وأخرجه الحاكم (٣١٧/٤) وصححه ووافقه الذهبى وأبو نعيم فى الحلية (١٩٦/١، ١٩٧) وراجع «سير أعلام النبلاء» (٥٥٦/١).

(٥٨) **قوله· ومثل هذا القول (يعنى غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه)** يروى أيضًا عن بلال مولى أبى بكر الصديق –رضى الله عنهم–
قلت: هو فعلاً منسوب إليه وراجع لذلك ترجمة بلال –رضى الله عنه– فى «النبلاء» (٣٥٩/١) وفيه· قال: تقول امرأته واويلاه فقال: وافرحاه.. إلخ

(٥٩) **(برىء فاعتذر) غير واضحة بالأصل واستكملناها من «السير»**

(٦٠) **قوله: ويروى أن عمرو بن العاص –رضى الله عنه– لما دنا منه الموت** إلخ
أورده الإمام الذهبى –من غير وجه– فى «النبلاء» (٥٤/٣– ٧٧).

أقعدونى فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ويقدسه ثم قال : الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام ألا كان ذلك وغض الشباب قصير زمان وبكا حتى علا بكاؤه ثم قال :

هو الموت لا منجا من الموت والذى أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : اللهم يا رب ارحم الشيخ العاصى فى القلب القاسى . اللهم أقل العسرة واغفر الزلة وخذ بحلمك على من لم يرج غيرك ولا وثق بأحد سواك . ثم قال لابنه يزيد : يا بنى إذا وفى أجلى فاعمد إلى المنديل الذى فى الخزانة فإن فيه ثوباً من ثياب رسول الله – ﷺ – وقراضة من شعره وأظفاره فاجعل الثوب مما يلى جسدى واجعل أكفانى فوقه واجعل القراضة فى فمى وانفى وعينى فإن بقى شىء فهذا فإذا جعلتمونى فى قبرى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين »[٦١] .

٧٢ – **ويروى أنه قال** فى جملة ما قاله « يا ليتنى كنت رجلاً من سائر قريش بذى طوى ولم ألِ من هذا الأمر شيئاً » .

٧٣ – **ولما حضرت** أبا هريرة –رضى الله عنه– الوفاة « بكا فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكينى بعد المفازة وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التى المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار »[٦٢] .

٧٤ – **ولما حضرت الوفاة** حذيفة بن اليمان قال : « اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لجرى الأنهار ولا لغرس الثمار لكن لظمأ الهواجر وقيام الليل ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء فى حلق الذكر . ولما اشتد به النزع جعل كلما أفاق من غمرة فتح

---

(٦١) (قوله) : ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبى سفيان .. إلخ
«الإحياء» (١٥٨/٦) .

(٦٢) (قوله) ولما حضرت أبا هريرة –رضى الله عنه– الوفاة. إلخ
«سير أعلام النبلاء» (٦٢٥/٢) و «الطبقات» (٣٣٩/٤) –كما فى الحاشية– –وهو أيضا– فى «الحلية» (٣٨٣/١) .

عينيه وقال : يا رب شد شدتك واخنق خنقاتك فوعزتك إنك لتعلم أنى أحبك »[٦٣] .

٧٥ - **ومثل هذا** يروى عن محمد بن المنكدر « أنه لما نزل به الموت بكا فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وقيام ليالى الشتاء » .

٧٦ - **وكذلك يروى** عن عامر بن قيس . وقال أنس بن مالك « لمن حضره وقد نزل به الموت : ليعاين الناس غداً من عفو الله وسعة رحمته مالم يخطر على قلب بشر » كشف له - رضى الله عنه - من سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما أوجب أن قال هذا .

٧٧ - **ولما دنت من عمر بن عبد العزيز** - رحمه الله - الوفاة « بكى فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك سننا وأظهر بك عدلاً فبكا ثم قال : أليس أوقف ثم أسأل عن هذا الخلق ؟ والله لو عدلت فيهم لخفت أن لا تقوم نفسى لحجتها عند الله تعالى إلا أن يلقنها حجتها ويثبتها فكيف بكثير مما ضيعت ثم بكا » .

٧٨ - **ويروى عن** فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز أنها قالت : « كنت أسمع عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم أخْفِ عنهم موتى ولو ساعةً من نهارٍ فلما كان فى اليوم الذى مات فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت قريب منه بينى وبينه باب فسمعته يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص / ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً فقلت لوصيف لنا : انظر إلى أمير المؤمنين ما صنع؟ فلما

---

(٦٣) **أثر حذيفة -رضى الله عنه- قال: «اللهم إنى كنت». إلخ**
هو فى «الإحياء» (٦/١٦٠) معزو لمعاد -رضى الله عنه- بنحوه
وقد أوردها الإمام النووى أيضا فى «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/١٠٠) فى ترجمة معاد بن جبل (!)، والذى فى ترجمة حذيفة من «الحلية» (١/٢٨٢) «والمستدرك» (٣/٣٨١) و «سير النبلاء» (٢/٣٦٨) غير ما هنا فالله تعالى أعلم كيف دلك كان؟!

دخل عليه صاح فأسرعت إليه فإذا هو ميت رحمة الله عليه »[٦٤] .

٧٩ – **ويروى** أنه لما قرب موته قال : « أجلسونى فأجلسوه فقال : اللهم إنك الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت . قالها ثلاث مرات . فإن عفوت فقد مننت وإن عاقبت فما ظلمت ثم قال : لا إله إلا الله ثم أحَدّ النظر فقيل له فى ذلك فقال : أرى حضرة ما هم بإنسان ولا جان ثم خرج من كان عنده فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات – رضى الله عنه – »[٦٥] .

٨٠ – **ويروى** أنه « قيل له وقد اشتد مرضه : أوصنا يا أمير المؤمنين فقال : أحذركم مثل مصرعى هذا » .

٨١ – **ويروى** « إنه دخل عليه قبل الموت بأيام ابن أبى زكريا أو أحد الفقهاء فتذاكرا الآخرة فبكا عمر وبكا الرجل ثم دعوا الله جميعًا وسألاه أن يقبضهما إليه فجاءه ابن صغير لعمر يدب فقال عمر : اللهم وهذا معنا فإنى أحبه قال : فماتوا ثلاثتهم قريباً من قريب فى جمعة أو نحوها » .

٨٢ – **ويروى عن** عبد الملك بن مروان « أنه لما حضره الموت نظر من موضع له مشرف إلى رجل وبيده ثوب يضرب به المغسلة فقال : يا ليتنى كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدى يوماً بيوم ولم أل من هذا الأمر شيئاً »[٦٦] .

٨٣ – **وقال له رجل** : « كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أجدنى كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرةٍ وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ [الأنعام /٩٤] .

---

(٦٤) **(قوله) ويروى عن فاطمة بنت عبدالملك امرأة عمر قالت . إلخ**
أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٣٣٥/٥) وابن المبارك فى «الزهد» (٨٨٨) والعراقى فى «الإحياء» (١٥٩/٦).

(٦٥) **(قوله) ويروى أنه لما قرب موته قال: أجلسونى . إلخ**
أخرجه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» (٣٣٥/٥) بإسناده به وهى أيضا فى «الإحياء» (١٥٩/٦).

(٦٦) **(قوله): ويروى عن عبدالملك بن مروان إلخ**
هو فى الإحياء (١٥٨/٦)، زاد بعدها. فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم –إذا حضرهم الموت– يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه» ا.هـ.

٨٤ - **ولما نزل الموت** بهشام بن عبد الملك أمير المؤمنين نظر إلى أولاده وأهله يبكون حوله فقال لهم : « جادلكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكا ، وترك لكم هشام ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب ، ما أعظم منقلب هشام وأسوأه إن لم يغفر الله له » .

٨٥ - **وكان أمير المؤمنين** هارون الرشيد ينتقى أكفانه بيده قريباً من موته وينظر إليها ويقول : ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانية ﴾ [الحاقة / ٢٨ - ٢٩] .

٨٦ - **ومثل هذا يروى** عن أبي شجاع فناخسرو(٦٨) ابن عضد(٦٩) الدولة : أنه لما نزل به الموت لم يسمع منه إلا قوله ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانية ﴾ [الحاقة ٢٨ - ٢٩] .

وقال أبو الحسين على بن الحسين المسعودى - رحمه الله - لما اشتدت علة هارون الرشيد وسار إلى طرسوس هونت الأطباء عليه علته وحقروا أمرها فأرسل ماؤه فى قارورة من جملة قوارير فعرضت على متطبب فارسى كان هناك فجعل ينظر إلى قارورة قارورة ويقول ما يقول حتى أتى على القارورة التى فيها ماء هارون فقال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث ومروه فليوص فإنه لا برء له من علته هذه فأتى الغلام هارون فقال له : ما قال لك ؟ فجمجم الغلام ولم يبين فعزم عليه فأخبره بما قال وقال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً وتمايل على فراشه وجعل ينشد هذين البيتين :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاعى
ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان برى منله فيما مضى

واشتد ضعفه عندما سمع كلام الطبيب وأرجف الناس بموته فلما بلغه ذلك

---

(٦٧) (قوله) وكان أمير المؤمنين هرون الرشيد ينتقى أكفانه. إلخ «الإحياء» (٦/١٦٠)

(٦٨) (فناخسرو) -غير واضحة بالأصل

(٦٩) (عضد) تحرف فى الأصل إلى (عصر) بصاد وراء مهملتين والتصويب من كتب التاريخ

دعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقط ولم يقدر أن يثبت على السرج فقال : صدق المرجفون ، كما دعا بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما يصلح وجعل يقول هذا القول : ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾ ثم أمر بقبره فحفر فلما اطلع فيه جعل يقول هذا القول : ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾

ويروى أنه قال قبل ذلك شعراً يمدح فيه نفسه منه قوله :

ليس شرب الراح(٧٠) إلا فى النظر(٧١) وغناء من جوارٍ(٧٢) السحر.
غالبات سالبات للنهى ناعمات فى تضاعيف الوتر .
(٧٣) الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر .
(٧٤) عصر الدولة وابن ركنها(٧٥) ملك الأملاك غلاب القدر(٧٦) .

---

(٧٠) (الرّاح): الخمر –غير واضحة بالأصل.

(٧١) (المطر) (ا)

(٧٢) سقطت لفظة (فى) بين (جوارٍ) (والسحر).

(٧٣) (مبرزات) بياض بالأصل والتكملة من «سير النبلاء».

(٧٤) (عضد) بضاد معجمة ودال مهملة كما سق أن أصلحناها وليس (عصر) بصاد وراء مهملتين كما هو مثبت بالأصل (ا)

(٧٥) (ركنها) بنون منقوطة من فوق وليس كما تحرفت فى الأُصل إلى ناء موحدة (ا) دلك أنه كان ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمى .

(٧٦) –فى ترجمته من « سير النبلاء » و « البداية والنهاية » و « شذرات الذهب »
احتلافات فى سياق ألفاظ هدا الشعر فعند ابن العماد رحمه الله شرب الكاس بدل « الراح » هنا وفى « السير » وعده من الريادة

سهّـــل الله له بغيتــــه فى ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير فى أولاده ليساس الملك منهم بالغـــرر .

أ.هـ (٧٨/٣). وفى « البداية » (٢٩٩/١١) وما بعدها :

راقصات زاهـــرات نجل رافـــلات فى أفـــانين الحبر
مطربـــات غنجـــات لُحّـــن رافضات الهم آمـــال الفكـــر
مبرزات الكـــــأس....

٨٧ – **قال** أبو منصور الثعالبى « لم يُفْلِج بعد هذا البيت » يعني قوله :

عضد الدولة وابنُ ركنها   ملكُ الأملاكِ غَلَّابُ القَدَرْ »

٨٨ – **ولما حضرت أمير المؤمنون** المأمون الوفاة « أمر بحل دابته ففرش له فاضجع عليه ووضع [يَدَهُ »[٧٧] على رأسه وجعل يقول : « يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه »[٧٨] .

٨٩ – **ويروى** أنه أمر أن يطاف به على هذه الحال وأمر المنادين أن يقولوا هذا القول . وكان المعتصم أخوه يقول عند موته وكان قد ولى بعده : « لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما عملت ما عملت وجعل يقولها ويبكى »[٧٩] .

٩٠ – **ولما حضرت** المنتصر الوفاة : جعل يضطرب فقال لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال : « هكذا لا بأس على ذهبت عنى الدنيا والآخرة وتقولون لى لا بأس عليك »[٨٠] .

٩١ – **ولما حضرت** عبد الله بن على الوفاة قال : « ما أغفلنى أمس عن مصرعى اليوم » .

٩٢ – وقال أبو سليمان الدارانى : « دخلت على عابد وقد حضره الموت وهو يبكى فقلنا له : ما يبكيك رحمك الله ؟ فأنشأ يقول :

قال أبو الفداء رحمه الله معقباً قبحه الله وقبح شعره وقبح أولاده فإنه احترأ فى أبياته هذه فلم يفلح بعدها ، فيقال أنه حين أنشد قوله :
« غلّاب القدر » أخذه الله فأهلكه ا.هـ
قال الذهبى : فى « النبلاء » (١٦/٢٥٠) . « وكان يقول الشعر فقال أبياتًا كفرية ... فذكرها ، وقال : نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا يقول الله تعالى . ﴿ ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيه ﴾

(٧٧) (يده) غير واضحة بالأصل.

(٧٨) الإحياء (٦/١٦٠) : « وفرش المأمون رمادًا واضطجع عليه وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ا.هـ .

(٧٩) الإحياء (٦/١٦٠).

(٨٠) الإحياء (٦/١٦٠).

وحق لمثلى بالبكا عند موته ومالى لا أبكى وأجلى قد اقترب
ولى عمل فى اللوح أحصاه خالقى فإن لم يجُد بالعفو صرت إلى العطب

٩٣ – **وقال** عبد الله بن العلاء « شهدت أعرابيا قد نزل به الموت فشخص ببصره ثم قال :

كل آت فإنه سوف يأتى أنت يا موت هادم اللذات .
رحم الله أعظما باليات أصبحت فى عساكر الأموات .

٩٤ – **وقال** الحجاج بن يوسف عند موته : « اللهم اغفر لى فإنهم يزعمون أنك لا تفعل »(٨١) فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة وذكر ذلك للحسن البصرى فقال : « أقالها ؟ فقالوا : نعم ؛ قال : عسى !! » .

٩٥ – وقال سليمان التيمى : « دخلت على بعض أصحابنا وهو فى الموت فرأيت من جزعه ما ساءنى ، فقلت له : هذا الجزع كله لماذا وقد كنت بحمد الله على كذا – يعنى على حال صالحة – فقال : ومالى لا أجزع ومن أحق منى بالجزع ، والله لو أتتنى المغفرة من الله عز وجل لأهمَّنى الحياء منه فيما أفضت به إليه » .

– وقال بعض الصالحين لغلامه – وقد حضره الموت : يا غلام شد كتافى وعفِّر فى التراب خدى ، ففعل الغلام . ثم قال : « دنا الرحيل ، اللهم لا براءة لى من ذنب ، ولا عذر لى فأعتذر به ، ولا قوة فأنتصر بها . ثم قال : أنت لى ، أنت لى . ثم صاح صيحة ومات ، فسمعوا صوتًا يقول : استكان العبد لمولاه فقبله » .

٩٦ – ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : « أبكى لتفريطى فى الأيام الخالية ، وقلة عملى للجنة العالية ، وما ينجينى من النار الحامية » .

---

(٨١) أبو نعيم فى « الحلية » من طريق أبى العباس ابن قتيبة ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى حدثنى أبى عن جدى قال : قال عمر يعنى (ابن عبد العزيز رضى الله عنه) : ما حسدت الحجاج عدو الله على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله وقوله حين حضرته الوفاة « اللهم اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل » والقصة باختصار فى « الإحياء » (٦/١٦٠)

– ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى ؛ فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : « أنتظر رسولاً من ربي يبشرني بالنار أو الجنة » .

٩٧ – وقال **حماد بن سعيد** بن أبي عطية المذبوح : « لما حضر أبا عطية الموت جزع فقالوا له : أتجزع من الموت ؟ فقال : ومالى لا أجزع وإنما هى ساعة ولا أدرى أين يسلك بى » .

٩٨ – **ولما حضرت الوفاة** فضيل بن عياض – رضى الله عنه – غشى عليه ثم أفاق فقال : « وَابُعْدَ سفرى وقِلّة زادى » .

٩٩ – وكان عامر بن عبد قيس يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة فلما حضره الموت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لقوله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة / ٢٧] وقد تقدم عنه كلام آخر قاله أيضاً عند الموت .

١٠٠– **ويروى** أن ابن المنكدر نزل به الموت فبكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : « والله ما أبكى لذنب أتيته وأنا أعلم أنى أتيته ولكنى أخاف أن أكون قد أتيت ذنباً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم » .

وقد روى عنه كلام آخر يدل على علو منزلته .

واعلم أن ذكر الموت وغيره من الأذكار إنما يكون بالقلب وإقبالك على ما تذكر ، وأى فائدة لك رحمك الله فى تحريك لسانك ، إذا لم تحضر بجنانك ؟ وإنما مثل ذلك مثل من يكون فى بعض أعضائه جراحة فيريد أن يداويها فيجعل الدواء على عضو آخر صحيح ويدع العضو المريض ليس عليه شيء فانظر كيف يستريح هذا بهذا التداوى أو متى يستريح ، إلا أن يأتيه البرء من بارئه والشفاء من خالقه سبحانه ، أو مثل من يريد أن يوقظ نائماً فيدعه فى غمرة نومه ويوقظ غيره فانظر كيف يستيقظ له ذلك الذى أراد بإيقاظه إيقاظ هذا الآخر أو متى يستيقظ ، وإنما سنة الله الجارية أن يقصد العضو المريض بدوائه والنائم ما يوقظ به ، اللهم إلا أن يكون فى إيقاظ هذا النائم حركة عظيمة ، ومعالجة كثيرة تتعدى إلى ذلك النائم الآخر يستيقظ فيكون إذًا كأنه قد قصده بالإيقاظ مع صاحبه ، وأما إن كانت حركته لا تتعداه فإن النائم الآخر يبقى بحاله وفى غمرات نومه ، حتى يوقظه الذى أنامه ويحركه الذى سكنه تبارك وتعالى .

وإنما مثل الذكر الذى يعقب التنبيه ويكون معه البرء من السقم والإيقاظ من النوم أن تحضر المذكور قلبك وتجمع له ذهنك وتجعله نصب عينيك ومثالاً حاضراً بين يديك ، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك فتعلم أنك لابد لك من مفارقته إما فى الحياة أو عند الممات سنة الله الجارية وحكمه المطرد ، وتشعر هذا قلبك وتفرغ له نفسك فتمنعها بذلك من الميل إلى ذلك المحبوب والتعلق به والهلكة بسببه ، كما قيل يا ابن آدم لا تعلق قلبك بما يأخذه منك الموت أو يأخذك الموت .

نظر رجل إلى بُنَىٍّ له صغير يمشى بين يديه فأعجبه حسنه وألهته حركته فقال : « يا بنى لولا الموت لعلقت قلبى بك وأكثرت من حبى لك » .

ونظر ابن مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسنها فبكا ثم قال : « والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما أصير إليه من ضيق القبر لقرت عينى بك . ثم بكا حتى ارتفع بكاؤه وعلا نحيبه » .

واعلم أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه ، واشتد علاجه ، ولم يفارقه داء ، ولا نجح فيه دواء ، بل أعيا الأطباء ويئس من برءه الحكماء والعلماء

وقد ورد فى طول الأمد وذمه وفى التحريض على العمل والترغيب فيه ما فى بعضه الكفاية وما يقل منه يوصل إلى المقصود مع عون الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ذَرْهُم يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمونَ ﴾ [الحجر / ٣] .

١٠١- **وقال عليه السلام** « لا يزال قلب الشيخ شاباً فى اثنتين حب الدنيا وطول الأمل »(٨٢) ذكره البخارى ومسلم وغيرهما .

١٠٢- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبة** فى مسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « خط لنا رسول الله - ﷺ - خطاً مربعاً فقال هذا الأجل وخط فى وسطه خطاً

---

(٨٢) « **لا يزال قلب الشيخ شابًا .. الحديث** »
* **صحيح** * أخرجه البخارى (١١/٢٣٩ فتح) ومسلم (٧/١٣٨ نووى) وأحمد فى المسند (٣/١١٩ ، ١٦٩) والترمذى (٢٣٣٨) وابن ماجه (٤٢٣٣) والبغوى فى « شرح السنة » (١٤/٢٨٣) وابن حبان فى « صحيحه » (٥/٩٠) والحاكم فى « المستدرك » (٤/٣٢٨)

وقال هذا الإنسان وخط فى عرضه يعنى فى جانبه خطوطاً فقال هذه الأعراض وخط خطاً خارجاً فقال هذا الأمل قال فالأعراض تنهشه وعينه إلى الأمل »(٨٣) يريد عليه السلام أن الإنسان قد أحاط به أحله وأنه دائر به فحيث ما توجه لقيه وأن محن الدنيا وفتنتها تعترضه وتنهشه وتتلقاه وتستقبله وهو مع ذلك بعيد الأمل مصروف البصر إليه .

١٠٣- **ويروى أنه عليه السلام** « أخذ عوداً فغرزه بين يديه وغرز عوداً آخر إلى جنبه قريباً منه ثم أخذ عوداً ثالثاً فغرزه بعيداً منه ثم قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم فقال : هذا الإنسان وأشار إلى العود الذى بين يديه ، وهذا الأجل وأشار إلى العود الذى إلى جنبه ، ثم قال : وذلك الأمل وأشار إلى العود الثالث البعيد ، فالإنسان يتعاطى الأمل ويختلجه قبل ذلك الأجل » .

١٠٤- **ويروى** أن النبى عليه السلام طلع ذات يوم على الناس فقال : « ألا تستحيون من الله ؟ فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون »(٨٤) .

١٠٥- **ويروى** عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله - ﷺ - يقول : ألا تعجبون من قدمت وإلى بيتك الحسن الذى بنيت قال فإنى لم أقدم عملاً صالحاً ولا بنيت بيتاً حسناً قال فإلى نار تلظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن بين صارخة تصرخ وباكية تبكى قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم والبكاء أكثر »(٨٥) .

---

(٨٣) **صحيح** * أخرجه البخارى (٢٣٥/١١) وأحمد (٣٨٥/١) والترمذى (٢٤٥٤) وابن ماجه (٤٢٣١) والدارمى (٣٠٤/٢) والبغوى (٢٨٦/١٤).

(٨٤) * **ضعيف** * قال الهيثمى - رحمه الله - رواه الطبرانى وفيه الوارع بن نافع وهو متروك ا.هـ

(٨٥) * **ضعيف** * قال الحافظ ابن العراقى · الحديث [رواه] ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والطبرانى فى « مسند الشاميين » وأبو نعيم فى «الحلية» والبيهقى فى «الشعب» بسند ضعيف » ا.هـ .

(٥) باب ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفى تلقين الشهادتين للمسلم وما يستحب للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى عند الموت

اعلم – رحمك الله – أن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يكون يعلوه الهدوء والسكون ومن لسانه الكلام بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى .

١٠٦- **وذكر الترمذى** من حديث بريدة بن حصيب عن النبى – ﷺ – قال : « المؤمن يموت بعرق الجبين »(٨٦) .

١٠٧- **ويروى** فى خبر عن النبى – ﷺ – : « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وإذا ذرفت عيناه ويبست شفتاه فذلك رحمة الله تنزل به ، وإذا غط غطيط المجنون واخضر لونه وارتدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به »(٨٧) وأما انطلاق لسانه بالشهادتين فهو علامة الخير ودليل الشهادة إعادة الاتصال بالحضرة الإلهية .

١٠٨- **ذكر أبو داود** من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »(٨٨) .

---

(٨٦) « **صحيح** » أخرجه الترمذى (٥٨٢/٣ عبدالباقى) وفيه انقطاع فإن قتادة لم يسمع من ابن بريدة ، ومع ذلك فقد صحت له طرق أخرى. أخرجه ابن ماجه (١٤٥٢ عبدالباقى) والحاكم فى المستدرك (٣٦١/١) والنسائى (٦/٤) من طرق صحاح عن ابن بريدة عن أبيه به.

(٨٧) « **ضعيف** » أورده القرطبى فى « التذكرة » ص ١٩ عن سلمان به وعزاه للحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول » وهو فى «الإحياء» (١٣٣/٦) قال العراقى بعد أن عزاه للحكيم الترمذى فى النوادر من حديث سلمان قال. « ولا يصح » اهـ

(٨٨) « **صحيح** » أخرجه أبو داود (١٣٠/٣) والحاكم فى « المستدرك » (٣٥١/١) وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وليس كما قالا فإن فى إسناده صالح بن أبى عريب لم يوثقه سوى ابن حبان راجع « شرح السنة » (٩٦/٥) ومشكاة المصابيح (١٦٢١) « وصحيح الجامع » (٦٣٥٥) و (٦٤٧٩)

١٠٩- **وذكر مسلم** من حديث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »(٨٩) .

١١٠- **وذكر أيضا** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »(٩٠) .

١١١- **ومن غير كتاب** مسلم عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « لما حضر ملك الموت رجلاً فنظر فى عمله فلم ير له شيئاً ففك لحييه فوجد طرف اللسان لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر الله له بكلمة الإخلاص »(٩١) .

١١٢- **وقال** عمر - رضى الله عنه - : « احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون مالا ترون »(٩٢) .

١١٣- **وذكر مسلم** من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعدو الله ابن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله - ﷺ - : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل . وعدو الله ابن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله - ﷺ - يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب : آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله - ﷺ - : أما والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله عز وجل :

---

(٨٩) * **صحيح** * أخرجه مسلم (٢١٨/١ نووى) والخطب فى « التاريخ » (٧٥/٦).

(٩٠) * **صحيح** * وهو فى مسلم (٢١٩/٦) من حديث أبى هريرة والترمذى (٩٧٦/٣) عبدالباق عن أبى سعيد رفعه وقال: « حسن صحيح » وعنه أيضًا رواه أبو داود (١٩٠/٣) والنسائى (٥/٤) وابن ماجة (١٤٤٤، ١٤٤٥) وابن حبان فى « صحيحه » (٣/٥، ٤) وأحمد (٣/٣) والبيهقى (٣٨٣/٣) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٩٦/٥).

(٩١) **ضعيف** * أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب « المحتضرين » كما أشار الحافظ العراقى والطبرانى والبيهقى فى الشعب وإسناده جيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلاً لم يسم ، وسُمى فى رواية الطبرانى إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف.

(٩٢) **قوله . وقال عمر -رضى الله عنه-** . احضروا موتاكم إلخ هو فى « باب ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت » من الإحياء (١٣٣/٦).

﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة / ١١٣] وأنزل الله عز وجل فى أبى طالب فقال لرسول الله - ﷺ - : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [القصص / ٥٦](٩٣) .

١١٤- **ويروى** وتعود أن له بتلك المقالة يعنى أبا جهل وعدو الله ابن أبى أمية .

١١٥- **ويروى** عن أنس بن مالك « أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبى - ﷺ - فمرض فأتاه النبى - ﷺ - يعوده فقعد عند رأسه فعرض عليه الإسلام فقال له : أسلم فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه : أطع أبا القاسم فأسلم فقام النبى - ﷺ - وهو يقول : الحمد لله الذى أنقذه بى من النار »(٩٤) . ذكر هذا الحديث البخارى وأبو داود وغيرهما وينبغى أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادة .

١١٦- **قال ابن المبارك** « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه لأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة »(٩٥) .

وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . وذكر أبو بكر الدينورى رحمه الله فى كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسى على التراب . قال فبكى نصر فقال : ما يبكيك ؟ فقال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقير غرب فقال له

---

(٩٣) **صحيح** * أخرجه البخارى (٣٤١/٨) ومسلم (٢١٤/١) وابن حبان فى صحيحه (١٦٤/٢) وذكره الحافظ فى الإصابة(١٣٤/١١٢/٧ - ١٤٤) والقرطبى فى تفسيره الجامع (٢٧٢/٨) والسيوطى فى « الدر المنثور » (٢٨٢/٣) وابن إسحق كما فى سيرة ابن هشام (٢٦٣/١).

(٩٤) - **صحيح** - أبو داود (١٨٥/٣) وأحمد (١٧٥/٣ - ١٧٧ - ٢٦٠، ٢٨٠) الحاكم (٣٦٣/١، ٣٩١/٤).

(٩٥)**قوله (قال ابن المبارك - رحمه الله -** : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله
* **صحيح** * وهو فى ترجمة شيخ الإسلام ابن المبارك من سير أعلام النبلاء (٤١٨/٨) وراجع المعنى بالشرح الكبير (٣٠٤/٢) وما بعدها.

اسكت فإنى سألت الله عز وجل أن يحيينى حياة الأغنياء ويميتنى ميتة الفقراء . ثم قال له : لقنى – يعنى الشهادة – ولا تعدها على إلا أن أتكلم بكلام .

والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذى ينظر فيه وتكون النجاة بسببه .

وأما حركة اللسان دون أن يكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها ، وأما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب قال عليه السلام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » .

١١٧– **وقال** عبد الله بن مسعود « والذى لا إله غيره يا بؤس للدنيا شدت عن ثديها فطمتهم ومن سمها أطعمتهم وبيدها الباطشة لطمتهم وفى ظلمات الأرض وغيابات الثرى طرحتهم فقلبت قائم تلك الأعيان ، وطمست تلك الوجوه الحسان ، وأعمت تلك الأبصار ، وأصمت تلك الآذان ، أسالت الأحداق على الخدود والوجنات وغسلت بالصديد جميل القسمات وملأت بالتراب اللهاذم واللهوات ، وكسهت تلك الضواحك والرباعيات ، وعبثت بجسوم أولئك الفتيان وتلك الفتيات ، لطال ما أغربوا ضاحكين وتقلبوا فاكهين ، وباتوا على سررهم مطمئنين آمنين ، فكم ها من لسان فصيح لطال ما أنشد وخطب ، وأرهب ورغب ، ومدح فأطنب ، وأنابه الآن من فصيح لسان وعظيم بيان أخرسه الحدثان وتحكمت فيه الهوام والديدان .

وأنشدوا :

ويحيبان إذا ما قال أو خطبا أتى بسحر بريق القول والخطبا .
أتى بسهل من الألفاظ فممتع جزل مصيب المعانى آية عجبا .
فلو تميع مضرا سلساً ولو تحسر كان خالصاً ذهبا .
رمته هذى المنايا وهى صائبة سهما فما هو إلا أن رمته كبا .
فأخر ميته فما يبدى بضاحكة ولا يرد جواباً هان أم صعبا .
وبات مطروحاً فى قعر موحشة غبراء مصطنق الأحشاء مستلباً .
أعطى يديه لدنياه بما طلبت إذ أدرك الدود من جنبيه ما طلبا .

وكم هنا كم من مسعر حرب قد لبس أوزارها ، وأضرم نارها ، وأوصل إلى

القلوب أوارها ، وأقام سوقها ورفع غبارها ، كم أغار من غارة شعواء وفتك من فتكة شنعاء ، وأثار من فتنة عمياء ، صال بجنان ، وطعن بسنان وركض بحصان ، ولعب بفرسان ، وفرسان ، وقال خذها وأنا فلان بن فلان هاك هو اليوم قد خبل جنانه وتكسر سنانه ، وأكب به حصانه ، لأبيه الويل وحسرة سوداء مثل الليل .

وأنشدوا :

ومقدام على الأهوال صدق لدى الفاتكات والأمر الكبير .
تبيت لذكره الأبطال سكرى وتضحى منه ضيقة الصدور .
فرض فرائص الفرسان رضاً ويحطمهن كالأسد المنصور .
طموح السيف لا يثنيه شيء جهول بالبشير والنذير .
أشار الموت من بعد إليه فخر موسداً إحدى الصخور .
وكب حصانه ونبت أشباه واعلو نادبوه بالثبور .
وأنسى أن يقم لواء روع يروعات أتته من القبور .

وإن أنت أطلت اعتبارك ، وأمعنت استبصارك ، فكم بها من عادة قد هجم وشاحها ، ونور مصباحها ، وملء فتنة غدوها ورواحها قد فتكت بذلك الأسد المنصور ، واقتنصت ذلك الفارس المذكور ، أدلت إدلالها ، وجرت أذيالها ، وأرسلت جمالها ، فعملت أعمالها ، وسلبت الملوك قلوبها وأموالها ما كان فأوشك من أن صارت جيفة من الجيف ، تبعد وتصرف ، وتنكر ولا تعرف أحسن أحوالها ، إن ثلب فى سربالها وتدفع لجمالها ، فتطرح فى من الأرض قريب الطول والعرض ، مظلم القعر ، إلى يوم القيامة ، والخير فضاء الله النازل من سمائه وحكمه فى عبيده وإمائه .

وأنشد بعضهم :

عرج على القبر بدار البلى حيث منى نفسى مقبور .
حيث هوى بدر الدجى ساقطاً قد زال عن صفحة النور .
وحيث حلت داعيات الهوى أجمع مسموع ومنظور .
يا ظبية بطن الثرى أسكنت وبيتها فى القصر مشهور .

حقاً تمطيت على رضمة جنبك منها اليوم مكسور .
وطال ما بت على سندس بالذهب الإبريز مضبور .
وجسمك الناعم حنا به للتراب تشقيق وتقطير .
وطال ما أثر من قبل ذا فى لينه ومتم وتفكير .
وثغرك العذب ويا ويلتا فيـه الديـدان جمهـور .
ولو به غل قتيل الهوى قبل الأضحى وهو منشور .
وشعرك الجثل وعمره به فيه فبيث المسك منثور .
قد عششت فيه بنات الثرى ففيه تشعيث وتغيير .
يا حسرتا مت يا حسرتا لو كان يغنى اليوم تحسير .
ياتا التى أعجبها عطفها قبرك فى الأقبر محفور .
وكلنا ذاك ولكننا كل بهذى الدار مسحور .

فأنت إذا تذكرت هذه الأذكار وأطلت لها الترداد والتكرار وأعملت فيها النظر والاعتبار ، ورأيت أنك واحد من المذكورين ملكا أو غير ذلك من أصناف الناس ورأيت خلقتك خلقتهم ، وصفتك صفتهم ، وأنه لابد أن يصيبك من الموت ما أصابهم ، وينزل بك منه ما نزل بهم ، وأنت تشاهد بهذه الدار أنواع المصيبات ، وأجناس البليات ، وضروباً من الهلكات ، وأن الموت واحد وأسبابه كثيرة فمن رجل باشر الكفاح فتخللته الرماح ، وتمكنت من رقبته السفاح ، وربماكان هذا أسهلهم مماتا ، وأكرمهم وفاة ، وثان قد طرح فى أيدى أعدائه ، وأسلم لبلائه ، فقطعوه إرباً إرباً وفصلوه عضواً عضواً ، وثالث [قد ساقوا ألوان] العقاب إليه ، وصبوا أنواع العذاب عليه وما مات حتى كان الموت أحب غائب إليه وأكرم قادم يقدم عليه ، ورابع قد أمسى أكيلة حوت فى ظلمات البحار ، وخامس فريسة أسد فى موحشات القفار ؛ إلى غير ذلك من الأمراض الصعبة والآلام الشاقة ، وما تظنه ومالا تظنه حتى إن الرجل هم بالطعام ويسرف بالشراب فيكون فى ذلك حتفه ، وتذهب فيه نفسه .

كما قال القائل :

وما طريق الموت فى ذا الورى واحدة بل جمة الأحبة .
وربما لذ امروء شربة فانقلبت وهى له شاربة .

وأسباب الموت : أكثر من أن أحصيها لك ، وأعدها عليك ، ولا تدرى ما السبب الواصل إليك منها ، ولا النصيب الذى قسم لك من جملتها ، وإنك لا تدرى متى يهجم عليك الموت فيقصمك ، ولا متى ينزل عليك فيحطمك ، ولعله لا يمهلك حتى تقضى نفسك ، فأنت إذا واظبت على هذا تمكن ذكر الموت من قلبك وملكت القياد من نفسك ، ونظرت بعون الله عز وجل فى أمرك ، ومهدت المضجع من قبرك وأعددت به الأنيس ليوم حشرك ، وإلا فقد نبّه من حذر وأعذر من أنذر ولا لوم إلا على المقصر ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولعلك تقول : يا هذا قد أرعدت فى ذكر الموت وأبرقت ، وطولت فيه وعرضت ، وعرضت فى كلامك بمن عرضت وأموت بالتفكر فيه ، والاشتغال به ، وجمع الهم له وتقصير الأمل ، والخوف من انقضاء الأجل ، وأى فائدة فى ذكر الموت وأنواعه ، وضيق العمر واتساعه وهذا أمر قد فرغ منه ، وأعجزت الحيلة فيه وكما تقول لى لا تكثر الانشغال بأمر الرزق ولا تغتم له ولا تتفكر فيه وأنه مقدر مفروغ منه وما قدر يأتك فكذلك الموت أيضاً وأسبابه ، والعمر ومدته ، كل ذلك أمر مقدر مفروغ منه ما قدر على يصيبنى وما كتب على يأتينى . فأقول نعم كلاماً قد سبق فى الأزل وكتب فى القسم الأول ، والسبب الذى كتب عليك فى الموت لن تتعداه ، والعمر الذى قسم لك لن تتخطاه ، ولكن بين الأمرين فى الاشتغال بهما فرقان ، وذلك أن الرزق المقدر المفروغ منه لا يزيد فيه حرصك ولا ينقص منه كسلك وعجزك ، وإن كانت له أسباب ، ولطلبه أبواب فقد تتعلق بأسبابه ، وتأتيه فى الظاهر من أبوابه ، فتكون أحد المحترمين والمجتهدين المحدودين ، هذا أمر قد شوهد بالعيان ، وعلم به كل إنسان فلا يفيدك الطلب ، إلا العناء والتعب ، ولست بمأجور فى الحرص ، ولا فيما تتحمله من مشقة الطلب لأكثر مما تحتاج إليه ، وربما تبرمت فى الحال ، ولم تنظر فى المآل ، وسخطت قضاء الله عليك ، وحكمه فيك ، وإرادته لك وفى هذا ما فيه ، وقد تؤجر فيما يصيبك من المشقة فى طلب أكثر مما تحتاج إليه إذا كان لك فيه نية صالحة من صدقة أو صلة رحم أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر ، وأما إن كان سعيك ذلك للتكاثر والتفاخر ومحبة فى المال فلا ، والحول والقوة لله وحده .

وأما ذكر الموت والتفكر فيه فإنه وإن كان أمراً مقدراً مفروغاً منه فإنه يكسبك بتوفيق الله سبحانه التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت والنظر فيما تقدم عليه ، وفيما يصير أمرك إليه ، ويهون عليك مصائب الدنيا ويصغر عندك نوائبها ، فإن كان سبب موتك سهلاً(*) [وأمره قريباً هيناً فهو لك ، وإن كانت الأخرى كنت مأجوراً فيما تقاسيه مثاباً على فعله] [و] لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده .

١١٨- **وقال** عبد الله بن عباس : « إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشروه حتى يلقى ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حياً فخوفوه بربه وذكروه شدة عقابه » .

١١٩- **وقال** المعتمر بن سليمان : « قال لى أبى عند موته : يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى أن ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر العبد بمحاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه »(٩٦) .

١٢٠- **وقال** الفضيل بن عباض « ما دمت حياً فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل فإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل » .

١٢١- **ويروى أن** حذيفة بن اليمان لما نزل به الموت قال : [حَبيبٌ] [جَاءَ] على فاقة قد كنت قبل اليوم أخشاك وأنا اليوم أرجوك »(٩٧) .

١٢٢- **ويروى عن** الحسن بن الليث أنه قال : « رأيت محمد بن محمد الرازى فى المنام فقلت له يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى . قلت : بم ؟ قال برجائى له منذ ثمانين سنة » .

١٢٣- **ودخل** واثلة بن الأسقع على رجل فوجده فى الموت فقال له أخبرنى كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل : « أغرقتنى ذنوبى وأشرفت على الهلكة ولكن

---

(٩٦) قوله· وقال المعتمر بن سليمان . إلخ الإحياء (١٣٥/٦) وأوردها فى المغنى والشرح الكبير (٣٠٢/٢).

(٩٧) قوله ويروى أن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه - لما نزل به الموت .. إلخ سير النبلاء (٣٦٨/٢) وقال فى الحاشية ذكره فى الكنز (٣٤٦/١٣) ونسبه إلى ابن عساكر –والتصويب من « السيّر » و « الحلية » .

أرجو رحمة الله تعالى فَكَبَّر واثلة وَكَبَّر أهل البيت لتكبيره . قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : قال الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء »(٩٨) .

١٢٤- **ويروى أن النبى** - ﷺ - دخل على شاب وهو فى الموت فقال له : « كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال النبى عليه السلام : « هذان أمران لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه الذى يخاف » أخرجه الترمذى(٩٩) .

١٢٥- **وقال** ثابت البنانى : « كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه وتقول له يا بنى إن لك يوماً فاذكر يومك وإن لك مصرعاً فاذكر مصرعك فلما نزل به أمر الله تعالى كبت عليه أمه فجعلت تقول أى بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا فقال لها يا أمه إن لى ربا كثير المعروف وإنى لأرجو أن لا يعذبنى بكرمه ورحمته قال ثابت فمات فرحمه الله بحسن ظنه بربه » وأخبر بذلك فى النوم أو أخبر به عنه »(١٠٠) .

١٢٦- **وقال** جابر بن عبد الله « كان شاب به زهو فنزل به الموت فقالت له أمه يا بنى توصى بشىء قال نعم خاتمى ادفنينى به فإن فيه ذكر الله تعالى فلعله يرحمنى فلما دفن رؤى فى النوم فقال أخبروا أمى أن الله قد غفر لى »(١٠١) .

١٢٧- **وقال** ذو النون المصرى رحمه الله « كان فى جوارى شاب مسرف على نفسه

---

(٩٨) **صحيح** ، أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١٧/٢) وله شواهد منها ما أخرجه البخارى - رحمه الله - (٣٢٥/١٣) ومسلم (٢/١٧ ، ٣ نووى) والترمذى (٥٩٦/٤) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٣/٥ ، ٢٤) والحاكم فى المستدرك (٤٩٧/١) والطيالسى (١٩٦٧) وغيرهم

(٩٩) **حسن** ، أخرجه الترمذى (٩٨٣ عبدالباقى) وابن ماجه (٤٢٦١) وعبدالله بن أحمد فى « زوائد الزهد » ص ٢٤ - ٢٥ وابن أبى الدنيا كما فى « الترغيب » (١٤١/٤)

(١٠٠) **قوله وقال ثابت البنانى** كان شاب به حدة إلخ الإحياء (١٣٤/٦) .

(١٠١) **قوله** (وقال جابر بن عبدالله) هو فى الإحياء جابر بن وداعة (؟!) كان شاب به زهو .. [فى الإحياء شاب به رهق ... إلى قوله أخبروا أمى أن الله قد غفر لى] فى الإحياء أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى] راجع الإحياء (١٣٤/٦)

كثير الخطايا فمرض فدخلت عليه أعوده فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيء فرأيته في منامي فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي فقلت بماذا ؟ قال : فكرت في جرمي وفي عفوه فرأيت عفوه أكثر من جرمي . قال ذو النون : فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب :

حسن ظني بك كان مني جراني عليكا .

فارحم اللهم عبداً صار رمسا في يديكا .

١٢٨- **ويروى** عن بعض الصالحين قال : قال مالك بن دينار : « رأيت مسلم ابن يسار في النوم بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد على السلام فقلت له : لم لا ترد السلام على ؟ قال وكيف أرد السلام عليك وأنا ميت ؟ فقلت له : وماذا لقيت بعد الموت قال ودمعت عينا مالك عند هذا القول فقال : لقيت أهوالاً وزلازل وعظائم وشدائد . قال مالك فقلت له : فما كان بعد ذلك ؟ قال وما تراه يكون من الكريم إلا الكرم قبل منا الحسنات وغفر لنا السيئات وضمن عنا التباعات كما كان حسن ظني به . قال : ثم شهق مالك شهقة خر مغشياً عليه فلبث بعد غشيته أياماً مريضاً ثم مات من مرضه ذلك وكان يقال إن قلبه انصدع ولولا حسن الظن بالله عز وجل لهلك الخلق » .

ومرض أعرابي فقيل له : إنك تموت : فقال : وإذا مت فأين يذهب بي ؟ فقالوا إلى الله تعالى قال [أُكْرَهه » من أن يُذْهَب بي إلى من لا يُرَى خيرٌ إلا من عنده »(١٠٢) .

---

(١٠٢) **قوله** · ومرض أعرابي فقيل له إلخ الإحياء (١٣٥/٦) والتصويب منه.

(٦) باب فى الجنائز وفضل اتباعها

١٢٩- **ذكر البخارى** عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع وارتفاع درجته »(١٠٣) .

١٣٠- **ولما نزل الموت** بسليمان التيمى قيل له : أبشر فقد كنت مجتهداً فى طاعة الله فقال : « لا تقولوا هكذا فإنه لا أدرى ما يبدو إلى من الله عز وجل فإنه سبحانه يقول : ﴿ وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ قال بعضهم عملوا أعمالاً كانوا يظنونها حسنات فوجدوها سيئات » .

١٣١- **وكان الجنيد** يقرأ القرآن وهو فى سياق الموت فختم فقيل له : فى مثل هذا الحال يا أبا على ؟ فقال : « ومن أحق بذلك منى وها هو ذا تطوى صحيفة عملى ثم كبر ومات وقيل له قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره » .

١٣٢- **ولما نزل الموت ببشر الحافى** وكان على ما كان عليه من العبادة والزهادة شق عليه وساءه فقيل له أتحب الحياة يا فلان ؟ فقال : « القدوم على الله شديد » .

١٣٣- **ولما حضر** أبا سليمان الدارانى الموت قال له أصحابه : « أبشر فإنك تقدم

---

(١٠٣) - **صحيح - أخرجه البخارى** (١٩٦/٣ فتح) ومسلم (١٣/٧ نووى) والترمذى (١٠٤٠ عبدالباقى) وصححه، وأبوداود (٢٠٢/٣) والنسائى (٥٥/٤ سيوطى) وابن ماجة (١٥٣٩) والبيهقى (٤١٢/٣، ٤١٣) وأحمد (٢٣٣/٢، ٢٤٦، ٢٨٠، ٣٢١، ٤٠١) والطيالسى (١٥٨١) وابن حبان فى « صحيحه » (٣٢/٥) والبغوى فى شرح السنة (٣٧٧/٥).

على رب غفور رحيم فقال لهم : ألا تقولون تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير » .

أبو سليمان هذا غلب عليه الخوف فى هذا الحال فتكلم عن حاله

١٣٤- **وقيل** لرويم عند الموت : « قل لا إله إلا الله فقال ما أُحسن غيرَها » . وكان رويم هذا من الصالحين يروى أنه كان يدعو الطير فتجيبه .

واحتضر بعض الصالحين فبكت امرأته فقال : « ما يبكيك ؟ فقالت : عليك أبكى قال : إن كنت باكية فابكى على نفسك فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة » .

١٣٥- **ولما حضرت** أبا على الروذبارى الوفاة كان رأسه فى حجر ابنته فاطمة ففتح عينيه ثم قال : « هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرفت وهذا قائل يقول : يا أبا على قد بلغناك المرتبة القصوى وإن لم تردها ثم قال :

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين موده حتى أراكا ».

كان أبو على هذا ممن يعبد الله لذاته وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها إنما أريدك يا رب .

١٣٦- **وكذلك كان** ممشاد الدينورى ولما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له فضحك وقال : منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما نظرت إليها » .

ويروى أن بعض الصالحين لما نزل به الموت ضحك وقال : « يا صادق يا وفى وفيتَ لى وما وفيتُ لك »

١٣٧- **ويروى عن** عبد الله بن المبارك أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك ثم قال : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [الصّافات / ٦١] .

ومثل هذا يروى عن بعض أصحاب ابن فورك « وكان من الصالحين المجتهدين أنه نزل به الموت فشخص ببصره إلى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون » .

١٣٨- **وقال** الجنيد « دخلت على سرى السقطى -- رضى الله عنه -- عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو إلى طبيبى مابى والذى قد أصابنى من طبيب .

فأخذت المروحة لأروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق ثم أنشد :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق .

كيف العزاء على من لا فرار له
مما جناه الأسى والشوق والقلق

يارب إن كان الهوى شيء ثم فيه لى فرج فامنن على به مادام لى رمق .

ثم ذكر الله ومات رحمة الله عليه » .

١٣٩- **ويروى عن** عبد الله بن شبرمه أنه قال : « دخلت مع عامر الشعبى على مريض نعوده. فوجدناه لما به ورجل يلقنه الشهادة يقول له قل لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبى : ارفق به . فتكلم المريض وقال إن تلقنى أولا تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ [الفتح / ٢٦] فقال الشعبى : الحمد لله الذى أنجا صاحبنا » .

وحكى أن قوماً من أصحاب الشبلى قالوا له عند الموت : قل لا إله إلا الله **فأنشد :**

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج .
وعليلا أنت زائره قد أتاه الفرج .
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج .
لا أتاح الله لى فرجاً يوم أدعو منك بالفرج .

يريد الشبلى رحمه الله أن القلب إذا امتلأ بعظمة الله وجلاله لم يحتج إلى مُنبه يُنَبِّهُه ولا إلى مذكر يذكره .

١٤٠- **ودخل** [المُزَنِى] على الشافعى فى مرضه الذى مات منه فقال له : « كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسيء عملى ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى ربى تبارك وتعالى وارداً ولا أدرى روحى إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها »(١٠٤) .

واسترحم فلم يرحم ، ومضى على ما شاء من رأيهِ وصمم ، بنى المدائن

---

(١٠٤) **قوله ودخل المزنى على الشافعى رحمه الله فى مرضه** .. إلخ فى الإحياء [لسوء عملى ملاقيا] وهناك من الزيادة .. :

* ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى — جعلت رجائى نحو عفوك سلما
* تعاظمنى ذنبى فلما قرنته — بعفوك -ربى- كان عفوك أعظما

والحصون وأكثر من ماله المخزون ، واستعد لما قد يكون أو لا يكون ، حتى إذا استحكمت له الأمور وأطال الفرح والسرور ، وزخرف الدساكر والقصور ، وظن أن قد ساعده فيما بقى من أمله المقدور ، قلبت له الدنيا ظهر المجن ، وكسته من حصنها ما أجن ، وسقته من كربها ما يسكرو به ويجن ، نظرت بعينها الشوساء إليه ، وقبضت ما كان فى يديه ، وأتت بنيانه من قواعده فألقته عليه فأصبح وقد هد ذلك البنيان ، وسقط ذلك الإيوان وتبددت تلك المقاتلة والفرسان ، وتفرقوا شذر مذر ، بكل مكان وأصبح كأنه ما كان وقيل ملك فى سالف الزمان ملك يقال له فلان بن فلان ، لم يحصل مما ملك من البلاد ولا ما ادخر من العتاد إلا على حنوط وكفن ، وحفره ضيقة القطن يحبس بها ويرتهن ، بكل ما عمل من قبيح أو حسن .

وأنشدوا :

يا بانى القصر الكبير بين الدساكر والقصور .
ومجرر الدجى الجيش الذى ملأ البسيطة والضروز .
ومروح الأرض التى أعيت على مر الدهور .
أما فرغت فلا تدع بنيان قبرك فى القبور .
وانظر إليه تراه كيف إليك معترضاً بشير .
واذكر رقادك وسطه تحت الجنادل والصخور .
قد بُدِّدَتْ تلك الجيوش وغيرت تلك الأمور .
واعتصمت من لين الحرير خشونة الحجر الكبير .
وتركت مرتهناً به لا مال وبك ولا عشير .
حيران تعلق بالأسى لهفان تدعــو بالثبــور .
ودعيت باسمك بعدما قد كنت تدعى بالأمير .
ولأنت أهون فيه من جُعْلٍ على نتن يدور .
إن لم يَجُد بالعفو من يعفو عن الذنب الكبير .
هذا هو الحق اليقين وكل ذاك هو الغرور .

---

* فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعمــو منــة وتكرمــا
وما بين المعكفين [المزنى] الإمام صاحب الشافعى الإمام وروايته رحمهما الله – غير واضحة بالأصل

وأنشدوا أيضاً :

أبادَ ذا الدهرُ أملاكاً وما مَلكوا ودار مستعقباً عليهم الفلكُ
أدار دورته فى أرضهم فعثرت كالراح ليس بها لناظر تـ . .
رمى بهم حيث لا قيعان بمسكنهم ولا مرار بها المرمى بمسسك .
هوت هوى ثقيل الصخرا منهم فلا خسيس ولا ركز ولا حرك .
عدت رؤسهم من تحت أرحلهم وزلزلت بهم الأطباق والدرك .
يا بطشته من حليم ما هامل وغضبة من عزيز قالها درك .
جروا إلى اللهو فلا من أعتبهم حتى إذا ما رأوا حيل الردى برك .
حطموا بدار البلى منازلا حرجا وليتهم ويحهم فيهن ترك .
لطال ما نقصوا ملكاً وما هدموا عزاً وما هتكوا ستراً وما فتك .
مروا وما بلغوا كل الذى طلبوا ولا قضوا وطراً من كل ما ترك .
أصحاهم اليوم صرف الدهر أو هلكوا كما أظلهم بالاسراء تلك .

وأنشدوا أيضاً :

أفاض على الملك سرباله وجرر فى العزِّ أذيالَه .
وصاح فوفاه ما شاء من مدبر يعلل أشباله .
وزلزلت الأرض من أجله وقال فكان الذى قاله .
ولابدَّ يوماً له أن يَصيح ويُبدِى شجاه وإعواله .
ولا أحدٌ مستجيب له ولا أحد كاشف حاله .
وتأتيه فى سرية روعة تقطع بالموت أوصاله .
ويطرح فرداً لدار البلى ويترك فيها وأعماله .
فكم قائل عنه لا يبعدن وكم قائل فيه أولى له .
قل للذى شاء سلطانه وطول ما شاء أمثاله .
تأهب لتصرع صرع الزجاج وتلحق هذا وأمثاله .
وتحمل مما جمعت الأجاج وتترك للناس سلساله .
وإمّا نسيت فلا تنسين يوم الحساب وأهواله .
مثالك تعلم على الذنوب وشوم الخلاب وأنكاله .

واعلم رحمك الله أن كثرة الاشتغال بالدنيا وإفراغ المجهود فيها والميل بالكلية إليها وحلاوة أحاديثها ولذة أمانيها تمنع حرارة ذكر الموت أن ترد على القلب وأن تلج فيه لأن القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مدخل ولا لسواه فيه مجال ألا ترى الإناء إذا كان ملأته بشيء لم يمكنك أن تدخل عليه شيئاً آخر ، ووجهك إذا صرفته إلى موضع صرفته عن موضع آخر ، ومتى دام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير ولا ليزداده عليه جلاؤه كيف يؤثر فيه وهو لا يجد مكاناً ينزل فيه ولا موضعاً يتعلق به ، قد ملأه حب الشهوات الفانية ، واللذات المنصرفة ، فهو شبعان ريان ، حيران سكران ، أصم أعمى ، إن عرض عليه طريق هدى لم يره أو نودى باجتناب ردى لم يسمع .

فإذا أراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفريغه لبجد الذكر فيه منزلاً وتلقى الموعظة فيه محلاً قابلاً ، ولا يزال يتعاهده ويتفقده بالأذكار والأفكار والنظر والاعتبار ، آناء الليل وآناء النهار ، لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الرين ، ويعود إلى حالته الأولى من العين . وإن لم يقدر على تفريغه فرغ منه ما أمكن وجعل مكان ما أزال ضده فيجعل مكان الغفلة ذكراً ومكان الفرح حزنا ومكان الاغتباط ندماً ومكان السهو تيقظاً ولا يزال هكذا يزيل شيئاً ويجعل مكانه ضده ويستعين بجعل هذا على إزالة هذا وبإزالة هذا على جعل هذا وبالله يستعان على كل ما يحاول ، وبمنه وتيسيره سبحانه يتناول كل ما يتناول لا رب غيره ولا معبود سواه .

واعلم رحمك الله أن مما يعينك على الفكرة فى الموت ويفرغك له ويكثر اشتغالك به تذكر ما مضى من خلانك وإخوانك وأصحابك وأقرانك الذين مضوا قبلك وتقدموا أمامك ، كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ، ويأملون أملك ، ويعملون فى هذه الدنيا عملك ، وقضّت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم ، وقصمت أصلابهم ، وفجعت بهم أهليهم وأحبابهم ، فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين .

١٤١- **يروى عن** أبى هريرة قال : قال لى رسول الله - ﷺ - : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعا ؟ فلت : بلى يا رسول الله قال : فأخذ بيدى وأتى وادياً من

اودية المدينه فإذا مزبلة فيها رؤس عظام وحرف بالية وعدرات ففال يا أبا هريره أنه ليس بين الجنة والنار منزل وأنكم صائرون إلى إحداهما »[١٠٥]

١٤٢- وروى عن عبد الله بن عمرو أنه قال . « بينا نحن نصلح خُصًّا لَنا إذْ مرّ بنا رسول الله – ﷺ – فقال : ما هذا ؟ فقلنا . يا رسول الله قد وَهى فنحن نصلحه فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك »[١٠٦] ذكره الترمذى والخُصّ بيت من قصب يريد عليه السلام تعجيل الأمر وتقريبه وخوف بغتته والحذر من فجأته .

١٤٣- وقيل للحسن البصرى . « يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك ؟ فقال : الأمر أعجل من ذلك »[١٠٧] كان الحسن – رحمه الله – قصير الأمل طويل الخوف وكان يأتى عليه الأحيان يظن أن الموت قد نزل به وأنه فى سياقه من كثرة تفكره فيه وتخيله له .

١٤٤ وقال داود الطائى : « لو أمّلْتُ أن أعيش شهرا لرأيت أنى قد أتيت عظيما وكيف [أؤمل] ذلك وأنا أرى الفجائع تنزل بالخلائق آناء الليل والنهار »[١٠٨] .

١٤٥- وقيل للربيع بن خيثم : كيف أصبحت فقال : « كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدرى أنه يمسى وإذا أمسى لا يدرى أنه يصبح » .
امتثل الربيع - رحمه الله - الحديث المروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : « أخذ رسول الله – ﷺ – بمنكبى وقال : كُنْ فى الدنيا كأنَّكَ غريبٌ أوْ عابرُ سبيل وعُدّ نَفْسك فى أهل القبور ، وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك

---

(١٠٥) خبر أبى هريرة . لم أقف عليه بهذا اللفظ فليُحَرر

(١٠٦) صحيح أخرجه الترمذى (٢٣٣٥) وأبو داود (٥٢٣٥) وابن ماجه (٤١٦٠) ، وأحمد (١٦١/٢) والبغوى فى « شرح السنه » (٢٣٢/١٤)

(١٠٧) قوله (وقيل للحسن البصرى رحمه الله يا أبا سعيد، ألا تغسل قميصك) إلخ – الإحياء (١١٣/٦)

(١٠٨) قوله وقال داود الطائى: لو أمّلت. إلخ – الإحياء (١١٣/٦) والتصويب منه والله تعالى أعلم

لمونك ومن غناك لفقرك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدرى يا عبد الله ما اسمك غدا »[١٠٩] .

وقوله : وإذا أصبحت الكلام إلى آخره فأكثر ما يروى من قول عبد الله بن عمر – رضى الله عنه – ذكر الحديث الترمذى وغيره .

١٤٦– **وقال** ابن عباس : « ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله – ﷺ – بمثل كتاب كتبه إلى على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ، أما بعد : فإن الإنسان يَسُرُّهُ درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً ، ولا بما فاتك منها ترحاً ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول الأمل فكأن قد والسلام »[١١٠] .

وقال بعض الحكماء : « العاقل يعتمد على عمله والجاهل يعتمد على أمله » .

وقال آخر فى موعظة له : « كلنا قد يتقن الموت وما نرى له منا مستعداً ، وكلنا قد تيقن الجنة وما نرى منا لها عاملاً ، وكلنا قد تيقن النار وما نرى لها منا خائفاً ، فعلام تفرحون ، وما عسى تنتظرون ، وماذا ترتجون ، وماذا تؤملون ، الموت أول قادم يقدم عليكم بخير أو بشر ، فيا إخوتاه سيروا إلى الله سيراً جميلاً ، فيا إخوتا سيروا إلى الله سيراً جميلاً » .

وقال آخر : « بطول الأمل تقسو القلوب وبإخلاص النية تقل الذنوب » .

ويروى عن شقيق البلخى أنه جاء إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم وفى طرف كسائه شيء مصرور فضرب عليه الباب فخرج إليه فرأى ما فى كسائه فقال

---

(١٠٩) – **صحيح** – أخرجه البخارى (٢٣٣/١١)، و (قوله) : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح .. إلخ إنما هو مدرج من كلام ابن عمر – رضى الله عنهما – وليس من الحديث المرفوع ، وأما قوله هنا « وعُدّ نفسك من أهل القبور ..» فزيادة فى رواية أحد رواة الحديث هو ليث بن أبى سليم عند أحمد والترمذى فأخرجه أحمد (٢٤/٢) من طريق وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر به ، والحديث عند الترمذى (٢٣٣٤) وأبى نعيم فى « الحلية » (٣٠١/٣) والبغوى فى شرح السنة (٢٣٠/١٤) من طرقٍ عن الأعمش به

(١١٠) (**قوله**) وقال ابن عباس ... إلخ انظر له « نهج البلاغة » (٤٥٨/٤ – ٤٥٩)، وأوردها القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتاب « إعجاز القرآن » (ص– ١٤٦ – صقر) وعزاها فى الحاشية « لأمالى أبى على القالى (٩٤/٢) والتصويب من « الإعجاز » و « نهج البلاغة » والله تعالى أعلم.

له ما هذا الذى فى كسائك فقال : « يا أستاذ دفع إلى أخ لى لوزات وقال أحب أن تُفطر عليها . فقال له يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تعيش إلى الليل لا أكلمك ثم أغلق الباب فى وجهه ودخل »(١١١) .

ويروى عن الحسن أنه قال : قال رسول الله – ﷺ – : « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يارسول الله – ﷺ – فقال : قصروا آمالكم ، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء »(١١٢) .

وقال بعضهم : « رأيت زرارة بن أبى أوفى فى المنام بعد موته فقلت له : أى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : التوكل وقصر الأمل »(١١٣) .

وقال بعضهم فى موعظة له : « أيها الناس حسنوا أعمالكم ، وقصروا آمالكم ، واعلموا أن الموت معهود بنواصيكم ، وأن الدينا تطوى من ورائكم » .

١٤٨– **وقال الثورى** : « الزهد فى الدنيا هو قصر الأمل وليس بأكل الخشن ولبس القباء »(١١٤) وصدق الثورى – رحمه الله – فإن من قصر أمله لم يتأنق فى المطعومات ولا تفنن فى الملبوسات وأخذ من الدنيا ما تيسر واجتزأ منها بما يبلغ .

وفى بعض الخطب : أيها الناس : إن سهام المنية قد قذفت إليكم فانظروها ، وحبالة الأمل قد نصبت بين أيديكم فاحذروها ، وفتن الدنيا قد أحاطت بكم من كل جانب فاتقوها ، ولا تغتروا بما أنتم فيه من حسن الحال ، فإنه إلى زوال ، ومقيمه إلى ارتحال ، وممتده إلى تقلص واضمحلال ، أما تسمعون أيها الناس ما به توعظون ، أما تعتبرون بما إليه تنظرون ، أما

---

(١١١) (**قوله وقال شقيق...**) الإحياء (١١٣/٦).

(١١٢) (**قوله**) – **مرسل** ، وقال العراق [رواه] ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلاً » ا.هـ.

(١١٣) (**قوله**) وقال بعضهم : رأيت زرارة بن أبى أوفى... إلخ (ا)
* **ضعيف** * بجهالة هذا الـ « بعض » وهو فى « الإحياء » (١١٣/٦).

(١١٤) (**قوله**) وقال الثورى : الزهد. . إلخ – « الإحياء » (١١٣/٦).

تفكرون فيما عنه تزولون ، وفيما إليه ترجعون ، وعليه تقدمون ، أين من نقدكم وكان قبلكم ممن أمل أملكم وسعى سعيكم وعمل عملكم ، أين الذين بنوا المدائن ، وملأوا الخزائن ، واستعدوا لما هو عندئذ كائن ، أين الذين عرشوا فى روضة الملك ، ونظموا الآمال فى سلك ، وهتكوا حجبها أيما هتك ، وكانوا فى ظاهر أعمالهم فى ريب من الزمان وفى شك .

أنظر إليهم كيف نصبت لهم هنا ولا تخشى هناك إلا فيما كنت فيه هنا إنْ صلاح فصلاح وإن مجون فمجون ولعل هذا هو تأويل الخبر المروى عن النبى - ﷺ - : « يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيها »[115] لأنه قد صح أن الناس يبعثون حُفاةً عُراةً ، وهذا الخبر ذكره أبو داود[116] .

واعلم أن طول الأمل حجاب على قلبك يمنعك من رؤية الموت ومشاهدته ، ووقر فى أذنك يمنعك من سماع وجبته ودوى وقعته ، وبقدر ما يرفع لك من الحجاب ترى ، وبقدر ما يخفف عن أذنك من الوقر تسمع ، فانظر - رحمك الله - نظر من رفع حجابه ، وفتح بابه ، واسمع سماع من أزيل وقره ، وخوطب سره ، وبادر قبل أن يبادر بك ، وينزل عليك ، وينفذ حكم الله عز وجل فيك ، فتطوى صحيفة عملك وتختم على ما فى يدك ويقال لك : اجن ما غرست ، وأحصد ما زرعت ، واقرأ كتابك الذى كتبت كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبربك تبارك وتعالى شهيداً ورقيباً .

١٤٩- **قال** مالك بن دينار : « رأيت بالبادية فى يوم شديد البرد شاباً عليه ثوبَانِ خَلِقان وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة فعرفته وكنت عهدته بالبصرة ذا

---

(١١٥) « **ضعيف** » أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٢١١/٩) وابن حزم فى المحلى (١١٣/٥) - راجع « موضوعات » ابن الجوزى (٢٤٠/٣) ، وراجع أيضا كتاب «المدخل» لابن الحاج (٢٧٧/٣) «ومعالم السنن » للإمام الخطابى (٣٠١/١).

(١١٦) - **صحيح** : أخرجه مسلم والنسائى (١١٤/٤) وأحمد (٨٩/٦، ٩٠) والحاكم (٥٦٤/٤) وللحديث طرق أخرى عن عائشة أخرجها البخارى (٣٧٧/١١ ، ٣٧٨) ومسلم (٢٨٥٠) والنسائى (١١٤/٤ ، ١١٥) وابن ماجة (٤٢٧٦) وأحمد (٥٣/٦)

ثروة وحسن حال كان ذا مال وآمال قال : فبكيت لما رأيته على تلك الحال فلما رآنى بكا وبدأنى بالسلام وقال لى : يا مالك ما تقول فى عبد أبق من مولاه ؟ فبكيت لقوله بكاءً شديداً ، فقلت : وهل يستطيع المسكين ذلك ؟ البلاد بلاده والعباد عباده فأين يهرب المسكين ؟ فقال : يا مالك سمعت قارئاً يقرأ ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [الحاقة / ١٨] فأحسست فى الحال بنار وقعت بين ضلوعى فلا تخمد ولا تهدأ من ذلك اليوم . يا مالك أترانى أرحم وتنطفىء هذه الجمرة من قلبى ؟ فقلت له : أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم ، ثم قلت له : إلى أين ؟ قال : إلى مكة شرفها الله لعلى أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذمم . قال مالك : ففارقنى ومضى فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها ، وما تأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة ، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع » .

واعلم أن الأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخى والتوانى ، ويعقب التشاغل والتقاعس ، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى ، وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان ، كما أن قِصَرَه يبعث على العمل ويحيل على المبادرة ويحث على المسابقة .

وسأضرب لك فى ذلك مثلاً مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول له : افعل كذا وكذا ، وانظر فى كذا وكذا ، وأصلح كذا وكذا وانتظر رسولى فلاناً فإنى سأبعثه إليك ليأتينى بك ، وإياك ثم إياك أن يأتيك إلا وقد فرغت من أشغالك ، وتخلصت من أعمالك ، ونظرت فى زادك ، وأخذت ما تحتاج إليه فى سفرك ، وإلا أحللت بك عقابى ، وأنزلت عليك سخطى ، وأمرته أن يأتينى بك مغلولة يداك ، مقيدة رجلاك ، مشمتا بك عراك مسحوباً على وجهك إلى دار حزنى وهوانى ، وما أعددته لمن عصانى ، وإن هو وجدك قد فرغت من أعمالك ، وقضيت جميع أشغالك ، أتى بك مكرماً مرفعاً مرفهاً إلى دار رضوانى وكرامتى ، وما أعددته لمن امتثل أمرى وعمل بطاعتى ، واحذر أن يخدعك فلان أو فلانة عن امتثال أمرى والاشتغال بعملى . وكتب إلى رجل آخر بمثل ذلك فأما الرجل الأول فقال هذا كتاب الملك جاءنى يأمرنى فيه بكذا وكذا وذكر لى أن رسوله يأتينى ليحملنى إليه وأنا لا أمضى

إليه حتى يأتينى رسوله ولعل رسوله لا يأتينى إلى خمسين سنة أو أكثر فأنا على مهلة وسأنظر فيما أمرنى به ولم يقع الكتاب منه بذلك الموقع ولم ينزله من نفسه بتلك المنزلة وقال : والله لقد أتى كتابه إلى خلق كثير بمثل ما أتانى ولم يأتهم رسوله إلا بعد السنين الكثيرة والمدد الطويلة وأنا واحد منهم ولعل رسوله سيتأخر عنى كما تأخر عنهم وجعل الغالب على ظنه أن الرسول لا يأتيه إلا إلى خمسين سنة كما ظن أو أكثر أو إلى المدة التى جعل لنفسه بزعمه ، ثم أقبل على أشغال نفسه مما لا يحتاج إليه ومما كان غنياً عنه وترك أوامر الملك والشغل الذى كلفه النظر فيه والاشتغال به ، فكلما دخلت سنة قال : أنا مشغول فى هذه السنة وسأنظر فى السنة المقبلة والمسافة أمامى طويلة والمهل بعيد ، وهكذا كلما دخلت سنة قال : أنا فى هذه مشغول وسأنظر فى الأخرى أو سأنظر فى نصف السنة أو فى الشهر الثانى منها أو سأنظر غداً فبينما هو على ذلك من تسويفه واغتراره إذ جاءه رسول الملك فكسر بابه ، وهتك حجابه ، وحصل معه فى قعر بيته وقال : أجب الملك فقال الرجل : والله لقد جاءنى كتابه يأمرنى فيه بأعمال أعملها وأشغال أنظر فيها وما قضيت منها شغلاً ولا عملت منها حتى الآن شيئاً فقال له الرسول : ويلك وما الذى أبطأك عنها ؟ وما الذى حبسك عن الاشتغال بها والنظر فيها ؟ قال : لم أكن أظن أنك تأتينى فى هذا الوقت فيقال له : ويلك ومن أين كان لك هذا الظن من أخبرك به ومن أعلمك بأنى لا آتيك إلا فى الوقت الذى تظن ؟ قال : ظننت وطمعت وسولت لى نفسى ومنتنى وخدعنى الشيطان وغرنى . فقال له : ألم يحذرك الملك فى كتابه منهما وأمرك ألا تسمع لهما ؟ قال : بلى والله لقد فعل ولقد جاءنى هذا فى كتابه ولكنى خدعت فانخدعت وفتنت فافتتنت وارتبت فى وقت مجيئك فتربصت . فقال له : ويلك غرك الغرور وخدعك المخادع أجب الملك لا أم لك . قال نشدتك بحق الملك إلا ما تركتنى حتى أنظر فيما أمرنى به أو فى بعضه أو فيما تيسر منه حتى لا أقدم عليه فى جملة المفرّطين وعصابة المقصرين وهذا مال قد كنت جمعته لنفسى وأعددته لمؤونته فاتركنى حتى آخذ منه زاداً أتزوده ودابة أركبها فإن الطريق شاقة والمفازة صعبة والعقبة كؤود والمنزل ليس فيه ماء قال : أتركك حتى أكون عاصياً

مثلك ؟! ثم دفعه دفعةً ألقاه على وجهه ثم جمع يديه إلى عنقه وانطلق به يجره من خلفه خزيان ندمان جيعان عطشان ،

وهو ينشد بلسان الحال :

لا تغترّبى إذا رأيت حزيناً جل خطىء فريتكم أن يهونا .
ضاق صبرى عن بعضه واحتمالى فاسلكوا بى لحيث ألقى المنونا.
ما تريد العداة منى وإنى لبحال فرق لى المبغضونا .
زفرات هتكن خلب فؤادى وميموم قطعن منى الوتينا .
خنتَ عهد المليك قولاً وفعلاً وتحدث الخلاف شرعاً وديناً .
غرست فى الحياة كفتى شراً فاجتنيت العقاب منه فنونا .
ليتنى لم أكن أين لمثلى ظالم لنفسه فإن لا يكون .
يا خليلى ولا خليل لى اليوم سوى حسرة تديم الأنينا .
ربح الرابحون وانقضت السوق وخلوا بعينه المغبونا .
فابكنى أن يكن بكاؤك ميسراً وفر عنى وعصبة يبكونا .

وأما الآخر الذى كتب إليه الملك بمثل ما كتب به إلى هذا فإنه أخذ كتاب الملك وقبله وقرأه وتصفحه وتدبره وقال : أرى الملك قد كتب إلى بأن أعمل له كذا وأقضى له كذا وأنظر له فى كذا ومن أين سبقت لى هذه السابقة عند الملك ومن الذى وشى بى عنده ومن الذى أنزلنى منه بهذه المنزلة حتى جعلنى من خدامه والقائمين بأمره والناظرين فى أعماله والله إن هذه لسعادة ، والله إن هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر فى الكتاب فقال وأسمع : الملك قد قال لى فى كتابه : وانتظر رسولى فإنى سأبعثه إليك فيأتينى بك وأراه لم يحدد الوقت الذى يبعث فيه الرسول إلىّ ولا سماه لى ولعلى لا أفرغ من قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتانى ونزل على والله لا قدمت شغلاً على شغل الملك ولا نظرت فى شيء إلا بعد فراغى مما أمرنى به الملك وأعد زاداً أتزوده ومركوباً أركبه إذا جاءنى رسوله وحملنى إليه فتعرض له رجل وقال له : لم هذه المسارعة كلها ؟ وفيم هذه المبادرة كلها ؟ فقال له : ويحك أما ترى كتاب الملك بما جاءنى ، أما تسمع ما فيه ، أما تصدقه ، أما تؤمن به ، قال : بلى سمعت وآمنت وصدقت ولكن لم يقل لك فيه إن رسوله يأتيك

اليوم ولا غد ولا وقتاً معلوماً ولكنه يأتيك وقد جاء كتابه إلى فلان بهذا الذى قد جاءك أنت به وقد بقى منتظراً لرسوله أكثر من سبعين سنة ، وفلان ما أتاه ، وبعد زمان طويل ما جاءه ، وفلان أتاه بعد ثمانين سنة وفلان أتاه بعد مائة سنة فأكثر وفلان كاد أن لا يأتيه وأنت واحد من المرسول إليهم فلم هذه العجلة وفيم هذا الإسراع ؟ فقال : ويحك أو ما ترى أنت فلاناً قد جاءه كتاب الملك بهذا الذى جاءنى وجاءه الرسول أثر مجىء الكتاب وفلان كذلك وفلان كذلك وفلان جاءه بعد سنة وفلان كذلك وفلان كذا فقال له : بلى ولكن لا تنظر إلى هؤلاء خاصة وانظر إلى الذين قلت لك ممن تأخر عنه مجىء الرسول . فقال له : دعنى يا هذا فقد شغلْتَنى والله إنى لأخاف أن يأتينى الرسول وأنا أكلمك . ثم أقبل على ما أمره به الملك فامتثله ونظر فيما حد له واشتغل بما يجب أن يشتغل به وأعد الزاد لسفره وأحذ الأهبة لطريقه وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه وأقبل يلتفت يميناً وشمالاً من أين يأتيه ومن أين يقبل عليه فبينا هو كذلك وإذا برسول الملك قد أتاه فقال : أجب الملك قال : نعم قال : الساعة . قال : الساعة قال : وفرعت مما أمرك به وعملت ما حد لك أن تعمله ؟ قال : نعم . قال : فانطلق . قال : بسم الله . فخلع عليه خلعة الأولياء ، وكساه كسوة الأصفياء ، وأعطاه مركوباً يليق به ويجمل بمثله وانطلق به فى حبور وسرور ،

وهو ينشد بلسان الحال :

هنئونى بغبطتى وسرورى فحدير بأن يهنأ مثلى .
ربحت صفقتى وزكى سعيى وارتقى للإله قولى وفعلى .
كيف لى أن أعبر اليوم عنى بمقال يبين وصف محلى .
ضاقت الكتب أن تضم حديثى بل ولا شئت عن بعض ما أنا أملى.
قد بلغت المنى وزدت عليها وتملأت بالمسرة كلى .
ليت قومى لو يعلمون بمالله من نعمة على وفضل .
طاب عيشى وقر فيه قرارى وتقلبت بين ماء وظل .
أنا ذاكم حقيقاً أم هو غيرة ؟ أعذرونى فقد تولّه عقلى .

فإن لك بهذا المثل وبغيره فضيلة قصر الأمل وفضيلة المبادرة للعمل

والاستعداد للموت قبل نزوله والانتظار له قبل حلوله وقد كثر الحض على هذا وكثرت الأقاويل فيه ولم يزل المذكرون يذكرون والمنهون ينهون لو يجدون سمعاً واعياً وقلباً حافظاً ومحلاً قابلاً والحلول حول الله والأمر كله بيد الله .

١٥٠- **روى** ابن عباس عن النبي - ﷺ - أنه قال لرجلٍ وهو يعظه : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »(١١٧) .

وعن ابن عباس أيضاً عن النبي - ﷺ - قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » ذكره البخاري(١١٨) .

وقال القائل :

إن فى الموت والمعاد لشغلاً وإن كاد الذى الهنى وبلاغاً .
فاغتنم نعمتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخى والفراغا .

١٥١- **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - أنه قال : « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو هرماً [مُفَنِّدا] أو مرضاً مُفْسِداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر »(١١٩) .

١٥٢- **وعن** أبى هريرة أيضاً عن النبى - ﷺ - أنه قال : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة »(١٢٠) .

---

(١١٧) **صحيح** - وهو فى « صحيح الجامع » (١٠٨٨) وعراه للحاكم والبيهقى فى « الشعب » عن ابن عباس وأحمد فى « الزهد » وأبو نعيم فى « الحلية » والبيهقى فى « الشعب » عن عمرو بن ميمون مرسلاً ، وأحرحه البعوى (٢٢٤/١٤) وابن المبارك فى « الزهد » رقم (٢) .

(١١٨) - **صحيح** - أحرجه البخارى (٢٢٩/١١ - فتح) وأحمد (٢٥٨/١ ، ٣٤٤) والترمذى (٢٣٠٤) وابن ماجة (٤١٧٠) والدارمى (٢٩٧/٢) والحاكم فى المستدرك (٣٠٦/٤)

(١١٩) * **حسن** * أحرجه الحاكم فى المستدرك (٣٢٠/٤) وهو عند الترمذى (٢٣٠٦) وقال حسن غريب وأخرجه البغوى (٢٢٤/٤) وهو فى ضعيف الجامع (٢٣١٤) .

(١٢٠) * **حسن** * أحرجه الترمذى (٢٤٥٧ - تحفة) وقال : حسن غريب وأحرجه الحاكم فى المستدرك

١٥٣- **وقال عليه السلام** : « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد »(١٢١) ذكره القاضى أبو الحسن بن صخر فى الفوائد .

١٥٤- وقال جابر بن عبد الله : « كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب رفع صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه »(١٢٢) ذكره مسلم بن الحجاج ، يريد عليه السلام تقريب الأمر وسرعة نزوله وكل آت قريب وكل ما هو كائن سيكون .

١٥٥- وقال ابن مسعود : « قرأ رسول الله - ﷺ - ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام / ١٢٥] فقال - عليه السلام - : [إن] النور إذا دخل القلب انفسح فقيل : يا رسول الله هل لذلك من علامة تُعَرف ؟ قال : نعم التَّجَافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله »(١٢٣) .

(٣٠٧/٤ ، ٣٠٨) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى بالرغم من أن فى إسناده أبو فروة يزيد بن سنان التميمى الرهاوى وهو ضعيف وقد نقل الذهبى نفسه فى « الميزان » (٤٢٧/٤) تضعيفه عن ابن معين وأحمد وابن المدينى وقال هو من عند نفسه تركه النسائى وساق له هناك جملة وأقره من مناكيره ورواياته غير المحفوظة .. والحديث أورده السيوطى فى « الجامع الصغير وأشار إلى تصحيحه » والله أعلم .

(١٢١) **أرجو أنه حسن** . أورده الغزالى فى « الإحياء » (١٢٢/٦) عن أبى هريرة وقال الزين العراقى : [رواه] ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » وأبو القاسم البغوى بإسناد فيه لين ا.هـ. قلت : والحديث فى « مسند الفردوس » برقم (١٠١) وأخرجه أبو بكر بن أبى داود فى كتاب « البعث . . » وقال أبو إسحق المؤيد حفظه الله إسناده صالح أخرجه أبو يعلى كما فى تفسير ابن كثير (١٧٨/٦) والبيهقى فى « شعب الإيمان » (ق ٢/٧٦) فى « الشعبة الحادية والسبعين والقضاعى فى مسند الشهاب (٣٣٣) وقال الهيثمى فى « المجمع » (٢٢٧/١٠) رجاله رجال الصحيح غير صمام بن إسماعيل وهو ثقة .

(١٢٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (١٩٣/٦ نووى) والنسائى (٨٨/٣) والبيهقى (٢١١/٣ ، ٢١٢) وأبو نعيم (١٨٩/٣) وأحمد (٣١٩/٣) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٥٤/٤) وهو فى صحيح « الجامع » برقم (٤٥٨٧) .

(١٢٣) **ضعيف** . أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٣١١/٤) بإسناد فيه عدى بن الفضل وهو ساقط كما قال الذهبى فى « التلخيص » والحديث فى الإحياء (١٢٢/٦) وعزاه العراقى - رحمه الله - إلى ابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والحاكم فى « المستدرك » والتصويب من المصادر التى ذكرناها .

ومن كلام بعضهم « أما تسمعون أيها الناس داعى الموت يدعوكم وحاد به يحدوكم ، أما ترون صرعاه فى منازلكم ، وقتلاه بين أيديكم ، ففيم هذا التصامم عن الداعى والتشاغل عن الحادى والتغافى عن مصارع القتلى والتغافل عن مشاهد الهلكى ، رحم الله امرأ أيقظ نفسه فى مهلة الحياة قبل أن توقظه روعة الممات واستعد لما هو آت قبل الانبتات ، وحلول الفوات ، فكأن الحكم قد وقع والخطاب قد ارتفع أعرض من أعرض وأسمع من سمع .

وأنشدوا :

قطعت زمانى حيناً فحينا أدير من اللهو فيه فنوناً .
وأمهلت نفسى وما أمهلت وهونت من ذاك ما لن يهونا .
ورب سرور شفا علة وولى فأعقب حزناً رصيناً .
وكم أكل ساعة ما يريد يكابد ما أورثته سنينا .
وما كان أغنى الفتى عن نعيم يعود عليه عذاباً مهيناً .
وكم وعظتْنى عظات الزمان لو أنى أصيخ إلى الواعظينا .
وكم قد دعانى داعى المنون واسمع لو كنت فى السامعينا .
وكم ذا أؤمل أو أرتجيه وقد حزت سبعاً على الأربعينا .
ولو كان عقلى معى حاضراً سمعت لعمرى منها أنينا .
ولن يبرح المرء فى رقدة يغط إلى أن يوافى المنونا .
فتوقظه عندها روعة تقطع منه هناك الوتينا .
وإذ ذاك يدرى بما كان فيه وتجلو الحقائقُ منه الظنونا .

١٥٦– **وقال** أنس فى قول الله عز وجل : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [المُلك / ٢] قال : « [أى] أكثر [كم] للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً »[124] .

---

(١٢٤) **قوله** . **وقال** أنس فى قول الله عزّ وجل ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم.. ﴾ .. إلخ هو فى « الإحياء » عن « السدى » و ـ أنس التى تصحفت على الناسخ والزيادات بين المعكفات من لفظ « الإحياء » .

١٥٧- **وقال** حذيفة : « ما من صباح ولا مساء إلا ومنادٍ ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل »(١٢٥) .

وقال بعضهم : أيها الإنسان إنما أنت نازل من الدنيا فى منزل تعمره أيام عمرك ثم تخليه عند موتك لمن ينزله من بعدك .

وأنشدوا :

أخلِ لمن ينزل ذا التنزل وارحل فقد آن بأن ترتحل .
وارحل بما قد كنت جمعته واحمله إن خُلّيت أن تحمل .
هيهات لا تخرج منه بشىء فافعلن ما شئت أن تفعل .
واقعد من الغيظ وإلا فقم واطلع إلى الكوكب أو فانزل .
فلست بالخارج إلا بما جئت فسلم وبك واستبسل .
وحل عن هذى الأمانى فما تثمر إلا شر ما يوكل .
كم من فتى طوّل آماله فقصرت دنياه ما طوّل .
وجاءه الموت على غرة فمات من قبل الذى أمل .
فيا إلهى والذى جودُه قد عمر الآخر والأو ...ل .
رحماك يا رحمان فى فتية ليس لهم دونك من موئل .
قد حجبتها عنك آثامها وأنزلها شر ما منزل .
وليس إلا عفوك المرتجى أو ذلها ذا الذى تعمل .

١٥٨- **وقال** محمد بن إبراهيم : « جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى فجوّز فى صلاته وقال : أخبرنى بما جئت له فإنى أبادر فقلت له : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت - رحمك الله - أخاف أن ينزل بى فقمت عنه وقام إلى صلاته »(١٢٦) .

١٥٩- **ومرّ داود الطائى** فسأله رجل غريب عن حديث فقال : « دعنى فإنى أبادر خروج نفسى »(١٢٧) .

---

(١٢٥) **قوله** : وقال حذيفة : ما من صباح ولا مساء إلا ومادى.. إلخ « الإحياء » ١٢٢/٦ .

(١٢٦) قوله وقال محمد بن إبراهيم : جلست إلى عامر .. إلخ هى ف « الإحياء » عن سحيم مولى بنى تيم قال : جلست إلى عامر .. إلخ (!!؟)

(١٢٧) **قوله . ومرّ داود الطائى**.. إلخ . الإحياء نفس الجزء والصفحة.

١٦٠- **وقال** الربيع بن خيثم : « من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله » .

١٦١- **وقال** على - رضى الله عنه - : « التؤدة خير فى كل شىء إلا فى أمر الآخرة والتؤدة هى التثبت والتأنى »(١٢٨) .

١٦٢- **وكان** الحسن يقول فى موعظته « المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم الأعمال التى تتقربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنبه ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إنما نعد لهم عدا ﴾ يعنى الأنفاس أخر الأنفاس خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك »(١٢٩) .

وقال بعض الصلحاء : « اغتنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك فى أجل محدود ، وتفيق معدود ، وعمر غير ممدود » .

وقال غيره : اعمل عمل المرتحل فإنَّ حادى الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك فيطرحك فى حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك » .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه أما بعد : « فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام والسلام » .

١٦٣- **وكتب** محمد بن يوسف إلى أخ له : « سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد : فإنى محذرك من دار منقلبك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا فاقة ولا بأس ولا وحشة وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله يا أخى وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة النشور ونفخة الصور وقيام الخلائق لفصل القضاء ، وامتلأت الأرض بأهلها والسموات بسكانها فباحت الأسرار وسعرت النار ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد

---

(١٢٨) **قوله وقال على -رضى الله عنه-** : التؤدة خير .. إلخ الإحياء نفس الجزء والصفحة.

(١٢٩) قوله وكان الحسن يقول فى موعظته المبادرة درر الإحياء (١٢٢/٦) وهناك من الزيادة « آخر العدد دخولك من قبرك » والتصويب منه.

لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور ومعذب ومرحوم وكم من هالك وناج فيا ليت شعرى ما حالى وحالك يومئذ وإن فى هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر من الأمل وأيقظ النائم ونبه الغافل أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا من قلبى وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن له وبه السلام » .

وفى بعض الخطب المروية : « أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم وإن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وأجل بقى لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار » .

١٦٤- **وخطب** عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فقال : « أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل والحكم فيما بينكم فخاب وشقى [غدًا] عبدٌ أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شيء وجنة عرضها السموات والأرض وإنما يكون **الأمان** غداً لمن خاف ، واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقاءً بسعادة ألا ترون أيها الناس **أنكم** فى أصلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أيها الناس أنكم تتبعون غادياً **ورائحاً** إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن قاع من الأرض غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب **وايم الله** إنى لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند **أحدكم** من الذنوب أكثر مما عندى لكنها **سنن من الله** عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته ثم استغفر ووضع كفه على وجهه ولحيته وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رحمه الله »(١٣٠) .

---

(١٣٠) قوله . وخطب عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنها-... إلخ هو فى ترجمته -رضى الله عنه- من « الحلية » (٢٩٥/٥).

ومما يروى من خطبه أيضاً : « أيها الناس إن الدنيا ليست بدار قراركم ولا محل إقامتكم إنما هى دار كتب الله عليها الفناء وأوجب منها على أهلها الرحيل فكم من عامر موقن عما قريب سيخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيرحل فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة واحملوا خير ما بحضرتكم للنقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .

إن الدنيـــا كظـــل [(١٣١)] قلص فذهب

بينما ابن آدم فيه ينافس وعليها يضارب إذ دعاه الله لقدره ووافاه يوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لآخرين مصارعه ومغناه إن الدنيا لا تَسُر بمقدار ما تَضُر إنها تَسُر قليلا وتُحزِن حزناً طويلا »[(١٣٢)] .

١٦٥- **وخطب** المأمون يوماً فقال : « عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وأعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوها وتغوصوا فيها أيها الناس استعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جُدَّ بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وأن غائباً يحدوه الحديدان لجدير بسرعة الأوبة وإن قادماً يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة اتقى عند ربه ونصح نفسه وغلب شهوته وقدم شهوته توبته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى هجمت عليه منيته أغفل ما يكون عنها وأنسى ما يكون لها وإن ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به فيالها من حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوه جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء .

١٦٦- **وخطب** الحجاج يوماً فقال : « أيها الناس : إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء

---

(١٣١) هى على الصواب « إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب » كذا هى فى ترجمته من « الحلية » فى « الإحياء » (٦/١١٥).

(١٣٢) راجع « الحلية » (٥/٢٩٢)

فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل » .

وفى بعض الخطب المرويه : « أيها الناس : إن الآمال تطوى والأعمار تفنى والأبدان تحت الثرى تبلى وأن الليل والنهار يتراكضان تراكضْ البريد يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات وسلا عن اللذات ورغب فى الباقيات الصالحات » .

وفى بعض الخطب « أكثروا ذكرِ هادم اللَّذات الموت فإنكم إن ذكرتموه فى ضيق وسّعه عليكم فرضيتم به فأُجرتم ، وإن ذكرتموه فى غنى نغصه عليكم فجدتم فأُثِبتم ، إن المنايا قاطعات الآمال مدنيات الآجال وإن المؤمن بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه ويوم قد بقى لعله لا يصل إليه ، إن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف ولعله من باطلٍ جمَعَهُ ومن حقٍ منعَهُ » .

وقال بعض الحكماء : « إن للباق بالماضى معتبراً وللآخر بالأول مزدجراً والسعيد لا يغتر بالطمع ولا يركن إلى الجزع ومن ذكر المنية نسى الأمنية ومن أطال الأمل نسى العمل وغفل عن الأجل » .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ فتنتم أنفسكم ﴾ قال : بالشهوات واللذات ﴿ وتربصتم ﴾ قال : بالتوبة [وارتبتم » قال : شككتم ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ قال : الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ الآية رقم (١٤) من سورة الحديد قال : الشيطان[١٣٣] .

١٦٧- **وكتب عمر بن عبد العزيز** إلى يزيد بن عبد الملك : « إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت على ما تركت ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت » .

وقال بعض البلغاء : « لا تمت على غير وصية وإن كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو كائن كائن » .

---

(١٣٣) ﴿ **فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم .. الآية** ﴾ وما قاله فيها من التفسير نقله عن الإحياء (١٢٤/٦) برمته والآية هى رقم (١٤) من سورة « الحديد » .

١٦٨- **وقال عبد الله بن مسعود** : « ما منكم أحد إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة » .

١٦٩- **وقال** الحسن البصرى : « يا عجباً لقوم أمروا بالمراد ونودى فيهم بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم وهم مع ذلك قعود يلعبون » .

وقال بعض الحكماء : « ليس من الدين عوض ولا من الإيمان بدل ولا من الجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسَارُ به وإن لم يَسِر » .

١٧٠- **وقال** على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : « أيها الناس اتقوا الله الذى إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم » .

١٧١- **وكان** عبد الله بن ثعلبة يقول فى موعظته : « تضحك يا هذا ولعل أكفانك عند القصار » .

وقال بعض الحكماء : « كلٌّ يجرى من عمره إلى غاية تنتهى إليها مدة أجله وتنطوى عليها صحيفة عمله ، فخذ من نفسك لنفسك وقس يومك بأمسك وكف عن سيئاتك وزد فى حسناتك قبل أن تستوفى مدة الأجل وتقصر عن الزيادة فى السعى والعمل » .

١٧٢- وقال أبو عبيدة الناجى : « دخلنا على الحسن البصرى فى يومه الذى مات فيه فقال : مرحبا بكم وأهلاً حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم فلا يكونن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الآذان وتخرجوه من هذه الأفواه فإن من رأى محمدًا - ﷺ - رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رُفع له علمٌ فشمَّر إليه الرحا(١٣٤) الرحا النجا النجا علام تعرجون ؟ أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً رحم الله امرءاً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة

---

(١٣٤) (الوحَّا) وهى مفسرة بما بعدها النجَّا ... النجَّا وقد تصحفت على الناسخ فجعل (الواو) (راء مهملة) فكانت (الرحا) وقصة دخول أبى عبيدة الناجى على الحسن البصرى رحمهما الله فى يومه الذى مات فيه فقال مرحبًا ... إلخ الإحياء (١٢٤/٦)

ولبس خلقاً ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وفر من العقوبة وطلب الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك »(١٣٥) .

١٧٣- وقال أبو محمد الزاهد : « خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن فجئته فقعدت إليه قريباً منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آتٍ قريب واعلم يا أخى أن كل شىء شغلك عن الله تعالى فهو عليك مشئوم واعلم أن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور تقدمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون » .

١٧٤- وقال محمد بن أبى توبة : « أقام معروف الكرخى الصلاة ثم قال لى : تقدم فقلت : إن صليت لكم هذه الصلاة لم أصل لكم غيرها فقال : أراك تحدّث نفسك أنك تعيش حتى تصلى صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل » .

١٧٥- وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله عظم بطنته قليل فطنته عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته » .

١٧٦- وقال العلاء بن زياد : « لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فلتعمل بطاعة الله » .

وقال بعض الحكماء : « عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره وعجبت ممن الدنيا مدبرة عنه والآخرة مقبلة إليه كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة » .

وقال بعضهم : أيها الناس إن لكم معالم تستبقون إليها وإن لكم موارد تردون عليها وإن الحديدين يسيران بكم وإن لم تسيروا ويسرعان بكم وإن لم تسرعوا

---

(١٣٥) **القول بأنه - ﷺ - لم يضع لبنة على لبنة ... « حسن »** هو فى الإحياء - فى أثناء القصة الثالثة قال العراقى رحمه الله حديث أبى عبيدة الناجى : دحلنا على الحسن فى المرض الدى مات فيه فقال مرحبًا بكم .. الحديث ، اس أبى الدنيا فى « قصر الأمل » وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه ا.هـ ، وبقية الآثار الواردة بعده فى الإحياء (١٦٩/٦) .

وإن قصاراكم الموت وإن بعد الشأو وامتدت الغاية وطال المدى فيرحم الله امرءاً ضمر نفسه للسباق وساقها إلى الغاية أشد مساق واستعد للموت قبل هجومه وأخذ حذره منه قبل وثوبه وأنفذ دموعه على ما تقدم قبل أن تزل به القدم ويؤخذ بما علم وبما لم يعلم .

وأنشد من كلمة له :

لمن ورقه بالوادى المربع تشب به تباريح الضلوع .
على قنانة خضراء يصفو على أعطامها وشى الربيع .
تردد صوت باكية عليها رماها الدهر فى الأهل الجميع .
فشتت شملها وأزال منه عزاً ما عاد فى قلب صريع .
عجبت لها تكلم وهى خرسا وتبكى وهى جامدة الدموع .
فهمتُ حديثها وقمت إلى من الخسران فى أمر بشيع .
أتبكى تلك أن فقدت أنيساً وتشرب منه بالكأس الفظيع .
وها أنا لا أبكى فقدَ نفسى وتضييعى الحياة مع المضيع .
ولو أنى غفلت اليوم أمرى لأرسلت المدامع بالنجيع .
ألا يا صاحِ والشكوى ضروب وذكر الموت يذهبُ بالهجوع .
لعلك إن تُعِيرَ أخاك دمعا فما فى مقلتيه من دموع .

١٧٧– **وقال ابن سعد** : « يقال لأحدنا تريد أن تموت فيقول : لا فيقال : لم ؟ فيقول : حتى أعمل عملاً صالحاً فيقال : اعمل فيقول : سوف أعمل فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل فيؤخر عمل الله ولا يؤخر عمل الدنيا » .

١٧٨– **وقال عيسى عليه السلام** : « عجبت لثلاثة غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنياً والموت يطلبه وبان قصراً والقبر مسكنه » .

وقال بعض الحكماء : « ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك » .

١٧٩– **وقال لقمان** لابنه : « يا بنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك » .

١٨٠- **وقال الحسن** : « ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وما رأيت صدقاً أشبه بالكذب من قولهم إنا نطلب الجنة مع عجزهم عنها وتفريطهم فى طلبها » .

وقال بعضهم : « أيها الناس إن الحكم قد وجب وأن الأمر قد اقترب والعمر قد ذهب فهل من أسيف عليه ، أو ناظر بعين الشفقة إليه وإن فى تلاشى العمر ما يقصر من أمل الأريب ويجمع من هم اللبيب ويرسل من عبرات الكئيب فرحم الله أمرأ بكى على نفسه فليس يبكى عليها غيره ونظر لها فليس ينظر لها سواه » .

وأنشد :

لِيبكِ على السيبة من بكاها كما أبكى عليها مـلء جفنى .
ومن بك بات ذا حزن عليها فمثلى فليبت فى فرط حزنى .
ومن يبك سالفاً يوماً فإنى قطعت علائق السلوان عنى .
ما ترى فى أمره يا من يرى كل شيء وهو رب لا يرى .
ليس إلا عفوك المرجو أو دفعة تنزله قعر لظى .
وعياذا بك يا مولاى أن يلتوى فى يده حبل الرجا .
وإذا أسلمته ربٌّ فمن يقصد اليوم له أو يرتجا .

١٨١- **وقال ميمون بن مهران** : « خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر فلما نظر إليها بكا ثم أقبل علىّ فقال : يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأن لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وطيب عيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء وأصابت الهوام فى أجسامهم مقيلاً ؟! ثم بكا وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله عز وجل » .

١٨٢- **وقال ثابت البنانى** : « دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها فإذا أنا بصوت يقول : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها » .

١٨٣- **ويروى أن فاطمة بنت الحسين بن على** : « نظرت إلى جنازة زوجها الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وقالت :

وكانوا رَجاءً ثم عادوا رَزِيةً لقد عظمت تلك الرزايا وَجَلَّتِ

ثم ضربت على قبره فسطاطاً وأقامت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ليدخلوا المدينة فسمعوا صوتاً من جانب البقيع يعنى المقابر يقول : هل وجدوا ما طلبوا ؟ فسمعوا صوتاً من الجانب الآخر يجاوبه يقول : بل يئسوا فانقلبوا » .

١٨٤- **وقال أبو موسى التميمي** : « توفيت النوار امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه أهل البصرة وقراؤها وفيهم الحسن بن أبى الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق : يا أبا نواس ما أعددت لهذا اليوم فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة وخمس . لا يدركني عنى الصلوات الخمس فلما دفنت النوار قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى أشد من القبر التهابا وأضيقا .
إذا قادنى يومَ القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا .
لقد خاف من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا .
يساق إلى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لبوسا محرقا .
إذا شرفوا(١٣٦) فيها الحميم رأيتهم يذوبون من حر الحميم تمزقا(١٣٧)

١٨٥- **وقال** مالك بن دينار : « أتيت القبور مرة فقلت فيها :

أتيت القبور فناديتها أين المعظم والمحتقر ؟
وأين المُدِلُّ بسلطانه وأين العزيز إذا ما افتخر ؟

قال فنوديت من بينها اسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

---

(١٣٦) (شربوا) بِبَاءٍ موحدة بدل الفاء التى تصحفت منها هنا.

(١٣٧) قصة وفاة النوار امرأة الفرزدق وتشييع الناس لها وفيهم الحسن البصرى -رضى الله عنه- هى فى الإحياء (١٧٠/٦) وأوردها -بتوسع أكثر- أبو الفرج الأصفهانى رحمه الله (٣٩١/٢١، ٣٩٢) فى كتابه « الأغانى » قال : لماّ توفيت النوار قال له الحسن البصرى -وكان فيمن حضر جنازتها- وهو عند القبر- ما أعددت لهذا المضجع يا أبا فراس؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله فقال الحسن هذا العمود فأين الطنب وفى رواية فقال: نعم ما أعددت ثم أنشد الفرزدق أخاف وراء القبر... إلى آخر الأبيات، وبعدها قال إدريس بن عمران راوى الخبر فرأيت الحسن يدخل بعضه فى بعض ثم قال : حسبك ! ا.هـ.

والطنب هو حبل الخباء « نهاية » جمعه أطناب.

تفانوا جميعاً فلا مخبر وماتوا جميعاً ومات الخبر .
وساروا إلى مَلِكٍ قاهر عزيز مطاع إذا ما أمر .
تروح وتعدو بنات الثرى وتمحوا محاسن تلك الصور .
فيا سائلى عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر .

قال مالك : فرجعت وأنا أبكى » .

واعلم رحمك الله أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا إذا عدم وفقد وطلب فلم يوجد **كما قال القائل** :

مر الشباب ولم أقدر له قدراً ولم أجئه إلا بعدما انصرف .
والمرء يجهل قدر الشيء بجهله بمكنه حتى إذا فاته إمكانه عرفا.

ألا ترى رحمك الله أن الصحة لا يَعرف مقدارها إلا المبتلَى ، وكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا الموتى ، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور ، وانكشفت لهم الحقائق ، وتبدت لهم المنازل ، وعلموا مقدار الأعمال الصالحة ، إذ ليس ينفق هناك إلا عمل زكى ، ولا يرتفع هنالك إلا عد نقى ، وكلما ازداد هنا عملاً صالحاً كان هنالك أرفع درجة ، وأشرف رتبة ، وأكثر وجاهة ، وكلما ازداد فى الدنيا فضيلة كان أقرب إلى الله وسيلة ، فلما استبان لهم ذلك وعلموا مقدار ما ضيعوا ، وقيمة ما فيه فرطوا ، ندموا وأسفوا ، وودوا لو أنهم إلى الدنيا رجعوا ، وإلى حالتهم الأولى ردوا ، وكل على حاله ، فالذى عمل صالحاً ود أن لو رجع إلى الدنيا فازداد من عمله الصالح ، وأكثر من تجره الرابح ، والمقصر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات ونظر فيما فيه فرط ، والمفرط المهمل بالجملة يكون تمنيه للرجوع أكثر ، وحرصه على الإقالة أشد ، كل يتكلم عن حاله ويخبر عما هو فيه حتى قال الشهيد الذى يقتل فى سبيل الله لما قيل له ما تشتهى قال : أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى وذلك لما يرى من فضل الشهادة ، وقال غيره : ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ و ﴿ يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ﴾ .

١٨٦- **وقد قال عليه السلام** : « ما من أحد يموت إلا ندم قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع »[١٣٨] خرجه الترمذى .

ويروى : « أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى المنام فقال : يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها » .

وقال بعض الصالحين : « مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له : يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى : لأن أقدر على أن أقولها - يعنى الحمد لله رب العالمين - أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها ثم قال : ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلاناً جاء فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليها أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها » .

ألا ترى إلى ندمهم على تفريطهم وتأسيهم على تضييعهم ندموا والله حيث لا ينفع الندم وطلبوا مالا يمكن وسألوا فيما لا يجوز فتركوا على حالهم ولم يسعفوا فى سؤالهم وبقى كل واحد منهم فيما هو فيه .

ولما أشرف بعضهم على الآخرة وأخذ فى الانحدار إلى أوديتها والتدلى فى مهاويها وأراد التمسك فلم يمكنه وأراد التثبت فلم يقدر عليه والرجوع فلم يجد سبيلاً إليه أمر أن يكتب على قبره كذا ويرم عليه كذا ليكون تذكرة لمن رآه وموعظة لمن مرّ به . **كما قال القائل** :

أيها المارُّ بين هذه القبور غافلاً عن حقيقة المقبورِ .
ادنُ منى أنبئك عنى ولا ينبئك اليوم عنى مثل خبير .
أنا ميت كما ترانى طريح بين أطباق رضمة وصخور .

---

(١٣٨) - ضعيف * هو فى جامع الترمذى - كما أشار المصنف وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه ويحيى بن عبيدالله قد تكلم فيه شعبة وهو يحيى بن عبيدالله بن موهب، مدنى ا.هـ (٢٤٠٣) قلت : وفى التقريب (٣٥٣/٢) : « متروك » وأفحش الحاكم فرماه بالوضع والحديث فى « مشكاة المصابيح » (٥٥٤٥) وهو فى « ضعيف الجامع » (٥١٤٨) والفردوس (٦١٠٦) وفى « الترغيب » (٣٥٣/٤) وضعفه المنذرى رحمه الله .

أنا فى بيت غربة وانفراد مع قربى من جيرتى وعشيرى .
ليس لى فيه مؤنساً غير سعيى من صلاح سعيته أو فجور .
وكذا أنت فاتعظ بى وإلا فقد يرى منك الغداة نذيرى .

فمن رأى قبراً فإنما رأى واعظاً يعظه ومذكراً يذكره ، وإن كان القبر ساكناً فإنه ناطق بلسان الحال مفصح بما يكون منك فى المآل ، فكأنه إنما يخاطبك إنسان ويبين لك عاقبتك ويقول لك يا هذا كنت حياً مثلك وقدْ مُتُّ وكذلك أنت تموت وضيعت أمر ربى وكذلك أنت ضيعت أمر ربك ستندم **كما قال القائل** :

ألا قُل لماشٍ على قبرنا غفولٍ عن أشياء حلت بنا .
سيندم يوماً لتفريطه كما قد ندمنا لتفريطنا .

والسعيد من وعظ بغيره ، والتقى من وعظ بنفسه ، وإنما هى ساعة واحدة وإن طال المدى وامتد العمر واتصلت الأيام **كما قال القائل** :

وإنما عمرك المرجى هذا إذا نلته كساعة .

وقال الأصمعي : وجد حفير حول الحيرة فإذا فيه أزج فيه رجلٌ عليه حلقان وعند رأسه لوح فيه مكتوب أنا عبد المسيح بن

حلبت الدهرَ أشطره حياتى ونلت من المنى فوق المزيد .
وكافحت الأمور وكافحتنى فلم أخضع لمفضلة كؤود .
وكدت أنال بالشرف [خلودا] ولكن لا سبيل إلى الخلود .

ووجد على قبر مكتوباً :

أيها الناس كان لى أملٌ قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربَّه رجلٌ أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث تروا إلى مثله سينقل
تناجيك أجداث ومن سكون وسكانها تحت التراب جفوت .
أيا جامع الدنيا لغير بلاغِهِ لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ؟!

ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صُفّتْ قبورُهم كأفراس الزمانِ .

فلما أن بكيتُ وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى .

وقال القاسم بن سعد : رأيت قبراً فى بستان كثير النخل والرمان وأصناف الشجر وعليه مكتوب :

كم ساكن فى حفرة تبلى حديد جماله ترك الأجنة بعده يتلذذون بماله

ووجد على قبر مكتوبا :

الموت أخرجنى من دار مملكتى فالتراب مضطجعى من بعد تشريف.
لله عنده أى قبرى فأغبره وخاف من دهره رب التصاريف .
هذا مصير بنى الدنيا وإن نعموا فيها وغرّهم طول التساويف .
استغفر الله من جرمى ومن زللى وأسل الله فوزا يوم [توقيف].

وعلى آخر مكتوبا :

قف واعتبر فكان قد حلت هذا المحلّا .
هذا مكان يساوى فيه الأعَزُّ الأذّلا .
ما كان لى من صديق إلا جفانى ومَلّا .
وما جفانى ولكن طال المدى فتسلّا .

وعلى قبر أبى عامر بن شهيد مكتوب وهو مدفون بإزاء قبر صاحبه أبى مروان الرجالى – وكأنه يخاطبه ودفنا فى بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه .

يا صاحبى قم فقد أطلت أنحن طول المدى هجود
فقال لى لن تقوم منها مادام من فوقنا الصعيد .
تذكر كم ليلة نعمنا فى ظلها والزمان عيد .
وكم سرور مضى علينا سحابة نره تجود .
كل كأن لم يكن تقضى وشؤمه حاضر عتيد .
خصلة كانت حفيظ وضمة صادق شهيد .
يا حسرتا أن تنكبتْها رحمةُ مَنْ بطشِه شديد .
يا رب عفواً فأنت مولىً قصر فى حقّه العبيد .

وأمر أبو العلاء بن دهر وكان طبيب عصره بأن يكتب على قبره :

ترحم بفضلك يا واقفاً وأبصر مكاناً دفعنا إليه .
تراب الضريح على صفحتى كأنى لم أمش يوماً عليه .

أداوى الأنام حَذارَ المنونِ فهأنا قد صرت رهناً لديه .

١٨٧- **وذكر مسلم بن حجاج** من حديث أبى هريرة فقال : « زار النبى - ﷺ - قبر أمه فَبَكَىَ وأبكى من حوله وقال استأذنت ربى فى أن استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »(١٣٩) .

١٨٨- **وذكر أبو داود** من حديث بريدة بن حصيب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فى زيارتها تذكرة »(١٤٠) .

١٨٩- **وذكر النسائى** عن بريدة أيضاً عن النبى - ﷺ - قال : « من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا تقولوا هجراً »(١٤١) .

١٩٠- **وذكر أبو عمر بن عبد البر** من حديث ابن عباس عن النبى - ﷺ - « ما من رجل مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام »(١٤٢) . ويروى هذا من حديث أبى هريرة موقوفاً قال : « فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام »(١٤٣) .

---

(١٣٩) « **صحيح** أحرجه مسلم (٤٦/٧ نووى) وأبو داود (٢١٨/٣) والسائى (٩٠/٤) وابن ماحة (١٥٧٢) والحاكم (٣٧٥/١) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ا هـ.
قلت : سبحان الله (!) ها أنت ترى رواية مسلم أمامك !
وأحرجه البيهقى (٧٦/٤) وأحمد (٣٥٥/٣ ، ٣٥٦) والحاكم (٣٧٤/١) عن ابن بريدة عن أبيه به عن أنس بن مالك - رضى الله عن جميع الأصحاب - وأخرجه البيهقى (٧٧/٤) من حديث ابن مسعود وأبى سعيد
وأحرجه الطبرانى فى الصغير (٤٢/٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا.

(١٤٠) **حديث بريدة بن الحصيب - رضى الله عنه** - سبقت الإشارة إليه فى الذى قبله **وأنه صحيح**.

(١٤١) **فى الحديث قبل الفائت ولله الحمد وهو تعالى أعلم**.

(١٤٢) **أثر ابن عباس - رضى الله عنهما** - التذكرة معلقاً ومعزواً لابن أبى عمر. ويشهد له ما أورده الديلمى فى الفردوس (٦٣٢٣) عن ابن عباس بلفظ : ما الميت فى قبره إلا كالغريق... الحديث راجعه.

(١٤٣) **قوله : ويروى من حديث أبى هريرة موقوفاً قال : فإن لم يعرفه وسلم**... هو فى الإحياء (١٧٨/٦) عنه - رضى الله عنه - موقوفاً بلفظ إذا مرّ الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مرّ بقبر لا يعرفه .. إلخ =

١٩١- **ويروى** من حديث عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم »(١٤٤) .

١٩٢- **وذكر النسائى** عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى من أمتى السلام »(١٤٥) .

١٩٣- **وذكر أبو داود** من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام »(١٤٦) .

١٩٤- **وقال سليمان بن سحيم** : « رأيت النبى - ﷺ - فى النوم فقلت : يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم ؟ قال : نعم وأرد عليهم »(١٤٧) .

قلت : إذا صحت نسبة هذا الكلام إلى أبى هريرة فهو من قبيل الموقوف الذى له حكم الرفع إذ هو فى المغيبات التى لا يقول فيها الصحابى إلا بتوقيف

(١٤٤) **ضعيف** وهو بنصه فى « الإحياء » (١٧٦/٦) وقال العراقى فى التعليق عليه [رواه] ابن أبى الدنيا فى « القبور » وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله ا.هـ: قلت أما شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله فقد وقف على حاله (ا) فقال فى « اللسان » (٢٩٧/٣) ذكره شيخى العراقى فى تخريج الإحياء فى حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه وفى سنده عبدالله بن سمعان ولا أعرف حاله-

قلت : يجوز الاحتمال أن يكون هو المخرج له من بعض الكتب وهو عبدالله بن زياد بن سمعان، ينسب إلى جده كثيراً وهو أحد الضعفاء ا.هـ.

(١٤٥) **حسن** * أخرجه النسائى (٤٣/٣)؛ والدارمى فى السنن (٣١٧/٢) وابن حبان (٢٣٩٣ - موارد) وأخرجه الحاكم (٤٢١/٢) بإسناد فيه محبوب بن موسى، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى !

قلت : لا يسلم ذا. فإن محبوبًا -وإن وثقه بعضهم- إلا أنه لينه أيضًا بعضه وليس هذا الضرب مما يحتج به الشيخان غالبا. فالحديث ليس على شرطهما أو أحدهما والله تعالى أعلم- قال فى التقريب (٢٣١/٢) صدوق ولم يصح أن البخارى أخرج له ا.هـ والحديث أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٩٧/٣).

(١٤٦) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٨٨/٣) والبيهقى (٢٤٥/٥) وأبو نعيم فى « الحلية » (٣٤٩/٦) انظر « التلخيص » (٢٦٧/٢) وقد استوفى الحافظ السخاوى رحمه الله طرق الحديث وشواهده ومتابعاته استيفاءً يكاد يكون تامًا فى كتابه « القول البديع »... راجعها إن أحببت والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١٤٧) **خبر رؤية سليمان بن سحيم للنبى - ﷺ - مناماً وسؤاله عن الصلاة عليه - ﷺ -** أورده الغزالى فى « الإحياء » (١٧٦/٦) ولم أجد العراقى رحمه الله علق عليه بشىء.

١٩٥- **وكان** - ﷺ - إذا أتى المقابر قال : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم »(١٤٨) .

وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر ، وكذلك أبيحت زيارة القبور للنساء أيضاً كما أبيحت للرجال وأبيح لهن البكاء عند القبور كما أبيح للرجال .

١٩٦- **مر النبي** - ﷺ - بامرأة تبكى عند قبر على صبى لها فقال لها : « اتقى الله واصبرى فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله - ﷺ - فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد عليه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك . فقال لها : إنما الصبر عند الصدمة الأولى »(١٤٩) . والحديث صحيح مشهور ذكره مسلم والبخارى وغيرهما ولو كان بكاء النساء عند القبور وزيارتهن لها حراماً لنهاها - ﷺ - ولزجرها زجراً يزجر بمثله من أتى محرماً وارتكب منهياً فذلك هو المنهى عنه .

وقد أبيح لك أن تبكى عند قبر ميتك حزناً عليه أو رحمة له مما بين يديه فإن وجدت بكاء فابك ومع بكائك على ميتك فلا تغفل عن بكاءٍ على نفسك وعن فكرة فيما عملته فى أمسك وفى مالَكَ عند حلول رمسك بل لو أمكنك أن تجعل بكائك كله عليك كان الأولى بك والأحمد لك **وأنشدوا** :

لمن حدث لذى باب البنود صدعت عليه أكباد العميد .
نظرت إليه منتبذا بعيـدًا فذكرنى بمنتبذ بعيد .
مررت به فجاذبنى حديثا أعاد علىّ أحزانى وعيد .
وأبكانى وأبكى ومثلى من بكا عند اللحود .

---

(١٤٨) **صحيح** . أخرجه مسلم (٤٤/٧) واللفظ له وللنسائى (٩١/٤ ، ٩٢ ، ٩٣) وأحمد (٢٢١/٦) من حديث عائشة أم المؤمنين -رضى الله عنها- .

(١٤٩) **صحيح** - أخرجه أحمد (١٤٣/٣) والبخارى (١٧١/٣ - فتح) ومسلم (٢٢٧/٦ ، ٢٢٨ - نووى) والترمذى (٩٨٧ ، ٩٨٨) وقال . « صحيح » ، وأبو داود (١٩٢/٣) والنسائى (٢٢/٤) والبيهقى فى « السنن الكبير » (٦٥/٤) من حديث أنس -رضى الله تعالى عنه- .

رمانى من ثوى فيها ولكن غداة عند سأدخل فى العديد .

وفى هذا المعنى :

ولما حللنا من نحابه جانبا تُصان به هذى الجسوم وتكرمُ .
وجدت له طيباً وروحاً وراحة كأنى أيام الصبا اتنسم .
وأوهمتهم أنى جهلت وأننى لأدْرَى بذاك الأمر منهم وأعلَمُ .
فقلت لصحبى : ما الذى أرحت له مقابر منها لاطى ومشتم .
فقالوا طلبنا علم ذاك فلم نجد سوى رِمَمٌ ممن تحب وأعْظُمَ .
تصدع بطن الأرض منها كأنما تفيق من دارين مسك مختم .
ففاضت دموعى عند ذلك وربما تشهر بالدمع السراء المكتم .
ومما شجانى وهو أعظم أننى قذفت به مسودة الخوف تظلم .
وأعظم منها موقعاً وأشده وما خصنى أدهى علىّ وأعظم .
وما أنا أدرى ما إلا فى ولا الذى عليه إذا ما كان ذلك أقدم .
خليلى ما بالى وبال نوائب يراغ لذكراها فؤادى ويكلم .
ولم أدر ما كانت تحية خصمه له أبشرى أم بشفعاء تقصم .
بأننى فى تلك المسالك سالك أُسَاق إليها أن أُبَيْتُ وأرغَم .
فهل من دم أبكيه صرفاً قائماً يبكى على هذا من المعاد الدم .

وقد تقدم أن الميت يتأذى ببكاء أهله عليه فيه حديث ابن أبى شيبة وقول النبى - ﷺ - « يا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم »(١٥٠) وربما يتأذى كذلك أو أكثر من ذلك ببكاء غير أهله ويعتبر ذلك بالحى إذا بكا عليه من ليس له غرض فى بكائه ولا إرادة فى عويله .

١٩٧- **يروى عن أبى بكر بن اللبَّاد** قال : « حدثتنى عائشة الأندلسية وكانت عائشة هذه من الصالحات قالت توفى لى ولد بمصر فقدمت القيروان فكنت

---

(١٥٠) **ضعيف** « قال فى « المقاصد » سنده ضعيف وكذا قال فى « الفوائد المجموعة » ص ٢٦٩ راجع « كشف الخفاء » (٤٩٩/٢) حيث قال العجلونى رواه ابن أبى الدنيا والمحاملى بسند ضعيف عن أبى هريرة - رضى الله عنه - ورفعه وروى أحمد والحكيم الترمذى وابن منده عن أنس إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرًا استبشروا الحديث

آخرج إلى المقابر فى باب سلم على عادتى وإذا أهل فأجلس عند قبرى وأبكى فرأيت ذات ليلة كأنى خرجت إلى باب سلم على عادتى وإذا أهل القبور قعود على أفنية بقبورهم الرجال والنساء والصبيان فلما أقبلت إلى الموضع الذى كنت أبكى عنده سمعت أهل القبور يقولون قد جاءت هذه المرأة ألها قبر عندنا تبكى عليه ؟ قالوا : لا . قالوا : فلم تؤذينا ببكائها ؟ قالت : ثم لطمنى منهم ميت فى خدى الأيمن قالت : فقلت لهم : أتلطمون خدى وقد مسست به الركن والحجر الأسود فقالوا لى قبرك بمصر وتؤذينا أنت ها هنا ؟ قالت فانتبهت وأثر اللطمة فى خدى . قال أبو بكر : فكشفت لى عن وجهها فرأيت أثر سوادٍ قام نحواً من أربعين يوماً ثم تقشر فذهب » . [ويستحب] لمن رأى القبور أن يسلم على أهلها وأن يدعو لهم ويسأل الله عز وجل فيهم ويترك الكلام عندهم بما لا يحل والحديث على رؤسهم بما لا يحب وإن كان المتكلم لا يدرى مقدار ما يقول فإن الميت يدرى مقداره ويتحقق موقعه ويتبين ضرره فواجب عليك أن لا تؤذيه بسماع مالا يريد سماعه وأن لا تدخل عليه مالا يريد إدخاله وإلا [فرجعت] بما لم يفِ لك خيرُ زيارتِك إياه بشرٌّ ما تنقلب به من عنده .

واعلم أن الميت كالحيِّ فيما يُعطَاه ويُهدَى إليه بل الميت أكثر وأكثر لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح البعوضة أو وزن مثقال الذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه ومما يدلك على صحة وصول ما يهدى الحى للميت قوله عليه السلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(١٥١) فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به ، وكذلك أمره عليه السلام بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم ما ذاك إلا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم والله أعلم .

---

(١٥١) **صحيح** • أخرجه مسلم (٨٥/١١ – نووى) والبخارى فى الأدب المفرد (١١٣/١ فضل الله الصمد) وأبو داود (١١٧/٣) والنسائى (٢٥١/٦) والطحاوى فى مشكل الآثار (٨٥/١) والبيهقى (٢٧٨/٦) وأحمد (٣٧٢/٢) من حديث أبى هريرة – رضى الله عن سائر الأصحاب – .

١٩٨- **ويروى عنه عليه السلام** أنه قال : « الميت فى قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها »(١٥٢) والأخبار فى هذا الباب كثيرة .

١٩٩- **قال بشر بن منصور** وكان رجل زمن الطاعون يختلف إلى المقابر ثم يستقبل القبور فيقول : « أَمَّنَ الله روعتكم أنسَ الله وحشتكم رحم الله غربتكم قبل الله حسناتكم تجاوز الله عن سيئاتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فانصرفت ذات يوم ولم أدع فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم خلقاً كثيراً قد جاؤنى فقلت لهم : من أنتم ؟ قالوا : أهل المقابر . قلت : حاجتكم . قالوا : إنك كنت عودتنا منك هدية تهديها لنا عند انصرافك . قلت : وما هى ؟ قالوا : الدعوات التى كنت تدعو لنا بها . قلت : فإنى أعود لما كنت أدعو به . قال : فما تركت ذلك بعد »(١٥٣) .

٢٠٠- **وقال بشار بن غالب** : رأيت رابعة العدوية - يعنى العابدة - فى المنام وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى : يا بشار هديتك تأتينا فى أطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال : هذه هدية فلان إليك »(١٥٤) . ورأيت لبعض من يوثق به قال : « ماتت لى امرأة فقرأت فى بعض الليالى آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله عز وجل واستغفرت وسألت فلما كان اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفنى وتعرفها قالت لى : رأيت البارحة فلانة فى النوم - تعنى الميتة المذكورة - فى مجلس حسن فى دار حسنة وقد أخرجت لى أطباقاً من تحت سرير كان فى البيت والأطباق مملوءة قوارير فقالت لى : يا فلانة هذا أهداه لى صاحب بيتى قال : وما كنت أعلمت بما أهديت من ذلك أحدا » .

---

(١٥٢) تقدم فى (١٣٥) ولله الحمد أولاً وآخراً.

(١٥٣) الإحياء (١٧٧/٦).

(١٥٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

وقال **أبو قلابة** : « أقبلت من الشام إلى البصرة فمررت على مقابر فنزلت الخندق فتوضأت وصليت ركعتين ثم وضعت رأسى على قبر فنمت فإذا صاحب القبر فى المنام قد وقف لى فقال لى : يا هذا لقد آذيتنى منذ الليلة – يعنى بوضع رأسه على قبره – ثم قال : جزى الله أهل الدنيا خيراً فإنه لا يزال يدخل علينا من دعائهم أمثال الجبال فأقرئهم منى السلام » .

وحدثنى من أثق به قال : رأى فلانٌ – وسمى رجلاً موثوقاً – فلانةً فى النوم قال : وكانت ميتة فقالت لى : يا هذا امض إلى ابنتى فلانة الفاعلة الصانعة تسبها وقل لها : أهذا من الصواب أو من البر أن أقعد مع النساء فتأتيهن الطرف والهدايا من عند بناتهن وأخواتهن وأهلهن وأتطلع أنا وأنظر يمينا وشمالاً رجاء أن يأتينى منها شيء فلا يأتينى فأبقى خجلة عند النساء خزيانة بينهن وقل لها : أو لفلان أن يمضى لموضع كذا وكذا فإن فيه دنانير مدفونة بها ويفعل بها كذا وكذا قال : فوجدت الدنانير كما قالت » .

والأخبار فى هذا الباب كثيرة قديماً وحديثاً .

فينبغى لمن دخل المقابر أن يتخيل له أنه ميت ، وإنه قد لحق بهم ، ودخل فى معسكرهم ، وإنه محتاج إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون ، فليأتِ إليهم ما يحب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به ، وليتفكر فى تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، ويتفكر أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلى بحديثهم من النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم ، وليتفكر أيضاً فى انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة حفاة عُراةً عُزْلا ، مهطعين إلى الداعى مسرعين إلى المنادى .

٢٠١– **وقال مطرف بن أبى بكر الهذلى** : كانت عجوز متعبدة فى بنى عبد القيس فكانت إذا جاء الليل قامت فى محرابها فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فعوتبت فى كثرة إتيانها القبور فقالت : إن القلب القاسى إذا غشا لم يلينه إلا زيارة الموتى ، والوقوف على رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور فأقف عليها ، وأنظر إليها وأعتبر بها ، وأتفكر فيها وكأنى أنظر إليهم وقد خرجوا من بين أطباقها وانبعثوا من تحت أحجارها فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أشد نكبها للأجسام وأعظم مرارتها فى الأنفس » .

واعلم أن قبور الصالحين لا تخلوا من بركة وأن زائرها والمسلّم عليها والقارىء عندها والداعى لمن فيها لا ينقلب إلا بخير ولا يرجع إلا بأجر . وقد توجد لذلك أمارة وتبدو له منها بشارة .

٢٠٢- ويروى أن رسول الله - ﷺ - : « لما نزل بالشاربين قال له أصحابه : يا رسول الله أما تجد ها هنا ريح مسك ؟ فقال : وما يمنعكم وها هنا قبر أبى معاوية وأبو معاوية هو عبيد بن الحارث بن عبد المطلب قتل يوم بدر شهيداً »(١٥٥) كان جرح ومات هناك - رضى الله عنه - .

٢٠٣- وروى يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال : « فتن الناس بقبر عبد الله ابن غالب كان يوجد منه ريح المسك » .
وقال مالك بن دينار - رحمه الله - ذهبت إلى قبر عبد الله بن غالب - رضى الله عنه - فأخذت من ترابه فإذا هو مسك » .

٢٠٤- وقال حماد بن زيد حدثنى سعيد بن يزيد قال : « أدخلت يدى فى قبر عبد الله بن غالب إلى المدفن فأخرجت منه ترابًا فإذا ريحه ريح المسك » وقصة هذا القبر صحيحة مشهورة - ولما خيف على الناس منه الفتنة سُوِّى .

٢٠٥- وحدثنى أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن افرند وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوليد : « مات أبى رحمة الله عليه فحدثنى بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه قال لى : زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ثم قلت له : يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لى ؟ قال : فهبت على من القبر مسك غشتنى نفحة وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق » .

٢٠٦- وحدثنى أبو محمد عبد الله البكرى - ويعرف بالمغاور وكان من الصالحين والله أعلم مشهوراً بالصدق والخير - قال : زرت قبر الزبير بن العوام صاحب النبى - ﷺ - وقرابته وهو أحد العشرة وقبره بأرض البصرة قال : « فبينا أنا على قبره إذ رأيتنى قد صب على ماء ورد من الجو فبلنى حتى

---

(١٥٥) لم أقف عليه الان فالله المستعان أما كون الشهيد يأتى بدمه يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك فالأخبار به كثيرة مشهورة معروفة .

بل مرقعتى رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين »
وغير بعيد أن يخلق الله على رأسه ماء ورد يبله بل يبل الأرض كلها إذا شاء كرامة لصاحب نبيه وبشرى لهذا بزيارته إياه ، وللكلام على هذا موضع آخر .

٢٠٧- **وذكر أبو إسحاق** قال : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : « لما مات النجاشى كان يتحدث أنه لا يزال يرَى على قبره نور »(١٥٦) .

ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزل بإزائهم وتسكنه فى جوارهم تبركاً بهم وتوسلاً إلى الله عز وجل بقربهم وأن تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته والتألم بمشاهدة حالته فقد روى عن النبى - ﷺ - أنه قال : « إن الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحى » والله عز وجل أعلم بحقيقة حال المقبور وإنما لنا ما ظهر خاصة ولله عز وجل ما ظهر وما خفى .

(٧)باب ذكر منامات رؤيت لبعض الصالحين تدل على ما هم فيه من الخير

وقد قال عليه السلام : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى فشق ذلك على المسلمين فقال : لكن المبشرات قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة »(١٥٨) وقد فسر قوله

---

(١٥٦) خبر أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- من موت النجاشى يأتى فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى الأحاديث الصحيحة الواردة فى ذلك وفى صلاة النبى -ﷺ- هو وأصحابه عليه

(١٥٧) ضعيف * أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٥٤/٦) بزيادة « ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين » فى أوله. وقال أبو نعيم غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث شعيب ، وقال أبو الفرج ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٢٣٧/٣ ، ٢٣٨) لا يصح ا.هـ

(١٥٨) صحيح - أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فلفل ، وأخرجه الحاكم (٣٩١/٤) وصححه ووافقه الذهبى على شرط مسلم وأصل الحديث أخرجه الشيخان البخارى (٣٧٥/١٢) عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : « لم يبق من النبوة إلا =

تعالى : ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا ﴾ [يونس / ٦٤] أنها الرؤيا الصالحة ذكر الحديثين الترمذى .

٢٠٨- **وقال مسلم** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « الرؤيا الصالحة بشرى من الله » وقال : « رؤيا المسلم يراها أوْ تُرى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[(١٥٩)] .

٢٠٩- **ومن حديث** أنس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الرؤيا الصالحة من العبد الصالح جزء من ستين جزءًا من النبوة »[(١٦٠)] ذكر هذا مسلم وغيره .

وإذا ثبت صلاح العبد صدقت رؤياه وإلا فهى تَسُر ولا تضر والله أعلم فمن يثبت صلاحه وبمن يصدق كل ما يراه وليس هنا موضع هذا الكلام ، وسأذكر لك جملاً من هذه الأخبار .

٢١٠- **ذكر البخارى** من حديث أم العلاء وكانت ممن بايعت رسول الله - ﷺ - قالت : « [طارَ][(١٥٥)] لنا عثمان بن مظعون فى السكنى حين أفرغت الأنصار على سكنى المهاجرين فاشتكى فمرضناه حتى توفى ثم جعلناه فى أثوابه فدخل علينا رسول الله - ﷺ - فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال : وما يُدْرِيك أنّ الله أكرمه ؟ قُلْتُ : لا أدرى والله ؛ قال : أمّا هو فقد جاءَهُ اليقين إنى لأرجو له الخير من الله ؛ والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يُفعل بى قالت : فوالله لا أُزَكِّى أَحَداً بعده ؛ قالت : فأحزننى ذلك فنمت فَرَأَيْتُ لعثمان بن مظعون فى النوم عيْناً تجرى

المبشرات ، قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة » وأخرجه مسلم (٢٣/١٥ نووى) بنحوه « وكذا أبو داود (٣٠٤/٤) جميعًا من طريق إمام الأئمة مالك الذى أخرجه فى « الموطأ » (٩٥٦/٢ عبدالباقى) ومن طريق البخارى أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (٢٠٢/٢) وأخرجه الحاكم (٣٠٩/٤) وصححه على شرطهما وقال لم يخرجاه ا.هـ.

(١٥٩) **صحيح** - فيه حديث أبى هريرة أخرجه البخارى (٣٧٣/١٢) ومسلم (٢٣/١٥ نووى) والطيالسى (١٩/٢).

(١٦٠) **صحيح** - أخرجه أحمد (٣١٥/٥، ٣٢١) والبخارى (٣٧٣/١٢) ومسلم (٢٣/١٥) والدارمى (١٢٣/٢) والترمذى (٥٣٢/٥) والطيالسى (١٩/٢) والحاكم (٣٩٠/٤).

(١٦١) - **قولها (طار لنا)** أى خرج لهم فى قرعتهم كما فسره فى « الفتح ».

فجئتُ رسول الله - ﷺ - فذكرتُ ذلك له فقال : ذلك عمله يجرى له »(١٦١) .

٢١١- **ويروى عن** عبد الرحمن بن غنم أنه قال : « رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه كرجال أهل منى رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول : ﴿ يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ [يٓس / ٢٦ ، ٢٧] ثم التفت عن يمينه وشماله يقول : يا ابن رواحة ، ياابن مظعون ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ [الزُّمر / ٧٤] قال : ثم صافحنى وسلم علىّ » .

معاذ بن جبل هذا وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحة تشهد لهم صحبة رسول الله - ﷺ - بما هم فيه من الخير وبما صاروا إليه من الكرامة ولا يحتاج لهم إلى رؤيا ولكن أردت ألا أخلى هذا الباب من ذكر بعض الصحابة - رضى الله عنهم - أجمعين .

٢١٢- **وقال صالح بن بسير** : « رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له : يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا فقال : أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحاً طويلاً وسروراً دائماً فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ فقال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [النساء / ٦٩] .

٢١٣- **ولما مات سفيان الثورى** «رُؤِىَ فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : وضعت أول قدم على الصراط والثانى فى الجنة » .

٢١٤- **وقال إبراهيم بن إياس** : « رأيت سفيان الثورى فى النوم بعد موته وهو مخضوب اللحية فقلت له : أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال : أنا مع السفرة قلت : وما السفرة ؟ قال الكرام البررة » .

وعن قبيصة بن عثمان بن سفيان قال : « رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : لقيت محمدا وحزبه(*) .

---

(١٦٢) صحيح - أخرجه البخارى (٢٦٤/٧) وأورده أبو عبدالله الذهبى فى ترجمة عثمان بن مظعون -رضى الله عنه- من « سيّر النبلاء » (١٥٩/١ ، ١٦٠) وعبدالرزاق فى « المصنف » برقم (٢٠٤٢٢)

وقال محمد بن راشد : « رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت : أليس قدْمُتَّ ؟ قال : بلى . قلت : فما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب . قلت : فسفيان الثورى ؟ قال : بخٍ بخٍ ذاك ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾

نظرت إلى ربى عيانا فقال لى : هنيئًا رضائى عنك يا ابن سعيد.

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد .

فدونك فاختر أى قصرٍ تريده وزرنى فإنى منك غير بعيد .

٢١٥- **وعن ابن عيينة قال** : « رأيت سفيان الثورى فى اليوم وقد مات كأنه يطير فى الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة وهو يقول : لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له : بم أدخلت الجنة ؟ قال : بالورع بالورع » .

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين جليلين وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم وكان شعبة « أكثر وأجل فماتا فقال أبو أحمد اليزيدى : فرأيتهما فى النوم وكنت إلى شعبة » أميل منى إلى مسعر « فقلت يا أبا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال : وفقك الله يا بنى لحفظ ما أقول ثم أنشأ يقول :

حبانى إلٰهى فى الجنان بقبة لها ألف باب مس لُجَين وجوهراً .

وقال لى الجبار يا شعبة الذى تبحر فى جمع العلوم فأكثرا .

تنعم بعزى إننى عنك ذو رضى وعن عبدى القوام فى الليل مسعراً .

كفى مسعراً عِزاً بأن سيزورنى وأكشف عن وجهى وأدنو لينظرا .

فهذا فعالى بالذين تنسكوا ولم يألفوا فى سالف الدهر منكراً .

قيل له : فما فعل على بن عاصم ؟ قال ما نراه إلا مثل الكوكب » .

٢١٦- **وذكر أبو الحسن بن جهضم** عن أبى بكر أحمد بن محمد بن الحجاج قال : « حدثنى رجل من أهل طرسوس قال : دعوت الله عز وحل أن يرينى أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به ، فرأيت بعد عشر سنين فيما يرى النائم كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادرونى بالكلام فقالوا : يا هذا كم تدعو الله أن يريك إيانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ

فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى » وهذا الكلام من أهل القبور إنما هو عبارة عن علو درجة أحمد بن حنبل وارتفاع مكانته وعظم منزلته فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه إلا بهذا وبما هو فى معناه .

وقال محمد بن أحمد الكندى : « رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت له : يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى . ثم قال لى : يا أحمد ضُرِبت فى ستين سوطا ؟ قلت : نعم يارب قال : هذا وجهى قد فانظر إليه » .

٢١٧- **ويروى عن** عبدة العابدة رحمها الله قالت : « لما حضرت الوفاة رابعة العدوية قالت يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحداً وكفنينى فى جبتى هذه وهى جبة من شعر كانت تصلى بالليل فيها قالت : فكفناها فى تلك الجبة وفى خمار من صوف كانت تلبسه قالت : عبدة فرأيتها فى منامى بعد دفنها وعليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئاً أحسن منهما قالت : فقلت لها : يا رابعة ما فعلت تلك الجبة التى كنا كفناك فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إنهما نزعا والله عنى واستبدلت بهما هذا الذى ترين علىّ وطويتا وختم عليهما ورفعانى عليين ليكمل ثوابهما لى يوم القيامة قلت لها : فما فعلت عبيدة بنت أبى كلاب ؟ قالت : هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى قلت لها : وبم وقد كنت أنت عند الناس أكثر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا ولا أمست قلت : فما فعل ضيغم بن مالك ؟ قالت : يزور الله عز وجل متى شاء . قالت : فقلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يأمل . قالت : فقلت : فيما تأمريننى أن أتقرب إلى الله عز وجل به ؟ فقالت : عليك بذكر الله عز وجل فيوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك » .

٢١٨- **وقال أبو جعفر السقا** صاحب بشر بن الحارث : « رأيت بشر بن الحارث ومعروفا الكرخى وهما حائيان وكأنهما فى قبة أو كما قال فقلت : من أين ؟ قالا : من جنة الفردوس زُرنا كليم الله موسى - عليه السلام - » .

ولما احتضر حجاج الزاهد « قيل له : ما تشتهى ؟ قال : الله ثم خرجت نفسه فرآه بعض إخوانه فى النوم كأنه يمشى على حائط قال : فرفعت رأسى إليه وأنا أمشى بالأرض فقلت له : أبا يوسف كيف حالك ؟ وكيف أنت ؟

وعلام قدمت ؟ قال : فضحك وقال : ما الأمر إلا سهل ما رأيت شيئاً مما كنت أخافه والحمد لله » .

٢١٩- **وعن سعيد بن أسد** : « أن رجلاً كان من دعائه : اللهم سهل على الموت ويسر على الحساب وبارك لى فى اللقاء وأعزنى من جهد البلاء فمات فرؤى فى النوم فقيل له : ما فعلت ؟ فقال : لقيت خيراً كل شىء سألت الله أن يعطينى أعطانيه » .

وقال بعض الصالحين : « رأيت بشر بن الحارث فى النوم وما كنت رأيته فى اليقظة ولا كلمته قط فرأيت كأنى واقف بين يدى الله عز وجل أسمع كلاماً ولا أرى أحداً وهو يقول : يا بشر قد قبلناك وقبلنا ما كان منك فسمعت بشراً يقول : ومن تبعنى يا رب قال : قد غفرت لهم » .

٢٢٠- **وقال عاصم الجوزى** : « رأيت فى النوم كأنى لقيت بشر بن الحارث فقلت : من أين يا أبا نصر ؟ فقال : من عليين . قال : فقلت له : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدى الله عز وجل يأكلان ويشربان . قلت له : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الطعام فأباحنى النظر إليه » .

٢٢١- **وقال أبو جعفر السقا** : « رأيت بشر بن الحارث فى النوم بعد موته فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ فقال : ألطفنى ورحمنى وقال لى : يا بشر لو سجدت لى فى الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادى منك وأباح لى نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدنى أن يغفر لمن تبع جنازتى . فقلت له : ما فعل أبو نصر التمار ؟ قال : ذاك فوق الناس بصبره على بنيانه وفقره لعله أراد بقوله أباح لى نصف الجنة نصف نعيم الجنة لأن النعيم نصفان نصف روحانى ونصف جسمانى فيتنعمون أولاً بالروحانى فإذا رُدّت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسمانى إلى النعيم الروحانى والله أعلم بما أراد .

وذكر بعض الصالحين قال : « رؤى بشر بن الحارث فى النوم وهو يهرول وهو يقول الساعة انطلقنا من السجن » .

وكان من دعاء بعض الصالحين : « اللهم يا سيدى حبست من شئت عن خدمتك ، وأطلقت لها من أحببت من خلقك ، غير ظالم ولا مسئول عن فعلك ، وقد تقدمت لى فيك آمال ، فلا تجمع على المنع من الطاعة ، وخيبة الأمل فيك يا كريم ، وكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رؤى فى المنام فى الجنة فقيل له : بم نلت هذا ؟ قال : بذلك التضرع والاستغاثة فى الأسحار . قال : ورؤى عليه حلة قال الرائى : ما رأيت لها شبهاً وعليها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الأمل انعم فقد نلت الأمل فقلت له : ما هذه الكتابة على ثيابك ؟ قال : هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى » .

وقال بعض الصالحين : « رأيت أبا بكر الشبلى فى النوم وكأنى قاعد فى مجلس بالموضع الذى كان يقعد فيه وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان قال : فقمت إليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له : يا سيدى من أقرب أصحابك إليك ؟ فقال : مسرعاً ألهجُهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله » .

٢٢٢- **وقال أبو عبد الرحمن الساحلى** : « رأيت ميسرة بن سلم فى المنام بعد موته فقلت له : أصلحك الله طالت غيبتك فقال : السفر طويل قال : فقلت : فما الذى قدِمْتَ عليه ؟ فقال : رخص لنا لأنا كنا نفتى بالرخص فقلت : فما تأمرنى فقال : اتباع الآثار وصحبة الأخيار تنجيان من النار وتقربان من الجبار » .

وقال بعض الصالحين : « رأيت فى النوم كأنى فى السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون حاء المحسن جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت فمشيت إلى منزله فوجدته قد مات » .

٢٢٣- **ويروى عن أبى جعفر الضرير** قال : « رأيت عيسى بن زادان فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك **فأنشأ يقول** :

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى وأكاويب معهم للشراب .

يترنمن بالقومان جميعاً يتمشين مسبلات الثياب ».

وقال عبود المعلم وكان يعرف بوجه الجنة : « رأيت أبا عبد الله الفزارى المعلم فى المنام فقلت له : كيف وجدت الأمر ؟ قال : أسهل مما تذكرون

وأصعب مما تصفون . فقلت له : صاحبك سهل الوراق معك هو ؟ قال : يدى فى يده ويده فى يدى - يعنى فى الجنة - ولكنه أطول منى قامة » .
وقوله أطول منى قامة يريد أرفع منى رتبة وكان قد رآه بعد موته .

٢٢٤- **ويروى عن** معود بن جبراود التاكونى : وكان من الصالحين أنه قال : « رأيت أبا حفص عمر بن عباد الزعينى الزاهد بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » وهذا يدل على أنه فعل معه خير فأراد الزيادة منه .

٢٢٥- **وعن يعلى بن عبيد** قال : « جاء رجل إلى سفيان الثورى فقال له : يا أبا عبد الله رأيت فى المنام كأن ملكًا نزل من السماء إلى الشام فاقتلع ريحانة ثم صعد بها إلى السماء فقال له سفيان : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى فحفظ ذلك اليوم فجاء نعيه أنه مات فيه » .

٢٢٦- **ويروى أن امرأة** قالت لابن سيرين وهو يأكل : « رأيت كأن شجرة ياسمين قلعت من الأرض ورفعت إلى السماء وكأن الثريا سقطت من السماء فى دارك قال : فرفع ابن سيرين يده من الطعام وقال : أعظم الله أجرى فى نفسى وإن كثر البقاء فإلى سبع فكان كذلك » .

٢٢٧- **ويروى عن** عمرو بن عمر بن صفوان عن بعض مشيخته قال : « رأيت فى النوم كأنى جئت إلى هذه المقبرة التى بمكة فرأيت على عامتها سرادقاً ورأيت منها قبراً عليه سرادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فإذا مسلم بن خالد الزنجى فسلمت عليه وقلت : يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة ؟ فقال : إنى كنت كثير الصيام . فقلت : يا أبا خالد أين قبر ابن جريج دلنى عليه فقد كنت أجالسه وأنا أحب أن أسلم عليه . قال فقال هكذا بيده هيهات وأدار إصبعه السبابة وقال : وأين قبر ابن جريج رفعت صحيفته فى عليين » .

ويروى عن بعض الصالحين قال : « رأيت بعض جيرانى فى النوم فقلت له : ما حالك ؟ فذكر شيئاً . قلت : فما حال عبد الله بن المبارك ؟ قال : ذاك مشهور فى الجنة » .

٢٢٨- **ورؤى حماد بن سلمة** فى النوم « فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لى : طال ما كددت نفسك فى الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين » .

٢٢٩- **وعن أسلم بن زرعة العبادانى** قال : « كان عندنا بالساحل رجل له فعل بارع كان يعذب له الماء المالح قال : فقال لى يوماً : رأيت البارحة فيما يرى النائم كأن رجلاً يقول لى : قد فرغنا من بناء دارك ولو رأيتها لقرت عيناك وقد أمرنا من ينجزها والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها السرور وأبشر بخير قال : فلما كان اليوم السابع بكر للوضوء فنزل للنهر وقد هدأ فزلق فغرق فمات فأخرجناه فدفناه قال : فرأيته بعد ثلاثة وهو يكبر وعليه حلل خضر فقال لى : يا أبا الرضى أنزلنى الكريم دار السرور وماذا أعد لى فيها فقلت : صف هذا فقال : هيهات يعجز الواصفون أن تنطق ألسنتهم بما فيها فيا ليت عيالى يعلمون أنه قد هيء لهم منازل معى فيها كل ما اشتهت أنفسهم ولذت أعينهم نعم وإخوانى وأنت معهم إن شاء الله قال : ثم انتبهت » .

٢٣٠- **وقال محمد بن التبان** الفقيه - رحمه الله - : « رأيت ربيعاً العطار فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : فى الجنة . قلت : وكيف حالكم فيها ؟ فقال : تارة يزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور العين وتارة تصطك لنا الحجب . قال : فقلت له : فمن أعلا منزلة أنت أم فلان وسمى له رجلاً معروفاً عندهم ؟ قال : فتبسم وقال : جميعنا كلنا فى حديقة واحدة يعنى فى جنة واحدة » .

٢٣١- **ورأى بعض من يوثق بحديثه** : « رجلاً كان يعرف بخير وعفاف بعد موته وعليه عمامة خز فأنكرها عليه وكأنه قال له : أتلبسها ولباس الخز مكروه فقال له : هو عندنا فى هذه الدار مباح » .

ورؤى غيره شابا وكان فى الدنيا أشيب فقيل له : « نراك دون شيب ؟ فقال : لا يشيب أحد فى هذه الدار » .

وقال بعض الصالحين : كان لى ولد فاستشهد فرأيته فى النوم ليلة مات عمر ابن عبد العزيز فقلت له : يا بنى ألست ميتاً ؟ قال : لا ولكنى حى أرزق فقلت : وما جاء بك ؟ قال : نودى فى أهل السماء لا يبقى نبى ولا صديق

ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت ثم لأسلم عليكم وأراكم » والأخبار فى هذا الباب لا تحصى .

(٨) ذكر منامات رؤيت لرجال تدل على ما هم فيه من سوء الحال

٢٣٢- **روى عن** العباس بن عبد المطلب قال : « كنت مؤاخياً لأبى لهب فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله حولاً أن يرينيه فى المنام قال : فرأيته يلتهب ناراً فسألته عن حاله فقال : صرت إلى النار والعذاب لا يخفف عنى ولا يروح إلا ليلة الاثنين فى كل الليالى والأيام قلت : وكيف ذلك ؟ فقال : ولد فى تلك الليلة محمد - ﷺ - فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة إياه ففرحت وأعتقت وليدةً فَرَحاً بِهِ فأثابَنِى الله بذلك أن يرفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين » أبو لهب كان عم رسول الله - ﷺ - وكان كثير الإذاعة لرسول الله - ﷺ - بعدما جاءته النبوة شديد العداوة له .

٢٣٣- **وروى عن** طارق بن عبد الله المحاربى قال : « رأيت بسوق عكاظ رجلاً جميل الوجه يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ووراءه رجل أعور جميل يقول : أيها الناس لا تصدقوا فإنه كذاب وقد رمى كعبيه وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه فقلت : من هذا الرجل الجميل الوجه فقالوا : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله أرسله قلت : ومن هذا الآخر وراءه ؟ « قالوا عمه أبو لهب »(١٦٣)

---

(١٦٣) **أرجو أنه صحيح** - قال الهيثمى فى « المجمع » (٦/٢٥ ، ٢٦) أخرجه الطبرانى وفيه أبو حناب الكلبى وهو مدلس وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/٦١١ ، ٦١٢) وصححه ووافقه الذهبى بالرغم من أن فى إسناده أحمد بن عبدالجبار العطاردى وقد قال فيه الذهبى ما قال فى « الميزان » (١/١١٢ ، ١١٣) وأخرجه البيهقى فى «السنن الكبرى» (١/٧٦) مختصرًا وكذا أخرجه شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله فى « الإصابة » (٢/٢٨٢) فى ترجمة طارق بن عبدالله المحاربى قال : روى الترمذى من حديثه أنه رأى النبى - ﷺ - قبل الهجرة بذى المجاز وذكر له قصته مع عمه أبى لهب ا.هـ. وأخرجه ابن حبان (٨/١٨٣ ، ١٨٤) وأورده الديلمى فى « الفردوس »

وسوء حال أبى لهب أصح من أن يحتاج فيها إلى شاهد ولكن أردت أن لا أخلى هذا الباب من ذكره أو ذكر مثله ، وهذا التخفيف الذى ذكر إن كان فإنما هو فى البرزخ وأما فى الآخرة فلا تخفيف ولا تفتير ولا راحة ونعوذ بالله من عذابه » .

ويروى عن بعض الصالحين من أهل القيروان قال : « كان لى جار فذكر أنه ليس بمسلم فمات فرأيت فى النوم حجراً فلملما يتدحرج حتى وصل إلى باب دار ذلك الرجل فدنوت منه فإذا بالحجر قد انفرج فخرج منه رجل هو ذلك الرجل فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هكذا نحن نعذب وذكر سوء حاله . فقلت له : لعل الله أن يغفر لك فقال : وكيف يغفر لى وأنا قدمتُّ على غير الإسلام » .

٢٣٤- ويروى عن هشام بن حسان قال : « مات ابن لى شاب فرأيته فى النوم وهو أشيب فقلت له : يا بنى ما هذا المشيب ؟ فقال : قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها أحدٌ إلا شاب » .

ويروى « إن رجلاً رؤى فى المنام شاحب اللون متغير الوجه وقد غلت يداه إلى عنقه فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول :

تولى زمان لعبنا به وهذا الزمان بنا يلعب » .

ورؤيا عمر بن العزيز - رضى الله عنه - « فذكر القيامة والبعث وجمع الناس لفصل القضاء وكيف نودى بالخلفاء واحداً بعد واحد وحسابهم وكل واحد منهم على منزلته ثم نادى المنادى أين عمر بن عبد العزيز ؟ قال : فتصببت عرقاً ثم أخذت الملائكة بيدى فأوقفتنى بين يدى الله تعالى فسألنى عن الفتيل [والنقير] والقطمير وعن كل قضية قضيتها حتى ظننت أنى لست بناج ، ثم أنه تفضل على برحمة منه فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة ، فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة : من هذا ؟ فقالوا : كلِّمْه يكلمك فوكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه فإذا رجل

(٨١٦١) وأحمد (٤٩٢/٣) والطبرانى فى « الكبير » (٦١/٤/٥) (٣٧٦/٨/٢٠) والدارقطنى فى « سننه » (٤٤/٣ ، ٤٥) وغيرهم.

أفطس أثرم شديد الأدمة وحش المنظر فقال لى : من أنت ؟ فقلت : عمر بن عبد العزيز فقال : ما فعل الله بك ؟ فقلت : تفضل على برحمة فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة ، قال : فما فعل أصحابك الخلفاء الذين معك ؟ فقلت : أما أربعة فغفر لهم وأمر بهم ذات اليمين وأمر بـهم إلى الجنة وأما الباقون فلا أدرى ما فعل بهم . قال : وأخذنى البكاء ثم قال : هناك ما صرت إليه . قلت : من تكون ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف قَدِمْتُ على ربى فوجدته شديد العقاب قتلنى بكل قتيل قتلته قَتْلَةً ، وها أنا موقوف بين يديه أنتظر ما ينتظر الموحدون »(١٥٨) والأخبار فى هذا الباب كثيرة أيضاً .

(٩) ذكر الأرواح أين يذهب بها
وما جاء فى عذاب القبر

٢٣٥- **ذكر أبو بكر البزار** فى مسنده من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال : أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته فإذا خرج روحه وضع على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وذهب به إلى عِلِّيين ، وإن الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به إلى سِجِّين »(١٦٥) .

---

(١٦٤) - قصة رؤيا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - هى فى ترجمته من « الحلية » (٥/٣٠٠ ، ٣٠١) وإسنادها مقطع وفيه مدلس فالحديث **ضعيف**.

(١٦٥) - **صحيح** : أخرجه النسائى (٤/٨سيوطى) والحاكم (١/٣٥٢ ، ٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبى ، وابن حبان (٥/٨) والآجرى فى « الشريعة » (ص ٣٩٢) من طرق عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبى هريرة . وهو فى « صحيح الجامع » برقم (٥٠٤) وفى « تذكرة القرطبى » (ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١) وعزاه للبزار وكذا عزاه إليه السيوطى فى « شرح الصدور » وإلى ابن مردويه

٢٣٦- **وعن أبى هريرة** عن النبى - ﷺ - قال : « إن المؤمن إذا حضر أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : أخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتى أنه ليتناوله بعضهم يشمونه ، حتى يأتون به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض ، فكلما أتوا سماءً قالوا لهم مثل ذلك ، حتى يأتون به أرواح المؤمنين فَلَهُم أفرح به من أحدكم بغائبة إذا قدم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان فى غم الدنيا فإذا أصبح أو استراح قال لهم : أما أتاكم فإنه قد مات فيقولون : ذُهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فإن ملائكة العذاب تأتيه بمسح فيقولون : أخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه ، فتخرج كأنتن ريح فينطلقون به إلى باب الأرض » **وفى بعض طرق**(١٦٦) هذا الحديث « فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح ، كلما أتوا على أرض قالوا ذلك ، حتى يأتوا به أرواح الكفار » ذكره قاسم بن أصبغ من حديث أبى هريرة أيضاً .

٢٣٧- **وذكر مالك فى الموطأ** من حديث كعب بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله فى جسده يوم يبعثه »(١٦٧) .

---

(١٦٦) **الحديث فى الذى قبله** ونزيد هنا أن له شاهدًا من حديث البراء بن عازب -رضى الله عنه- أخرجه أبو داود (٢١٣/٣) والحاكم (٣٧/١ ، ٣٨) وأحمد (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨) والطيالسى برقم (٧٥٣) والآجرى فى « الشريعة » (ص ٣٩٢) وابن رجب الحنبلى فى أهوال القبور (ص ٢٦) وهو فى « صحيح الجامع » برقم (١٦٧٢).

(١٦٧) **صحيح** * أخرج إمام الأئمة مالك رحمه الله فى « الموطأ » (٢٤٠/١ عبدالباقى) ومن طريقه أخرجه النسائى (١٠٨/٤ سيوطى) والترمذى (١٦٤١) وابن ماجة (٢٨١١) والطيالسى (٢٩١) وابن حبان فى صحيحه (٨٣/٧) وأبو نعيم فى « الحلية » وأحمد (٤٥٦/٣ - ٤٦٠) عن كعب بن مالك ومن غير حديثه -رضى الله عنه- أورده الديلمى فى « الفردوس » (٩١٤) عن أبى سعيد الخدرى) وأخرجه البيهقى فى « السنن الكبرى» (١٦٣/٩) عن عبدالله -رضى الله عنه- وكذا أخرجه الآجرى فى « الشريعة » (ص ٣٩٢) وابن ماجة (٢٨٠٢) والخبر فى المشكاة (٦٣١٥) وفى أهوال القبور لابن رجب.

٢٣٨- **وذكر مسلم** من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خِندق أخا بنى كعب وهو يجر قصبة فى النار »(١٦٨) القصب : الأمعاء .

٢٣٩- **وذكر مسلم أيضاً** عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال : قال أبو سعيد ولم أشهده عن النبى - ﷺ - ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : « بينما النبى - ﷺ - فى حائط لبنى النجار على بغلة ونحن معه إذ جالت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة قال : كذلك كان يقول الحويرى فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل : أنا قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال »(١٦٩) .

٢٤٠- **وعن أبى أيوب الأنصارى** قال : « خرج رسول الله - ﷺ - بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب فى قبورها »(١٧٠) .

٢٤١- **وعن عائشة - رضى الله عنها** - قالت : « دخل عَلَىَّ رسول الله - ﷺ - وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور

---

(١٦٨) - **صحيح** : أخرجه البخارى (٢٨٣/٨) ومسلم (٢٠٣/٦) وأحمد (٣٦٦/٢) وابن ماجة وابن حبان (٥٢/٨) والبيهقى (١٦٣/٦) وهو فى « صحيح الجامع » ٣٤٦٣ ، ٣٤٦٤) وابن جرير (٥٦/٧) « والدر المنثور » (٣٣٧/٢) .

(١٦٩) - **صحيح** - أخرجه مسلم (٢٠٢/١٧ - نووى) وأحمد فى « المسند » (١٩٠/٥) وأبو داود (٤٧٥١) وابن حبان (٧٨٥ - موارد) .

(١٧٠) **صحيح** - متفق عليه عند الشيخين فهو عند البخارى (١٢٤/٢) ومسلم (٢٠٣/١٧) والنسائى (٢٠٢/٤) وابن حبان (٥٠/٢) وهو فى المشكاة برقم (١٢٩) .

قالت : فارتاع رسول الله - ﷺ - وقال : إنما تفتن يهود . قالت عائشة : فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله - ﷺ - : هل شعرت إنه أوحي إلى أنكم تفتنون فى القبور . قالت عائشة : فسمعت رسول الله - ﷺ - بعد يستعيذ من عذاب القبر »(١٧١) .

٢٤٢- **وعن عائشة أيضاً** قالت : « دخلت [عجوزان] من عجائز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم قالت : فَكَذَّبْتُهما ولم أنعم أن أصدقهما فَخَرَجَتَا ودخل على رسول الله - ﷺ - فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم فقال : صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قالت : فما رأيته جهر فى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر »(١٧٢) فى هذا الحديث زيادة كثيرة تجيء بعد إن شاء الله .

٢٤٣- **وذكر أبو داود** من حديث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - ﷺ - إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل »(١٧٣) وقد تقدم .

٢٤٤- **وذكر مسلم** من حديث البراء بن عازب عن النبى - ﷺ - قال : « ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ [إبراهيم / ٢٧] قال : نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك ؟ فيقول ربى الله ونبى محمد فذلك قوله عز

---

(١٧١) **صحيح** * أخرجه ابن أبى عاصم فى « السنة » برقم (٨٧٣ ، ٨٧٤) وهو عند الشيخين البخارى (٢٨٨/٢) فى « الكسوف » ومسلم (٨٦/٥) فى « المساجد » ، وأخرجه الطيالسى (١٤١١) وأحمد (١٧٤/٦) والبيهقى (٣٢٣/٣) وأبو داود (٤٧٥٦) و (٤٧٥٧) وغيرهم.

(١٧٢) **فى الذى قبله « والمشكاة » (١٢٨) وهو صحيح.**

(١٧٣) **حسن** * أخرجه أبو داود فى « الجنائز » (٣٢٢١) والحاكم (٣٧٠/١) والبغوى فى « شرح السنة » (٤١٨/٥) وأستغربه وقال لا يعرف إلا من حديث هشام بن يوسف ... إلخ كلامه رحمه الله راجعه وهو فى « المشكاة » برقم (١٣٣) راجع « تلخيص الحبير » (١٣٥/٢) قال الحافظ رحمه الله بعد أن أورد الحديث بلفظ الباب وعزاه لأبى داود والحاكم والبزار عن عثمان قال : قال البزار لا يروى عن النبى - ﷺ - إلا من هذا الوجه ا.هـ. وقال النووى فى الأذكار .. « حسن ».

وجل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [إبراهيم / ٢٧] »[١٧٤] .

٢٤٥- **وعن أسماء بنت أبى بكر** - رضى الله عنها - عن النبى - ﷺ - أنه قال : « قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيؤتى أحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول : هو محمد رسول الله - ﷺ - جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات . فيقال له : نم قد كنا نعلم أنـك لتؤمن به نم صالحاً . وأما المنافق أو المرتاب - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت »[١٧٥] .

٢٤٦- **وذكر النسائى** عن أنس أن النبى - ﷺ - قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ محمد - ﷺ - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً خيراً منه قال رسول الله - ﷺ - : فيراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين »[١٧٦] ذكر البخارى قال : « ويضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح »[١٧٧] وذكر باقى الحديث .

---

(١٧٤) **صحيح** - أخرجه الشيخان البخارى (٨/٣٧٨) ومسلم (١٧/٢٠٤) والبغوى (٥/٤١٢) والنسائى (٤/١٠١ ، ١٠٢) وأبو داود (٤٧٥٠) والمشكاة (١٣١)

(١٧٥) **صحيح** * أخرجه البخارىُّ (٣/٢٣٢) مختصرًا و (١/١٨٢ ، ٢٨٨ و٢٨٩ و٢/٤٥٣) والإسماعيلى فى المستخرج كما فى الفتح (٣/٢٣٦) من طريق يونس عن الزهرى عن عروة عن أسماء بهذا اللفظ . وأخرجه النسائى (٤/١٠٣ ، ١٠٤) من غير وجه عنها - رضى الله عنها -

(١٧٦) **خبر أنس من الذى قبله .**

(١٧٧) **راجع « البعث » لابن أبى داود ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ بشرح شيخنا أبى إسحق حفظه الله .**

٢٤٧- **وذكر الترمذى** عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أقبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم له فيه ثم يقال له : نم فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض التئمى عليه ، فتلتئم عليه فتخلف فيها أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك »(١٧٨) .

٢٤٨- **وذكر عبد بن حميد** من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : « جاءت يهودية فاستطعمت على بابى فقالت : أطعمونى أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال فلم أزل أحبسها حتى جاء النبى - ﷺ - فقلت : يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية ؟ قال : وما تقول ؟ قلت : تقول : أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال . قالت عائشة : فقام رسول الله - ﷺ - فرفع يديه مداً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت : ثم قال : أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبى إلا وقد حذره أمته وسأحذركموه تحذيراً لم يحذره نبى أمته إنه أعور وإن الله ليس بأعور ، بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر ففيه تفتنون وعنى تسألون ، فإذا كان الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشغوف فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : فى الإسلام ، فيقال : ما هذا الرجل الذى كان فيكم ؟

---

(١٧٨) * **حسن** * أخرجه الترمذى (٣٧٤/٣) برقم (١٠٧١) وقال : حسن غريب . وقال العلامة محمد فؤاد عبدالباق رحمه الله : لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذى ا.هـ قلت : أخرجه أيضًا ابن حبان فى « صحيحه » (٤٨/٥) وفى روائده (٧١٨ موارد) والبغوى فى شرح السنة (٤١٦/٥) وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء والحاكم (٣٧/١) راجع « شرح الصدور » (ص ٨٠) - وصحيح الجامع حيث قال شيخنا حسن.

فيقول : محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا به وصدقناه . قال : فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول ما ينبغى لأحد أن يرى الله . فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له : هذا مقعدك منها ، ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، وإذا كان الرجل السوء أُجلس فى قبره فزعاً مشغوفاً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول لا أدرى فيقال له : ما هذا الرجل الذى كان فيكم ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا ، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرفه الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له هذا مقعدك منها ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله عز وجل . ثم يعذب »(١٧٩) .

٢٤٩– **وقال عبد بن حميد** أيضاً عن ابن أبى ذئب قال محمد بن عمرو فحدثنى سعيد ابن يسار عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ – : « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال اخرجى أيتها الروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج ثُمّ يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله تبارك وتعالى ، وإذا كان الرّجلُ السُّوءُ قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغَسَّاق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنه لا تفتح لك

---

(١٧٩) **هو فى ١٦٥ ونزيد هنا** أنه أخرجه أبو داود (٤٦٥٦) من حديث أبى عبيدة بن الجراح و٧٧٥٧ من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه به والحاكم (١/٣٨ ، ٤٠).

أبواب السماء فترسل من السماء ثم يصيران إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له فيرد ما فى حديث عائشة سواءً ويجلس الرجل السوء فيقال له فيرد ما فى حديث عائشة سواء وقد تقدم »(١٨٠) .

٢٥٠- **قال عبد** : وأخبرنى عمرو بن عون أخبرنا أبو عوانه عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان أبى عمر عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله - ﷺ - فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله - ﷺ - وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال : فجعل النبى - ﷺ - يرفع بصره ينظر إلى السماء وينكت فى الأرض ويحدث نفسه ثم قال : أعوذ بالله من عذاب القبر مراراً ثم قال : إن الرجل إذا كان فى قبل من الآخرة وإنقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه فإن كان مسلماً قال : أخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج نفسه تسيل كما تسيل قطرة السقاء ، وتنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ، فإذا أخذها قاموا إليه فلم يتركوها فى يده طرفة عين ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [الأنعام / ٦١] قال : فتخرج منه مثل أطيب ريح وجدت على وجه الأرض . قال : فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فقالوا : هذا فلان بأحسن أسمائه فإن انتهوا به إلى السماء قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فقالوا : هذا فلان بأحسن أسمائه فيفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة قال : فيقال : اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم وأرجعوه إلى الأرض إن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال : فيرجع روحه فى جسده قال : ويبعث الله إليه ملكين شديدى الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

---

(١٨٠) **صحيح** - أخرجه الإمام أحمد فى « المسند » (٢/٢٧٧) وابن ماجة (٤٢٦٢) والآجرى فى « الشريعة » وأورده السيوطى فى « الجامع الصغير » فهو فى قسم الصحيح منه برقم ١٩٦٤.

فيقول : رسول الله - ﷺ - فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فذلك قول الله عز وجل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [إبراهيم / ٢٧] وينادى منادٍ من السماء أن قد صدق فألبسوه من الجنة وأفرشوا له من الجنة وأروه منزله من الجنة قال : فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة ويرى منزله من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال : ويمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح قال : فيقول : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة هذا يومك الذى كنت توعد قال : فيقول له : ومن أنت رحمك الله ؟ فو الله لوجهك الوجه جاء بالخير قال : فيقول : أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لحريصاً على طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيرًا قال : فيقول : رب أقم الساعة لكى أرجع إلى أهلى ومالى »(١٨١) .

٢٥١- **قال : وقال الأعمش** : وحدثنى أبو صالح حدثنى بعض أصحاب النبى - ﷺ - أنه قال : « يقال له : نم قال : فينام ألذ نومة نامها نائم قط حتى توقظه الساعة ثم رجع إلى حديث البراء قال : وإن كان فاجراً إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول : اخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى غضب وسخط من الله قال : فيفرق روحه فى جسده قال : فيستخرجها يقطع منها العروق كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود قال : وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر فإذا وقعت فى يد ملك الموت قام إليه الملائكة فلم يتركوها فى يده طرفة عين قال : ويخرج منه مثل أنتن ريح وجدت على وجه الأرض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه قال : فإذا انتهى به إلى السماء الدنيا أغلقت دونه فلم تفتح له وينادى منادى

---

(١٨١) **صحيح** . أخرجه الإمام أحمد (٢٨٧/٤) و٢٨٨ و٢٩٧) وأبو داود (٣٢١٢) والنسائى (٧٨/٤) وابن ماجة (١٥٤٩) والبغوى فى « شرح السنة » (٤٠٨/٥) من طرق عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء مرفوعاً به بزيادة ونقصان أحرف بعضهم على بعض. والحديث بطوله فى « شرح الصدور » ص ٤٧ .

أن اكتبوا كتابه فى سجين وأرجعوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال : فيرمى به من السماء فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ قال : فيعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه قال : فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لا أدرى . فيقولان له : ما هذا النبى الذى بعث فيكم ؟ قال : فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك لا أدرى قال : فيقولان له لا دريت قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ قال : وينادى منادٍ من السماء أن قد كذب فألبسوه من النار وأفرشوا له من النار وأروه منزله من النار قال : فيكسى من النار ويفرش له من النار ويرى منها منزله قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال : ويمثل له رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوؤك أبشر بغضب من الله وسخطٍ هذا يومك الذى كنت توعد هذا يومك الذى كنت تكذب به قال : فيقول له : ويلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه جاء بالشر قال : فيقول : أنا عملك الخبيث والله ما علمت إن كنت لبطيئاً عن طاعة الله حريصاً على معصية الله فجزاك الله عنى شر الجزاء فيقول : يا رب لا تقم الساعة مما يرى مما أعد الله له »[١٨٢] .

٢٥٢- **وذكر أبو بكر البزار** فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : « شهدنا مع رسول الله - ﷺ - جنازة فقال رسول الله - ﷺ - : يا أيها الناس إن هذه الأمة تُسأل فى قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ يعنى محمداً - ﷺ - فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : صدقت . ثم يفتح له باب إلى النار فيقول : هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب [إلى الجنة فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به هذا منزلك] فيفتح له

---

(١٨٢) تقدم ونزيد هنا أن الحاكم قد أخرج نحوه - على هذا الطول - فى المستدرك (١/٣٧).

باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول : أسكن ويفسح له فى قبره ، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً . فيقول له الملك : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقول : هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت فإن الله قد أبدلك به هذا ويفتح له باب إلى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين فقال بعض القوم : يا رسول الله ما من أحد يقوم عليه ملك فى يده مطرقة إلا يهيل عند ذلك ؟ فقال رسول الله - ﷺ - ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾[183] .

٢٥٣- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبه** عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنيناً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت خضراً »[184] .

٢٥٤- **وذكر البخارى** عن ابن عباس قال : مر رسول الله - ﷺ - على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما هذا فكان لا يستنزه من بوله وأما هذا فكان يمشى بالنميمة ، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا »[185] .

---

(١٨٣) **صحيح** * أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٣٢٦/٢) وابن حبان (١٨٢٦) والحاكم (٣٧٠/٢) وعبد الله بن أحمد فى السنة (١٣٥٤) وابن حبان (٧٨٥) والآجرى فى الشريعة (٣٦٦) من طرق عن أبى سعيد به.

(١٨٤) **ضعيف * أخرجه الدارمى أبو محمد رحمه الله** (٣٣١/٢) وأحمد (٣٨/٣) وابن حبان (٧٨٢ ، ٧٨٣ - موارد) من وجوه عن دراج أبى السمح يقول سمعت أبا الهيثم يقول سمعت أبا سعيد يقول فذكره مرفوعا.

(١٨٥) **صحيح** * أخرجه أحمد (٢٩/٥) والبخارى (٣١٦/١ فتح) ومسلم (٢٠٠/٣ نووى) وأبو داود (٦/١) والترمذى (١٠٢/١ شاكر) والنسائى (٢٨/١) سيوطى والدارمى (١٨٨/١) وأحمد (٣٦٦/٥) كلهم من طريق الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس -رضى الله عنهما- مرفوعًا به وأخرجه إمام الأئمة ابن خزيمة فى صحيحه (٣٢/١ ، ٣٣) وابن حبان فى « صحيحه » (٥٢/٥) والبغوى فى « شرح السنة » (٣٧٠/١ - ٣٧١) والبيهقى فى « السنن الكبرى» (١٠٤/١ ، ٤١٢/٢).

٢٥٥- **وذكر النسائى** عن ابن عمر عن رسول الله - ﷺ - قال : « هذا الذى تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فرج عنه »(١٨٦) .

وهذا الذى تحرك له العرش هو سعد بن معاذ الأنصارى رُمى بسهم فى غزوة الخندق ثم مات منه بعد ذلك ويعنى بالضمة ضمة القبر .

٢٥٦- **ومن حديث شعبة بن الحجاج** بإسناده إلى عائشة أمِّ المؤمنين قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ »(١٨٧) .

٢٥٧- **وذكر مسلم** من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أحدكم إذا مات عُرض على مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »(١٨٨) ويروى : « عرض عليه مقعده » .

وهذا ضرب من العذاب كبير ، وعندنا المثال فى الدنيا بمن يعرض عليه السيف للقتل أو غيره من آلات العذاب أو بمن يهدد به من غير أن يرى

---

(١٨٦) * **صحيح** * أخرجه النسائى (٤/١٠٠ ، ١٠١) وهو فى « صحيح الجامع » برقم (١٦٩٥) وابن حبان فى « صحيحه » (٩/٨٩) والديلمى فى « الفردوس » (٦٩٧٢) وأبو الفداء ابن كثير فى « البداية » من غير وجه (٤/١٢٨) والأحاديث فى فضل سعد ومناقبه كثيرة غير أنا التزمنا لفظ المصنف والله تعالى أعلم.

(١٨٧) * **صحيح** - أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- وهو فى صحيح الجامع (٢١٧٦) وأورده ابن رجب فى أهوال القبور له (١٨٦) والخبر ذكره الهيثمى رحمه الله فى « المجمع » (٣/٤٩) وعزاه لأحمد عن نافع عن عائشة وعن نافع عن إنسان عن عائشة ، قال وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح ا.هـ وخرجه ابن كثير فى البداية (٤/١٢٨) برواية المسند (٦/٥٥ ، ٩٨) وأخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٣/١٧٣ ، ١٧٤) وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/٢٠٦) وكذا الطبرانى فى الكبير (١٠/٤٠٦).

(١٨٨) **صحيح** - أخرجه الإمام أحمد (٢/٥٠) وأخرجه البخارى فى « الرقاق » (١١/٣٦٢ فتح) ومسلم فى « صفة الجنة » (١٧/٢٠٠ نووى) والترمذى (٣/٣٧٥ عبدالباقى) وابن ماجة (٤٢٧٠) والديلمى فى « الفردوس » برقم (١١١٤١) وهو فى صحيح الجامع (٨٠٤) وأورده ابن رجب الحنبلى فى « أهوال القبور » (١٣٠ - ١٣١) وعزاه للصحيحين.

الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه وبكرمه ورحمته .

قد صحت الأحاديث عن النبى - ﷺ - فى عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها ، وإنما اختلف الناس هل تعذب الروح قبل أن يرد إلى الجسد أو بعد دفنه أو بعد ما ترد إليه لأن الرواية فى رد الروح إلى الجسد فى القبر لم تصح صحة عذاب القبر من غير ذكر رد الروح وحديث رد الروح إلى الجسد فى القبر ذكره أبو داود أيضا .

وكيف ما كان ، فالعذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلا بالنائم فإن روحه تتنعم أو تتعذب والجسد لا يحس بشيء من ذلك ، فتفكّر أيها الإنسان فى نفسك ، وتخيل حالك عند حلول رمسك ، وهل يكون أول سعدك أو يكون أول نحسك ، وقد جاء فى الخبر « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه »(189) ، وفى الخبر أيضاً : « إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »(190) . وقد تقدم الحديثان وأنت أعلم بحالك وما قدمت من أعمالك فتخيل بين عينيك وثوب منكر ونكير عليك وفى إسمهما ما يدلك على صفتهما وقولهما وفعلهما ، وقد بدا لك بعض ما يعذبان به ذلك الممتحن وما يسومان به ذلك البائس المرتهن .

واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين ، بل تشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكلٌّ على حاله من عمله وما استوجبه بخطيئته ، وزلله وإن كانت تلك النصوص المتقدمة فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق ، ومن أين لك بالأمان من تلك الصفة المذمومة والأعمال

---

(189) **قوله : وقد جاء فى الخبر أن القبر أول منازل الآخرة... إلخ**
قلت : هذا حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضى الله عنه- عند أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم وغيرهم.

(190) **قوله : وفى الخبر أيضاً أن القبر روضة من رياض الجنة.. إلخ**
فذلك رواه أيضاً الترمذى والطبرانى عن أبى سعيد والطبرانى عن أبى هريرة مرفوعًا بسند ضعيف ، راجع « كشف الخفاء » (136/2).

المشئومة وإنما الأعمال بالخواتيم ، وما خُتم لك به فهو الواجب عليك اللازم ، والطوق فى عنقك المقيم الدائم ، وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله . قد يكون عذاب المؤمن فى ضمة القبر أو ضيقه أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات ، وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات ، وبالندامات على ما مضى به من التباعات ، أو بما شاء الله تعالى ، فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم ، فإن أمنت ذلك العذاب الأكبر فما الذى أمنك من هذا الذى هو بالإضافة إليه عذاب أصغر ، فتفكر مادام ينفعك التفكر ، وتخيل مادمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت فى حفرة من الأرض قصيرة الطول ضيقة العرض ، فاشتدت بها وحشتك واستبانت غربتك ، فانضمت عليك ضمة كسرت أنفك ، وشدخت رأسك ، ورضت عظامك ، وسرت ورائك وأمامك ، وتحتك وفوقك ، وملأت ظلمة أرضك ، وأفقك ، من قلب قد نُكس ، وبدن قد رمس ، ونفس قد قصر وحُبس ، وأردت أن تفر فلم تترك ، وأردت أن تستغيث فلم تملك ، ولا تدرى ما يدوم ولا متى تترك أن تقعد أو تقوم ، أتراك كنت مفتوناً من هذا المقام ، بما كنت جمعت من حطام ، بل جمعه جميع الأنام من حلال وحرام ، بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ولا يُحَدُّ ، ولا يجمع ولا يعد ، ولعلك قد كنت فى الدنيا لا ترضى بمنزلك المتسع ، ولا بشملك المجتمع ، ولا تقنع برزق ربك المندفق ، عليك المندفع ، فانظر رحمك الله لنفسك وادفع عنك جوانب هذه الحفرة [وخفف] عنك من هذه الضمة ، وأنس من هذه الوحشة ، واعمل ما وجدت سبيلا للعمل مادمت فى فسحة ومهل ، ومهد المضجع ووطىء لذلك المصرع ، وأرغب وتوسل واضرع وتذلل ؛ ولعل الإله المعبود الذى جوده الجود ، وكرمه لا محصور ولا معدود ، وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود ، سيرسل منه قطرة تغمر العرش والدره فيصيبك منه بنصيب ويبلك منه بذَنوب ، وتعمك منه بشؤوب ، فقد انقطع الرجاء إلا منه ، وسدت الأبواب إلا عنه ، جل وعلا وتبارك وتعالى .

حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله : إنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرف أشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبًا منهم ، وإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليها كأنها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها كأنها تسمع ثم ولت كذلك فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم رحمه الله : تذكرت عذاب القبر وقول النبى – ﷺ – : « إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم »(١٩١) والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ، ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارىء هذا الحديث فى عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج – رضى الله عنه – .

ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبراً فلما كشف عن الميت فإذا بنار تحرق الميت ، فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله عز وجل » .

٢٥٨– **وروى عن** أبى بكر بن أبى الدنيا عن بعض أصحابه أنه **قال لنباش بعد توبته** : « ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله عز وجل ؟ قال : نبشت إنساناً فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه » .

وقيل لآخر : « ما كان سبب توبتك ورجوعك إلى الله ؟ قال : رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص » .

روى فى الحديث : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو هم يفرون به منه صب فى أذنه الآنك يوم القيامة » ولعل هذا كان ممن يفعل ذلك ، والله أعلم بما كان عليه .

---

(١٩١) **قوله : وقول النبى –ﷺ– إنهم ليعذبون عذابًا تسمعه البهائم.. إلخ**
مضى تصحيحه فى (١٦٤) وأنه أخرجه الشيخان والنسائى وابن حبان وغيرهم والله أعلم.

(١٢) ذكر يوم القيامة وأسمائه

يضحك المرء والبكا أمامَهُ ويدوم البقاء والموت رامَهُ .
ويمشى الحديث فى كل لغو ويخلى حديث يوم القيامة .
ولأمر بكاه كل لبيب ونفى فى الظلام عنه منامه .
صاح حدث حديثه واختصره فمحال بأن تطيق تمامه .
عجز الواصفون عنه وقالوا لم يجىء من بحاره بكظامه .
فلتحدثه جملة وشتيتاً ودع الآن شرحه ونظامه .

واعلم رحمك الله أن هذا اليوم ليس عِظَمُه مما يوصف ولا هوله مما يكيف على مقدارٍ مما يُعلَم فى الدنيا ويعرف ، بل لا يعلم عظمه ولا مقداره ولا هوله إلا الله تبارك وتعالى ، وما ظنك بيوم يُعَبِّر الله تبارك وتعالى عن بعض ما يكون فيه « بشىء عظيم » قال عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم(*) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناسَ سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج / ١ ، ٢] وماذا عسى أن يقول القائل فيه وماذا عسى أن يصفه الواصف به . الأمر أعظم ، والخطب أكبر ، والهول أشنع .

كما قال القائل :

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وصفا .

وقال أيضاً :

والأمر مهما نظرت فيه ألفيته الأعظم الألقاء .

يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ثم ما أدراك ما يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجد كل عامل عمله أمامه :

يوم المُدَمْدِمَة	يوم الزلزلة	يوم الصاعقة	يوم الواقعة
يوم الراجفة	يوم الرادفة	يوم الغاشية	يوم الداهية

يوم الآزفة	يوم الحاقة	يوم الطَّامَّة	يوم الصَّاخَّة
يوم التَّلَاقِ	يوم الفراق	يوم المَسَاق	يوم الإشفاق
يوم القصاص	يوم ولات حين مناص	يوم التناد	يوم الأشهاد
يوم الميعاد	يوم المرصاد	يوم المساءلة	
يوم الحساب	يوم المآب	يوم العذاب	يوم الفرار لو وُجد الفرار
	يوم القرار	إما فى الجنة	وإما فى النار
يوم القضاء	يوم	يوم البكا	يوم البلاء
يوم تمور السماء	موراً وتسير	الجبال سيراً	يوم الحشر
يوم النشر	يوم الجمع	يوم البعث	يوم العرض
يوم الوزن	يوم الحق	يوم الحكم	يوم
يوم الخزى	يوم عقيم	يوم عظيم	يوم عسير
يوم قمطرير	يوم النشور	يوم المصير	يوم الدين
يوم اليقين	يوم النفخة	يوم الصيحة	يوم الزحف
يوم الزجرة	يوم السكرة	يوم الفزع	يوم الجزع
يوم الفلق	يوم الفرق	يوم العرق	يوم الميقات
يوم يخرج الأموات	وتظهر المخبآت	يوم الانشقاق	يوم الانكدار
يوم الانتشار	يوم الانفطار	يوم الافتقار	يوم الوقوف
يوم الخروج	يوم الانصداع	يوم الانقطاع	يوم معلوم
يوم موعود	يوم مشهود	يوم تبلى السرائر	يوم تخرج الضمائر

يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئًا يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً يوم يدعى فيه إلى النار يوم ينجى فيه من النار[١٩٢] .

---

(١٩٢) **أسماء يوم القيامة** راجع لدلك « الإحياء » (٣٥/٦) « باب صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه » · قال الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله فى كتابه « نهاية البداية والنهاية » فى « الفتن والملاحم » (٢٠٠/١) · قال الحافظ عبدالحق الإشبيلى فى كتابه « العاقبة » : « يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة ، ثم شرع يعدد أسماءها كما ها هنا. قلت . وكتاب العاقبة هو هذا الذى بين يديك والذى من الله علينا بتحقيقه

يوم تقلب فيه الوجوه فى النار ، يوم البروز إلى الله . يوم الصدور إلى الله . يوم لا تنفع المعذرة ، يوم لا يرتجى إلا المغفرة ، وأهول أسمائه وأبشع ألقابه يوم الخلود وما أدراك ما يوم الخلود يوم لا انقطاع لعذابه ، ولا آخر لعقابه ، ولا يكشف فيه عن كافر ما به ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله من بلائه وسوء قضائه بكرمه ورحمته .

واعلم أن العرب قد تسمى الشيء بأسماء كثيرة وتجعل له ألقابا عديدة تعظيما لشأنه ، وإكباراً لأمره ، وقد سمى الله – تبارك وتعالى – يوم القيامة بأسماء كثيرة ، ولعله من هذا ، وهو – تبارك وتعالى – أعلم .

(١١) ذكر النفخ فى الصور : النفخة الأولى والثانية

قد تقدم لك الكلام فى ذكر الموت وغصته وكربه وشدته وعذاب القبر وفتنته وضيقه وظلمته ومنكر ونكير ورؤيتهما وسماع كلامهما على فظاظتهما وغلظتهما وبشاعة منظرهما وتكلف جوابهما والتوقى من مقامعهما بالإقرار بالربوبية والشهادة بالرسالة لمن ثبته الله تعالى بالقول الثابت وأمده بنور الإيمان وألهمه حجته وإن فى ذكر هذا لتنبيهاً من الغفلة وتنشيطاً من الكسل وحلا من عقال البطالة وصرفاً عن اللذات وردعاً عن نيل الشهوات بل فيه ما يذهل النفوس ويميت القلوب أن تنال من الدنيا حظها الذى يكون به حياتها ويكون به قوامها فضلاً أن تنال منها غير ذلك فكيف بما وراء هذا من جمع العباد ليوم التناد ويوم يقوم الأشهاد وحشر الأمم لذلك الهول الأعظم .

واعلم أن الإنسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من إحدى الدارين وصحبته من أحد الفريقين ، وأنه لا تزال نفسه معذبة أو منعمة إلى يوم الجزاء والاجتماع لفصل القضاء ، وبعد ذلك لا يتجرد النعيم والعذاب على وجه آخر وصفة أخرى مما سيأتى ذكره بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

واعلم أن الله تعالى خلق للجنة أهلاً وخلق للنار أهلاً وهم مع الساعات راحلون ومع الأنفاس ظاعنون ، إلى دار البلى ومعسكر الموتى ومستقر الأرواح ، وكل مطلع على مكانه الذى يصير إليه ومشرف على منزله الذى ينزل به ، وبذلك

وتقديمه إليك ، وبالطبع كان ابن كثير رحمه الله يحيل على المخطوط ، الذى أصبح بحول الله تعالى ، ثم بجهود أهل العلم المخلصين لوجه الله كتاباً مطبوعاً أسأل الله تعالى أن يجعل عملى وعمل كل من عمل فيه خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بقبول حسن إنه سبحانه وتعالى أكرم مسئول وأبرّ مأمول

يكون نعيمهم وعذابهم ، وبغير ذلك مما شاء الله عز وجل ، فلا يزالون هكذا يرحلون وينتقلون ويظعنون إلى أن يفرغ العدد السعيد والفريق المنعم ويبقى من العدد الشقي والفريق المقصى ، بقية لا يحصيها إلا خالقها تعالى لكنهم قليلون بالإضافة إلى ما رحل منهم ، يكون ارتحال هذه البقية إلى الدار الآخرة بمدة واحدة وخروجهم من الدنيا فى دفعة واحدة ، وهم الذين تبعثهم الصيحة وتقوم عليهم الساعة .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عنـد رَبــِّيّ لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ [الأعراف / ١٨٧] .

ويروى عن الشعبى قال : « لقى جبريل عيسى عليهما السلام فقال له عيسى : متى الساعة ؟ فانتفض جبريل فى أجنحته وقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ﴿ ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ وأما تقريب وقتها فكل آتٍ قريب قال الله تعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ [النحل / ٧٧] وقال عز وجل : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء / ١–٣] وقال تبارك وتعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر ﴾ [القمر / ١–٥] وقال عز من قائل : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [النحل / ١] .

يروى أن النبى – ﷺ – « لما نزل عليه [أتى أمر الله] وثب قائماً فلما نزل [فلا تستعجلوه] جلس »(١٩٣) قال بعض العلماء : إنما وثب عليه السلام خوفاً من أن تكون الساعة قد قامت .

---

(١٩٣) **قوله . ويروى أن النبى – ﷺ – لمّا نزل عليه ﴿ أتى أمر الله ﴾** ... إلخ أحرحه اس مردويه عں اس عماس ، وعىدالله ىں أحمد ڡى « روائد الزهد » واس أبى حاتم واس حرير عں أبى ىكر ابں حمص قال : لما نزلت ﴿ أتى أمر الله ﴾ قاموا فنزلت ﴿ فلا تستعحلوه ﴾ وأخرح اس مردويه مں طريق الصحاك عں

٢٥٩- **وقال عليه السلام** : « بعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى »(١٩٤) . ذكره مسلم بن الحجاج فى كتابه .

٢٦٠- **وذكر مسلم بن الحجاج** أيضاً فى كتابه عن النواس بن سمعان الكلابى عن النبى - ﷺ - « وذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وقتله الدجال ، ثم خروج يأجوج ومأجوج عليه ، ثم هلاكهم ، ثم ذكر ما يكون بعد ذلك من البركات والخيرات قال : فبيناهم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة »(١٩٥) .

واعلم أن كل ميت مات فقد قامت عليه قيامته ، لكنها قيامة صغرى وقيامة كبرى ، فالصغرى هى ما تقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وإنقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبى - ﷺ - لقوم من الأعراب وقد سألوه متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : « إن يعش هذا

= ابن عباس ﴿ أتى أمر الله ﴾ خروج محمد - ﷺ - راجع الدّر المنثور (١٠٩/٤ - ١١٠) وابن جرير (٥٢/١٤) .

(١٩٤) **قوله (وقال عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين . الحديث صحيح** - سبق الكلام عليه وأنه أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة عن أنس وأحمد وابن ماجة عن سهل بن سعد والسيوطى فى « جامعه » الصغير وقد كان من الأولى عزو الحديث إلى الشيخين وقد أخرجاه - كلاهما - وراجع « التفسير » (٦٩/٨) من صحيح البخارى بشرح الفتح والرقاق وغيرها . وأخرجه مسلم فى « الفتن » (٨٨/١٨ ، ٨٩ نووى) وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » (٩٨/١٥) وأخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٢٢٠/٨ ، ٢٢١) وكذا أبو داود الطيالسى رقم (١٩٨٠ ، ٢٠٨٩) وفى « مجمع الزوائد » (٣١٤/١٠) قال الهيثمى : « وعن بريدة قال . سمعت النبى - ﷺ - يقول . بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقنى » رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين وضم أصبعيه السبابة والوسطى » ورجال أحمد رجال الصحيح » ا.هـ راجع « المطالب العالية » (٣٥٢/٤) .

(١٩٥) * **صحيح** - أخرجه مسلم (٦٣/١٨ - ٧٠ نووى) من طريق عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى ابن جابر الطائى عن عبدالرحمن بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان مرفوعًا به .

لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم »[١٩٦] ذكره مسلم بن الحجاج فى كتابه .

والقيامة التى تعم الأرض بمدة إنما تأتيهم بغتة وتأخذهم على غفلة كما تقدم ، لكنها تقوم فى يوم جمعة فى غير شهر معروف ، ولا سنة معروفة ، والملك الذى وكل بهذه النفخة وجعل على يده هذه الصعقة قد استعد لها وتهيأ لإمضائها .

٢٦١- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبة** فى مسنده بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال : « لما كان ليلة أسرى برسول الله - ﷺ - لقى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة متى هى فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم فسألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فردوا الحديث إلى عيسى فقال : عهد الله إلى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله ويعنى بوجبتها وقعتها قال : فذكر من خروج الدجال : فأهبطُ فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حرب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى ما دعوا الله فيرسل من السماء ماء فيحل أجسامهم فيلقهم فى البحر ثم تنشق الجبال وتمد الأرض مد الأديم ، وعهد الله إلىّ أنه إذا كان ذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم الذى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً » .

قال العوام : فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل وقرأ : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾[١٩٧] .

---

(١٩٦) * **صحيح** - أخرجه مسلم (٩٠/١٨) وكان الأولى تقديم البخارى رحمه الله الذى أحرج الحديث فى صحيحه (٣٦١/١١ - فتح) وكذا أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (٩٩/١٥)

(١٩٧) * **ضعيف** * أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٥٤٥/٤ ، ٥٤٦) من طريق يزيد بن هارون أنبا العوام بن حوشب عن جبل بن سحيم عن مؤثر بن غفاره عن عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- قال فذكره نحو ما ها هنا قلت : فيه محمد بن مسلمة الواسطى صاحب يزيد بن هارون وشيخ شيخ الحاكم فى هذا الخبر. له فى اللسان ترجمة لا تسر فقد ضعفه اللالكائى وأورد له ابن الجوزى خبراً فى الموضوعات وقال الخطيب فى أحاديثه مناكير بأسانيد واضحة. وراجع ترجمته من التهذيب (٣٣٠/١٠) والتقريب حيث قال مقبول.

٢٦٢- **وذكر أبو داود** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين يصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه »(١٩٨) .

٢٦٣- **وذكر النسائى** عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه [حَنَى] جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ قالوا : يا رسول الله وكيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »(١٩٩) .

٢٦٤- **وذكر الترمذى** عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبى - ﷺ - فقال لهم : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »(٢٠٠) .

---

(١٩٨) **صحيح . أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ »** (١/١٠٨) والبخارى (٢/٤١٥) ومسلم (٦/١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢). والترمذى (٢/٣٥٩ شاكر) وقال . حسن صحيح وأبو داود (١/٢٧٤ ، ٢٧٥) والنسائى (٣/٩٠) وابن ماجة (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) والبغوى فى « شرح السنة » (٤/٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥) وابن حبان فى « صحيحه » والحاكم فى « المستدرك » (١/٢٧٨ ، ٢٧٩) والدارمى فى سننه (١/٣٦٩) وابن خزيمة فى صحيحه (٣/١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) وغيرهم والله تعالى أعلم.

(١٩٩) - **حسن بمجموع طرقه** : أخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٥٥٨ ، ٥٥٩) والترمذى (٢٤٣١ ، ٣٢٤٣) والطبرانى فى الصغير (١/٢٤) وأحمد (٣/٧ و٧٣) والحميدى (٧٥٤) وابن المبارك فى « الزهد » (١٧٥٧) وأبو نعيم فى الحلية (٥/١٠٥) و(٧/١٣٠ ، ٣١٢) والخطيب (٣/٣٦٣) والبغوى فى « شرح السنة » (١٥/١٠٢ ، ١٠٣) من طرق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى به وقال الترمذى حديث حسن. ا.هـ.

(٢٠٠) **هو فى الذى قبله** : وقد أوضحنا أنه أخرجه الإمام أحمد (٣/٧) والترمذى (٢٤٣٠) وقال : « حسن » والطبرانى (١/٢٤) وغيرهم ممن أوردناهم قبل - من طرق عن عطية العوفى عن أبى سعيد رفعه به والحديث له أسانيد صحيحة غير هذا منها ما أخرجه الحاكم (٤/٥٥٩) وأبو يوسف فى « الخراج » (٧) من طرق عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد مرفوعًا به والله تعالى أعلم.

٢٦٥- **وذكر أبو الحسن بن صخر** فى فوائده من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مازال صاحب الصور مذ وكل به مستعداً ينظر نحو العرش أن يؤمر فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبانِ دريان »(٢٠١) .

٢٦٦- **ومن مسند البزار** عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « ذكر رسول الله - ﷺ - صاحب الصور فقال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل صلى الله عليهما »(٢٠٢) .

٢٦٧- **وذكر الترمذى** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « جاء أعرابى إلى النبى - ﷺ - فقال : ما الصور ؟ فقال : قرن ينفخ فيه »(٢٠٣) .

٢٦٨- **وذكره** أبو بشر الدولابى من حديث عبد الله بن مسعود عن النبى - ﷺ - فى قوله تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ فقال : الصور كهيئة القرن(٢٠٤) .

قال بعض العلماء : والصور أيضاً جمع صورة .

٢٦٩- **وذكر البخارى** عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله . وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته

---

(٢٠١) **تقدم فى غضون الكلام على الحديث رقم (١٩٢).**

(٢٠٢) **حسن** * أورده الهيثمى رحمه الله فى « المجمع » (٣٣٤/١٠) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن اهـ.

(٢٠٣) **حسن** * أخرجه الترمذى (٢٤٣٠) من طريق ابن المبارك وأبو داود (٤٧٤٢) والدارمى (٣٢٥/٢) وأحمد (١٦٢/٢ ، ١٩٢) وابن حبان (٢٥٧٠ - موارد) قال الترمذى : « حديث حسن » .

(٢٠٤) **تقدم فى رقم (٢٠٣) وأما قوله (قال بعض العلماء والصور أيضًا جمع صورة)** (!) فقول عجيب حقًا فإنما نعلم أنه إذا أريد « جمع » صورة فإن الواو فيها تكون مفتوحة ، وقد تجمع على « تصاوير » ! وما أدرى سرّ إقحام هذه العبارة هنا أصلاً (؟!)

وحتى يعرضه فيقول الذى يُعرَض عليه لا أرب لى فيه « وحتى يتطاول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه » وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها »(٢٠٥) .

٢٧٠- **وذكر مسلم بن الحجاج** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى يريد عوافى السّبَاع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خَرَّا على وجوههما »(٢٠٦) سمعت فى تفسيره أن هذين الراعيين إنما يخران على وجوههما من صيحة يوم القيامة ، فعند هذه الصيحة تخمد الأصوات وتسكن الحركات وتخلى من أهلها الأرضون والسموات إلى يوم الخروج والميقات والجزاء بالحسنات والسيئات ، إلا أن الله تعالى ذكر عند هذه الصيحة استثناء سيأتى ما قيل فيه بعدُ إن شاء الله ، ثم ينزل الله مطراً فتنبُت به الأجسام ويحيى به الرفات من

---

(٢٠٥) **صحيح** : أخرجه البخارى (٢٣١/٤ سندى) ومن طريقه أخرجه البغوى بإسناده ولفظه معًا فى « شرح السنة » (٢٦/١٥ - ٢٧) وأخرجه مسلم (١٣/١٨ و٤٥ نووى) مختصرًا وهو فى « صحيح الجامع » (٧٢٨٨)

● قوله : إنصرف الرجل بلبن لقحته أى ناقته.

● قوله : يليط حوضه أى يصلحه ويهيئه.

والخبر أخرجه بلفظ أخصر من هذا أحمد وأبو داود وابن ماجة

(٢٠٦) **صحيح** * قد اتفق على إخراجه الشيخان لا مسلم وحده (!) فأخرجه البخارى (٨٩/٤ فتح) ومسلم (١٦٠/٩ نووى) ونحوه أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ » (٨٨٨٢) عن أبى هريرة وأخرجه أحمد (٣٢/٥) من حديث محجن بن الأدرع الأسلمى وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » وابن جرير فى « تهذيب الآثار » وابن المبارك فى الزهد.

●وقوله : العوافى : طلاب الرزق ، وقال رجل عافٍ وقوم عفاةٌ كذا فسرها الإمام البغوى رحمه الله.

العظام وتستعد لقبول الأرواح عند النفخة الثانية قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ونُفِخَ فى الصور فجمعناهم جمعًا ﴾ .

٢٧١- **وذكر مسلم من حديث** عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أيوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً « الشك من الراوى » قال : فيبعث الله عيسى بن مريم - ﷺ - كأنه عروة بن مسعود الثقفى ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ فى قلبه مثقال ذَرَّةٍ من خيرٍ أو إيمان إلا قبضته حتى لوْ أنّ أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، قال : سمعتها من رسول الله - ﷺ - ، قال : فيبقى شرار الناس فى خِفَّةِ الطَّير وأحلام السِّباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم : **ألا تستحيون**(٢٠٧) فيقولون : فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقُهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوضَ إبِلِهِ قال : فَيَصْعَق ويُصْعق الناس ، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الظِّل أو الطَّل (الشك من الراوى) فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون . ثم يقال : أخرجوا بعث النار فيقال : مِنْ كَمْ ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق »(٢٠٨) .

---

(٢٠٧) **بالأصل : « تستحيون » ! خطأ تصحفت على الناسخ والله أعلم ، وصوابها « ألا تستجيبون » .**

(٢٠٨) **صحيح** أخرجه مسلم (١٨/٧٥ - ٧٧ - نووى)

● وقوله · (فى كبد الجبل) أى وسطه وكبد كل شىء وسطه * (وقوله) (خفة الطير وأحلام السباع) قال العلماء معناه · يكونون فى سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفى العدوان وظلم بعضهم بعضًا فى أخلاق السباع العادية * (أصغى ليتا ورفع ليتا) الليت بكسر اللام وآخره مثناة فوق وهى صفحة العنق وهى جانبه وأصغى أمال، -*- قوله (الطل أو الظل) قال العلماء : الأصح (الطلّ) بالمهملة وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمنى الرجال -*- قوله · (فذلك

يروى أن هذا المطر الذى تنبت منه الأجسام هو كمنى الرجال ، وقد أخبر تعالى إن إنشاء الأجسام مثل إخراج النبات من الأرض قال سبحانه : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ [فاطر /٩] أى كما ينبت نبات الأرض بالماء كذلك تنبت الأجساد بهذا الماء ، فبينا روحك فى البرزخ مع الأرواح ، وكل على عمله من فسادٍ أو صلاح ، إذ أمر الله عز وجل بها أن تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلألأ نوراً وأرواح الكافرين تسود ظلمة ، فيقبضها جميعاً فيجعلها فى الصور ثم ينفخ إسرافيل فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض .

٢٧٢- **يروى عن رسول الله** - ﷺ - قال : « يقول الله تعالى : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجسام فتدخل الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ »(٢٠٩) .

٢٧٣- **وذكر مسلم** عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما بين النفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون عاماً ؟ قال : أبيت قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت قالوا : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت . ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : وليس شيء من الإنسان إلا ويبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب وفيه يركب الخلق يوم القيامة »(٢١٠) .

٢٧٤- **وذكر أبو بكر بن أبى داود** فى كتاب البعث بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب

يوم يكشف عن ساق) قال العلماء معناه ومعنى ما فى القرآن الكريم يوم يكشف عن ساق : « يوم يكشف عن شدة وهول عظيم ا.هـ من شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم رحمهما الله .

(٢٠٩) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البيهقى فى « البعث والنشور » (ص ٣١٨) وسيأتى ضمن حديث لقيط بن عامر رقم ٢١٢ إن شاء الله

(٢١٠) **صحيح - متفق عليه** أخرجه البخارى (٦٨٩/٨) ومسلم (٩١/١٨) والبغوى فى شرح السنة (١٠٤/١٥) وابن حبان (٢٥٧٤).

الذنب قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تنشئون »[٢١١] .

٢٧٥- **وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة** بإسناده إلى لقيط بن عامر عن النبى - ﷺ - فى حديث طويل قال فيه : « ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر إلاهك ما تدع على ظهرها من شىء إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف فى الأرض وقد خلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء من عند العرش فلعمر إلاهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت الأرض عنه حتى يخلقه من قبل رأسه وذكر الحديث »[٢١٢] قوله : « فأصبح ربك يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد » : إنما هو تفهيم وتقريب إلى أن جميع من فى الأرض يموت وأن الأرض تبقى خالية ليس يبقى إلا الله وحده كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن / ٢٦ ، ٢٧] . وقوله : « والملائكة الذين مع ربك » فإنه جاء فى بعض التفاسير فى قوله تعالى : ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزمر / ٦٨] هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت

---

(٢١١) - **ضعيف** - أخرجه الحاكم (٦٠٩/٤) وصححه ووافقه الذهبى وأخرجه أحمد (٢٨/٣) وأبو يعلى (١٣٨٢) وابن حبان (٢٥٧٣) من طرق عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد. وهذا إسناد ضعّفه ابن معين وأبو داود وغيرهما ولكن للحديث شاهد من حديث أبى هريرة أخرجه مالك (٤٨/٢٣٩/١) ومسلم ٢٩٥٥) والنسائى (١١١/٤ ، ١١٢) وأبو داود (٤٧٤٣) وأحمد (٣٢٢/٢) وابن حبان (٢٥٧٤) من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعًا « كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يُركب » وأخرجه البخارى (٥٥١/٨ ، ٥٥٢) ومسلم وابن ماجة (٤٢٦٦) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بنحوه وللبخارى ومسلم فيه زيادة فى أوله ليست عند ابن ماجة. والله تعالى أعلم

(٢١٢) **حسن** « وهو عند الهيثمى فى « المجمع » (٣٤١/١٠ ، ٣٤٣) بطوله وعزاه لعبد الله الطبرانى بنحوه وأحد طريقى عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات والإسناد الآخر وإسناد الطبرانى مرسل عن عاصم ابن لقيط أن لقيطاً. الحديث. وأخرج البيهقى شيئًا قريبًا من هذا فى كتابه « البعث والنشور » (ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧) لم نتجشم نقله لأن فى سنده إنقطاعاً والله أعلم

ولا يبقى إلا الذى له البقاء والعزة والكبرياء والملك الذى لا يزول ولا يفنى تبارك وتعالى فينادى جل جلاله : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ [غافر / ١٦] فلا يجيبه مجيب ومن ذا يجيبه ولم يبق موجود إلا الواحد المعبود فيجيب نفسه فيقول سبحانه : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ [غافر / ١٦] ثم يمكث الناس فى البرزخ أربعين عاماً ثم يحيى الله عز وجل إسرافيل فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله عز وجل : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ [الزمر / ٦٨] قيام على أرجلهم ينظرون إلى ذلك الأمر العظيم والهول الجسيم .

واعلم رحمك الله أنك إن كنت ممن لا يشاهد هذه الصعقة العامة فلابد لك من أن تشاهد صعقة نفسك التى تخصك ولابد لك من إنشائك وتسويتك ورَدِّ رُوحِكَ إلى جسدك وإخراجك من الأرض التى خلقت منها كما قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [طه / ٥٥] .

وقال عز من قائل : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [يس / ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الرُّوم /٢٧].

وقال تبارك وتعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كَطَىِّ السِّجلِّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [الأنبياء / ١٠٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ [الواقعة / ٦٢] .

٢٧٦- **وذكر النسائى** عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : قال الله تبارك وتعالى : « كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبنى وشتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يشتمنى أما تكذيبه إياى فقوله أنى لا أعيده كما بدأته وليس

آخر الخلق [بأعَزّ] عليّ من أوله ، وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً . وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد »(٢١٣) . وقد أخرجه البخارى بمعناه والاعتبار الصحيح يشهد بصحة هذه النشأة الآخرة والقدرة متسعة لها ولكل ما شاءه الحكيم القدير تبارك وتعالى كما قال سبحانه : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ﴾ [الفرقان /٥٤] خلق سبحانه الماء من لا شىء وأخرجه من غير شىء ، أخرجه من عدم إلى وجود وكوّنه بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم خلق منه هذا الإنسان فجعله آية عجباً وعبرة ظاهرةً فى شكله وتخطيطه وحركاته وسكناته وما فيه من الحكمة وما أودعه من عجائب الصنعة مما يطول وصفه ويتسع شرحه فتبارك الله أحسن الخالقين . **وأنشدوا** :

أيا ابنَ آدم والآلاء سابغة ومؤنة الجود لا تنفك عن دِيَم .
هل أنت ذاكر ما أُوليتَ من حسن وشاكر كل ما خوّلتَ من نعم .
براك بارىء هذا الخلق من عدم بحت ولولاه لم تخرج من العدم
أنشأك من حمأ ولا حراك به فجئت منتصباً تمشى على قدم .
مكمّل الأدوات آيةً عجباً موفر الحظ من عقل ومن فهم .
ترى وتسمع كُلًّا قد حبيت به فضلاً وتنطق بالبيان والحكم .
هداك بالعلم سبل الصالحين له وكنت من غمرات الجهل فى ظُلَمِ .
ماذا عليك له من نعمة غمرت كل الجهات ولم تبرح ولم تدم .
غراء كالشمس قد ألقت أشعتها حتى تَبَصَّرَها عليك كلُّ عَمِ .
فاشكر ولست مطيقاً شكرها أبداً ولو جهدت فتبدد ربك والتزِم .
رزق وأمن وإيمان وعافية متى تقوم بشكر هذه النِعَمِ .

هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، إن ربك هو الخلاق العليم ، فمن آمن بهذا لم يضق صدرهُ عن الإيمان بالنشأة الثانية وكان منتظراً لها مشتغلاً

---

(٢١٣) **صحيح** – أخرجه البخارى (٧٣٩/٨ فتح) ومن طريقه أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (٨١/١) بعين السند والمتن وأخرجه النسائى (١١٢/٤) وأحمد (٣١٧/٢ ، ٣٥٠) وهو فى « المشكاة » برقم « ٢٠ ».

بالفكرة فيها وإنها لموضع الانتظار وموضع الاشتغال آناء الليل وآناء النهار لكن حب العاجل والاشتغال بالحاضر والنظر إلى هذا الخيال القائم صرف وجه القلب عن استعمال الحقيقة فى هذا الأمر ، وطمس أعينه عن النظر إليها ، وسد مجارى فكره عن التصرف فيها ، فلو اشتغل ونظر الإنسان وتفكر لأذهله ذلك عن الأهل والمال وشغله عن قيل وقال ، وصرفه عن لذة الحال والمآل ، ولكنه إن لم ينظر الآن فسينظر فى وقت لا ينفعه فيه النظر ولا ينقضى له به وطر ، وسيُقدِم فيعلم .

(١٠) باب فى انبعاث الناس من قبورهم وصفة الأرض التى يحشرون عليها وكيف يحشرون

وذكر أول من يشق عنه القبر يوم القيامة وما جاء أنهم يبعثون على نياتهم وما كانوا عليه .

٢٧٧- **كما ذكر مسلم بن الحجاج** من حديث أم سلمة زوج النبى - ﷺ - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله بعثاً فإذا كانوا ببيداء من الأرض [خُسِفَ] بهم . قلت : يا رسول الله فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته »(٢١٤) .

٢٧٨- **وعن** عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على أعمالهم »(٢١٥) .

٢٧٩- **وعن** جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى - ﷺ - يقول : « يبعث كل عبد [على] ما مات عليه ، وأول من يشق عنه القبر يوم القيامة نبينا محمد - ﷺ - »(٢١٦) .

---

(٢١٤) **صحيح** - أخرجه أحمد (٢٥٩/٦) و (٣١٦/٦ ، ٣١٧) وبلفظه أخرجه مسلم (٤/١٨ ، ٥) وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٤٢٩/٤).

(٢١٥) **صحيح** - أخرجه البخارى فى « الفتن » ومسلم فى « الجنة » وكذا البغوى (٤٠٠/١٤) والحديث فى صحيح الجامع برقم (٣٠٦) معزو للشيخين.

(٢١٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (٢١٨/١٧) و٢١٠ ، وأحمد (٣٣١/٣) بمثل ما عند مسلم وهو فى المشكاة برقم (٤٣٤٥) معزو إلى مسلم وبلفظه وكذا أورده ابن رجب الحنبلى فى « أهوال القبور » (١٦) وزاد . « المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه وكذا زاد الديلمى (٨٧٧٩) « المؤمن على إيمانه والكافر على كفره » وهو فى صحيح الجامع برقم (٧٨٧٢).

٢٨٠- كما ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من يشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع - ﷺ - »(٢١٧) .

٢٨١- وذكر البخارى عن أبى هريرة عن النبى - عليه السلام - قال : « إنى من أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدرى أكذلك كان أم بعد النفخة »(٢١٨) .

٢٨٢- ويروى « فأكون أول من يفيق » وهو الأكثر(٢١٩) .

٢٨٣- وقال البخارى أيضاً فى بعض ألفاظ هذا الحديث : « فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور »(٢٢٠) لم يكن عنده عليه السلام علم حتى يعلمه الله عز وجل فقد أخبر - ﷺ - « أنه أول من ينشق عنه القبر » وهو حديث صحيح مشهور .

---

(٢١٧) **صحيح** « أخرجه مسلم بهذا اللفظ فى حديث أبى هريرة (١٥/٣٧) وأبو داود (٤٦٧٣) والبيهقى (٩/٤) والترمذى (٣٦١٠) وابن ماجة (٤٣٠٨) والدارمى فى « المقدمة » (٢٦ - ٢٧ - ٢٨) راجع « المجمع » (٨/٢٥٧ ، ٢٥٨) قال الهيثمى : وأورد الحديث عن عبدالله ابن سلام مرفوعًا بنحو ما عند ابن ماجة وعزاه لأبى يعلى والطبرانى وقال : وفيه عمرو بن عثمان الكلابى وثقه ابن حبان على ضعفه وبقية رجاله ثقات .

(٢١٨) **صحيح** - أخرجه البخارى (٥/٧٠) فى « الخصومات » من صحيحه من وجهين عن أبى هريرة وأبى سعيد وفى « الرقاق » وفى « التفسير » (س) · «٣٩» وأخرجه مسلم (١٥/١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠) بإسناد البخارى ولفظه سواء ، وأخرج الحديثين أيضًا أبو داود (٤٦٦٨) ، (٤٦٧١) وكذلك أخرجه أحمد (٣/٤٠ ، ٤١) و (٢/٢٦٤) وابن حبان فى صحيحه (٨/٤٥) والبغوى فى « شرح السنة » (١٣/٢٠٤) والديلمى فى الفردوس برقم (٧٣١٩) .

(٢١٩) **قوله ويروى فأكون أول من يفيق وهو قول الأكثر ا.هـ**
قلت : **هذا صحيح** وهو وإن كان صوابًا إلا أن العبرة عند أهل الحديث ليست باللفظ إلى قول الأكثر (!) ولكن بالنظر إلى ما صح (!) والله أعلم .

(٢٢٠) **قوله . وقال البخارى إلخ... صحيح**
قلت : نعم هذه رواية أبى سعيد الخدرى - عنده - أخرجها فى « الخصومات » من صحيحه (٥/٧٠) من طريق وهيب حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : فذكره مرفوعًا .

اعلم رحمك الله أنه إن لم تشق سمعك النفخة الأولى فى الصور لهلاك هذا المعمور ، فلابد أن تشق سمعك النفخة الثانية لبعثرة القبور ، وقيام الخلائق ليوم النشور ، وتحصيل ما فى الصدور . ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يَرَهُ ﴾ [سورة : الزلزلة] . ﴿ إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بساً . فكانت هباء منبثاً ﴾ [الواقعة / ١ - ٦] ﴿ فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهى يومئذ واهية . والمَلَك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [الحاقة / ١٣-١٨] . ﴿ إذا الشمس كُوِّرت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سُيِّرت . وإذا العشار عُطِّلت . وإذا الوحوش حشرت ﴾ [التكوير / ١-٥] .

فناهيك من صيحة يقوم لها الأموات ويحيا بها العظام الرفات ، وحسبك من هدّة تنهد لها الجبال وتعود كالكثيب المهيل من الرمال ، كما قال عز من قائل : ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا ﴾ [المزَّمِّل / ١٤] ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ [القارعة / ٤ ، ٥] ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدِّهان ﴾.[الرّحمن / ٣٧] هذا وأهوال لابد لك من مكابدتها وأحوال لابد لك من مشاهدتها ، يخرج سهمك فيها بما خرج ويلج بك سعيك منها فيما يلج ، فإما بنزول فى درك وإما بارتقاء فى درج ، وقد صح هذا عندك فماذا أعددت له وثبتَ فى نفسك فماذا تستقبله ؟ وماذا تقوله ؟ أو ماذا تفعله ؟ لطال ما دعاك الداعى فتصاممت ونصحك النصيح فتعاميت وذكرك المذكر فتناسيت ، فقد وقفت على العيان مما كان عرضه عليك بالأمس البرهان وجاءك به الرسول وخاطبك به القرآن ، فهل من رجعةٍ أو سبيل اليوم إلى استماعك تلك الدعوة ؟! هيهات طمعت فى غير مطمع وسمعت مالا يسمع ، إن كنت تريد أن تعود إلى الدنيا أو ترجع فتفكر الآن فى نفسك وكونك فى قبرك إذ سمعت انشقاق الأرض

من فوقك ووقع ذلك الصوت الهائل فى سمعك ، صوت تنصدع له الأكباد لو أُذِن لها فى الانصداع وتنقطع له القلوب لو أُذِن لها فى الانقطاع قال تعالى : ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ [ق / ٤١ ، ٤٢] .

٢٨٤- **وفى الخبر** أن هذا الاجتماع يكون بالشام .

٢٨٥- **ذكر أبو بكر البزار** فى مسنده من حديث أبى ذر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الشام أرض المحشر والمنشر »(٢٢١) .

٢٨٦- **يروى أن المنادى** ينادى على صخرةٍ ببيت المقدس : « أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء » . وهذا النداء خلاف الصيحة العظماء ، فتفكر وأطل فكرك فى عظم تلك الصيحة وشدة تلك النفخة ، وتخيل قيام الناس وثورانهم من قبورهم دفعة واحدة وانبعاثهم بمرة واحدة ، وأنت بينهم وفى جملتهم منكسفًا وجهك متغيراً لونك مغبراً بدنك ، قد ملأ قلبك ذلك الفزع وقصم ظهرك ذلك المستمع وأنت حيران عطشان سكران ، شاخص البصر نحو النداء مستمعاً إلى ذلك الدعاء ولو وجدت مطاراً لطرت ومفراً لفررت ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ [القيامة /١١ - ١٣] ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأىِّ آلاءِ ربِّكما تكذبان ﴾ [الرحمن / ٣٣ ، ٣٤]

وأنشدوا :

نادِ القوم بيوم التنادِ وأعِدْ فيهم حديثَ المعادِ .
فالحديث اليوم فى غير هذا مُحْدِثٌ فى الغدِ صدعَ الفؤادِ .
وخُلُو القلبِ عن ذكرِ يومٍ ذِكْره أذهب طِيبَ الرُّقاد .
غَبْنٌ فى الرأى للعقل بادٍ ومن الغبن خَفِىٌّ وبادِ .
ولأمرٍ ما بكاه رجال فى الدياجى كبكاء العهاد .

---

(٢٢١) **صحيح** - وهو فى « صحيح الجامع » برقم (٣٦٢٠) وعزاه لأبى الحسن ابن شجاع الربعى من « فضائل الشام » عن أبى ذر .

أتى يومٌ ضاق عن حالتيه وصفُ وصّافٍ بليغٍ وشاد .
مشهد تُبصَرُ فيه وجوهٌ ووجوهٌ طُلِيَتْ بالحداد .
يَجعل الولدان شيبًا ويرمى بالجبال الشمِّ وسط الوِهاد .
وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى غير سُكْرِ التناد .
فَرِّغَ الدارَ وما دارَ فيها من تليدٍ كان أو من تِلَادِ .
واقطعِ الأرض على ظهر طود نازلًا منه إلى بطن [واد] .
طالباً كهفَ نجاة لتنجو رائحاً نيل ذاكم وغاد .
وأقرع النار بجنبتى مروع جانب الأمن ولين المهاد .
رام أمراً فنتته أمورٌ وعدَتْهُ عن هواها عواد .
نطوى كشحا على حرمات نشرتْ شعلتّها فى البلاد .
وأفضى دمعةَ باكٍ حزين مُزجت دمعته بالجساد .
وإذا ما ازداد ذكراً لذنب بات من كربته فى ازدياد .
وقليل كل هذا قليل لأمور بين أيدى العباد .
وكروب عندما أنت فيه كالبحار السبع عند الثماد .
فاجهد النفس وجاهد هواها فمراد الحق ترك المواد .

٢٨٧- **ويروى عن الأوزاعى** عن بلال بن سعد أنه قال : « إن للناس جولة يوم القيامة وهو قوله تعالى : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ [القيامة / ١٠] وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ [سبأ / ٥١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنى أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ﴾ [غافر / ٣٢ ، ٣٣] وقيل فى قوله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلبُ فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور / ٣٧] أما تَقَلُّبُ القلوبِ فانتزاعها من أماكنها فتغَصُّ بها الحناجر فلا هى تخرج ولا هى ترجع إلى مواضعها قال عز وجل : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين . ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ [غافر / ١٨ ، ١٩] .

وأما تقلب الأبصار فمن الكحل إلى الزرق ومن البصر إلى العمى قال تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ [طه / ١٠٢] قال عز وجل :

﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ [الإسراء / ٩٧] .

فتفكر فى بهتتك وحيرتك ، وأنكادك وذلتك ، وافتقارك وقلتك ، يوم لا تجد إلا عملك الذى عملت ، وسعيك الذى سعيت ، قال تعالى : ﴿ يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه ﴾ [آل عمران / ٣٠] .

وأنشد بعضهم من قصيدة :

واذكر رقادك فى الثرى فى قعر مظلمةٍ بهيم .
قد نجيت قائماً بالحلى واستبدلت تلك الرسوم .
واعتضت من حلل الغنى وحلاة خلقان العديم .
وتُركتَ وحدك مفرداً لا أهل فيه ولا حميم .
حزان تفرغ للبكا لهفان تأتسٍ بالعموم .
حتى يُنادَى بالورى فتقوم أسرع ما تقوم .
عريان مصطلى الحشا هيمان مجتمع الهموم .
والناسِ قد رجعت بهم حرب مثالكم عقيم .
فى مأزق تهفو به لفحات نيران السموم .
وبدت هناك سرائر قد كنت قبل كتوم .
ورأيت فى محصولها ما شئت من خسر وشوم .
إنْ لم يَجُد بالعفو من يعفو عن الذنب العظيم .

واعلم أنه كلما عظم قدر رجل فى الدنيا صغر هناك وكلما كثر جاهه فى الدنيا قل هناك ، إلا من كان فى الدنيا شعاره التقوى وطريقه المثلى ، وكل ما تراه أو تسمع به من ملك جبار أو عزيز قهار [عذب] الأجساد وأكثر الإمداد ودوّخ البلاد وأذَلّ العباد فهو فى ذلك اليوم كالذرة فى الرُّغام تطؤه الأقدام ويمحقه ذلك الزحام **كما قال القائل :**

ألم تسمع عن النبأ العظيم وعن خطب خُلِقتَ له جسيم .
وزلزال يهدُّ الأرض هدًّا ويرمى فى الحضيضة بالهوام .

وأهوالٍ كأطوادٍ رواسٍ تُلاطِمُ فى ضلوعٍ كالهشيم .
فمِنْ رأسٍ يشيبُ ومن فؤاد يذوب ومن هموم فى هموم .
وسكران ولم يشرب حُمَيًّا وهيمان ولم يعلق فى بيعم .
ومن صفة قد أذهلها أساها فلم تدر الرضيع من الفطيم .
ومُؤتِمةٍ تولت عن بنيها وألقت باليتيمة واليتيم .
وحُبلى أسقطت ذعراً وخوفاً لهيالله لليوم العقيم .
وما كسرى وقيصر والنجاشى وتبع والقرون بنو النودم .
بذاك اليوم إلا فى مقام أذل من التراب لدى السليم .
وما للمرء إلا سقاه لدار البؤس أو دار الهشيم .
وأنت كما علمت ورب أمر يكون أداه أوقع بالعليم .
فرغ عينيك تسبح فى معين وقلبك ذره يقلب فى جحيم .
وشق جيوب صبرك شق ثكلى تعلقت ابنها رجلا شهوم .
وماذا الأمر ذلكم ولكن تشبه بالبحار يد الكريم .

٢٨٨- **وذكر مسلم بن الحجاج** من حديث ابن عباس قال : « قام فينا رسول الله - ﷺ - بموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق [يُكْسَى] يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابى فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فيقال : إنهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم » (٢٢٢) .

٢٨٩- **وروى شهر بن حوشب** عن ابن عباس قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ثم ينقاض أهل السماء الدنيا على الأرض فأهل السماء الدنيا

---

(٢٢٢) **صحيح** - أخرجه البخارى (٣٨٦/٦) ومسلم (١٩٣/١٧ ، ١٩٤) والترمذى (٢٤٢٣) وقال حديث حسن صحيح والنسائى (١١٤/٤ - ١١٧) وابن حبان فى « صحيحه » (٢١١/٩ - ٢١٢) والمنذرى فى الترغيب (١٩٢/٤) .

وحدهم أكثر من جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم ويقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : سبحانه ليس فينا ثم ينقاض أهل السماء الثانية فينتشرون على وجه الأرضي فأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : ليس فينا وهو آتٍ ثم ينقاض أهل السموات سماءً سماءً كلما انقاضت سماء انتشر أهلها على وجه الأرض فيكونون أكثر من أهل السموات التى تحتهم وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف ويفزع إليهم أهل الأرض فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : سبحانه ليس فينا وهو آتٍ ثم يتقاض أهل السماء السابعة فينتشر أهلها على وجه الأرض فهم وحدهم أكثر من أهل السماوات ومن جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف وينزل الله تبارك وتعالى فى ظُلَل من الغمام والملائكة .

فتفكر فى هذا المشهد العظيم واليوم العقيم يوم يُجمع فيه هذا الخلق كلهم من الملائكة ومن بنى آدم من لدن آدم - ﷺ - إلى آخر الدنيا فتفكر فى أى أرض تسعهم أو أى مكان يحملهم فكيف وينضاف إليهم جميع الوحوش النادرة والهوام الشاردة إلى غير ذلك من المخلوقات التى ضمها ذلك الموعد وحشرها ذلك المشهد فتفكر الآن فيهم كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محمول قد مدت ظلال الرحمة عليه وجمعت الأمانى فى يديه وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول ما بين يديه »[٢٢٣] .

٢٩٠- **كما ورد الحديث** عن النبى - ﷺ - قال : « إنكم محشورون إلى الله عز وجل رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم » ويروى « ويجرون على وجوههم حتى يقومون على أرض بيضاء قاع صفصف مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ولا ربوة يستتر بها ولا وهدة يختفى فيها بل هو صعيد واحد

---

(٢٢٣) **هذا يروى موقوفاً على ابن عباس -رضى الله عنهما- فهو فى « زوائد الرهد » برقم (٣٥٣ - ٣٧٥)** وفى « المطالب العالية » (٤٦٢٩) وعراه للحارث وقال · موقوف إسناده حسن ا هأحرجه نعيم بن حماد فى « زوائد الرهد » عن ابن المبارك برقم (٣٥٣) وأبو نعيم فى « الحلية » (٦٢/٦) والطبرى (١٠٢/٣٠) ا هـ (أعظمى) .

ليس فيــــه شيء قائم ولا علـــــم مرتفـــــع »(٢٢٤) .

قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً . فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ [طه / ١٠٥ - ١٠٧] .

وقال - ﷺ - : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء [كقرصة النّقى] ليس فيها عَلَمٌ [لِأَحَدٍ] »(٢٢٥) .

وقال - ﷺ - : « يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر يريد أرضاً مستوية لا جبل فيها ولا أكنة ولا ربوة ولا وهدة أرض بيضاء نقية لم يسقط عليها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها محرم »(٢٦٦) .

قال تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ [إبراهيم / ٤٨] .

٢٩١- **وفى حديث** ثوبان أن النبى - ﷺ - : « سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : هم فى الظلمة دون الجسر والجسر هو الصراط »(٢٢٧) .

---

(٢٢٤) **صحيح** : أخرجه الترمذى (٣١٤٣) وأحمد (٣/٥ ، ٥) والحاكم (٥٦٤/٤) من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا والنسائى (١١٦/٤ - ١١٧) والحاكم (٣٦٧/٢) و (٥٦٤/٤) من طريق الوليد بن جميع قال حدثنا أبو الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبى ذر أن الصادق المصدوق - ﷺ - حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج.. الحديث انظر « علل الحديث » (٢١٣٧/٢١٦/٢).

(٢٢٥) **صحيح** - متفق عليه من حديث سهل بن سعد -رضى الله عنه- أخرجه البخارى (٣٧٢/١١ فتح) ومسلم (١٣٤/١٧) والبغوى فى « شرح السنة » (١١٢/١٥).

● قوله . كقرصة النقى : يعنى المنقى من القشر والنخالة.

● وقوله ليس فيها معلم لأحد : المعلم ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدد يريد أن تلك الأرض مستوية ليس فيها حدب يرد البصر ولا بناء يستر ما وراءه اهـ من « شرح السنة » للإمام البغوى رحمه الله والحديث أورده الديلمى فى الفردوس (٨٧٨٤) عن سهل -رضى الله عنه-.

(٢٢٦) **قوله . وقال رسول الله** -ﷺ- : يجمع الله الأولين .. الحديث **صحيح** - وهو حديث أنس الطويل فى « الشفاعة » وكذا حديث أبى هريرة وغيرهم رضى الله عن جميع الأصحاب وقد أخرجه مسلم (٨٥/٣) وغيره.

(٢٢٧) **قوله - وفى الحديث ثوبان .. إلخ - صحيح** وهذا - إنما نعلمه فيما أذكر الساعة - عن مسروق عن

٢٩٢- **وفى حديث عائشة** عن النبى - ﷺ - : « أنهم على الصراط »(٢٢٨) ذكر الحديثين مسلم بن الحجاج .

فتفكر فى هذا المجتمع وهذا الهول الأشنع والخطب الأفظع الأبشع وفيمن يحضره ويشهده ويعاينه ، وتَبَصَّره ، وكيف يقومون على أقدامهم ويشخصون بأبصارهم وأنت معهم فى ضيق مقام وطول قيام قد جُمِعوا جمع الدراهم فى الصرة المشدودة والنبل فى الكنانة المشحوبة ، وقد انشقت السماء فوقهم ودانت عليهم وسالت على رؤسهم فطاشت الألباب وذهلت الأوهام وتحيرت العقول وتجلجلت الألسن فلم يدر قائل ما يقول ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا وضعفت الحركات فلا تسمع للأقدام إلا حبيا ، فيالك من هول تنهد منه الجبال فكيف الرجال ؟! ويالك من خطب تنشق منه السماء فكيف للأحشاء ؟!

فتفكر فيما يشق سمعك من ذلك وما يخلع قلبك من الروع الذى هنالك ، وكيف بك إذا رأيت الشمس قد كورت فذهب ضوؤها والنجوم قد طمست فأمحى نورها ، وزالت عن مواضعها وفقدت فى مطالعها وانتثرت على من تحتها وعلى من كان سمتها واشتبك الناس بعضهم فى بعض وتداخل الخلق بعضهم فى بعض فصاروا كالفراش المبثوث وقامت الملائكة على أرجاء السماء وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء والناس عراة حفاة غرل كما خُلقوا ، فيالك من يوم تختلط فيه الرجال مع النساء وقد أمنوا من أن ينظر بعضهم إلى بعض أو يحس بعضهم ببعض !!

٢٩٣- **ذكر مسلم بن الحجاج** من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً . قلت : يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟!

= عائشة - رضى الله عنها - قالت . سألت رسول الله - ﷺ - عن قوله عزّ وجلّ ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : « على الصراط » أخرجه مسلم (١٣٤/١٧ - نووى) وغيره. والله تعالى أعلم.

(٢٢٨) هو فى الذى قبله والله تعالى أعلم

قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض »[٢٢٩] .

٢٩٤- **وذكر النسائى** من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « تحشرون حفاة عراة غرلاً قالت له زوجته : أينظر - أو يرى - بعضنا عورة بعض ؟ فقال : يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يعنيه »[٢٣٠] . فيالك من هول ما أعظمه ومن كرب ما أشده ومن خطب ما أبشعه ، وإياك أن تستبطىء هذا اليوم وأن تستبعده فما سيرك إليه ببطىء ولا هو منك ببعيد وإن طال المدى وامتدت الغاية فكلُّ آتٍ قريب ، وكل ما يكون سيكون قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ [يونس / ٤٥] وقال سبحانه : ﴿ كم لبثتم فى الأرض عدد سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾ [المؤمنون / ١١٢ ، ١١٣] .
وقال تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا] [طه / ١٠٢ ، ١٠٣] أى يقول ذلك بعضهم لبعض سراً . فيقول أعدلهم عندهم قولاً وأرجحهم عقلاً : إن لبثتم إلا يوماً . أى ما لبثتم فى القبور إلا يوماً واحداً . قال تبارك وتعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴾ [طه / ١٠٤] .

٢٩٥- **يروى عن مجاهد** أنه قال : « للكفار هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها النوم فإذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ فيقول لهم المؤمنون : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . فيخرج الخلائق مذعورين خائفين وجلين وإذا المنادى ينادى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [الزخرف / ٦٨] فيطمع فى هذا النداء المؤمنون والكافرون فينادى

---

(٢٢٩) **صحيح** : أخرجه البخارى (١١/٣٧٧ ، ٣٧٨ فتح) ومسلم (٢٨٥٨) والسائى (٤/١١٤ ، ١١٥) وابن ماجة ٤٢٧٦ وأحمد (٦/٥٣) من طرق عن عبدالله بن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة مرفوعًا به .

(٢٣٠) **صحيح - أخرجه البخارى** (٦/٣٨٦ - ٣٨٧ و٤٧٨ و٨/٢٨٦ و٤٣٧ و٤٣٨ و١١/٣٧٧ فتح) ومسلم (٢٨٦٠) والنسائى (٤/١١٤ و١١٧) والترمذى (٢٤٢٣) والدارمى (٢/٢٣٣ ، ٢٣٤) وأحمد (١/٢٢٣ - ٢٣٥ - ٢٥٣) والطيالسى (٢٦٣٨) من طرق عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مختصرًا ومطولاً .

المنادى : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ [الزخرف / ٦٩] ذلك يوم يجعل الولدان شيبا ولا يرى فيه إلا حزيناً كئيباً يوم تشقق السماء كأنها السحاب وتسير الجبال كأنها السراب » .

واعلم أن الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف ركباناً ومشاة وعلى وجوههم كما تقدم ، قال تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ [مريم / ٨٥ ، ٨٦] والوفد فى اللغة : القوم المكرمون يفدون من بلدهم فى جماعتهم إلى ملكهم فينزلهم ويكرمهم ، والورد : العطاش يساقون كما تساق الإبل وغيرها من الأنعام تسوقهم الملائكة بسياط النار إلى النار وقوم يمشون على وجوههم .

٢٩٦- **ذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة ، وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك »(٢٣١) .

٢٩٧- **وذكر مسلم بن الحجاج** من حديث قتادة عن أنس بن مالك : « أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ »(٢٣٢) . قال قتادة : بلى وعزة ربنا .

قال أبو حامد - وذكر هذا الفصل : وفى طبع الآدمى إنكار كل ما لم يأنس به ولم يشاهده ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر المشى من غير رجل ، والمشى بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم

---

(٢٣١) **صحيح** - أخرجه البخارى (٤٩٢/٨) ومن طريقه أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٢٦/١٥) والترمذى (٣١٤٢) وابن حبان فى صحيحه (٢١٢/٩) وعزاه المنذرى فى الترغيب (١٩٣/٤ - ١٩٤) للشيخين .

(٢٣٢) **صحيح** وهو فى باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة من كتاب صفة القيامة والجنة والنار أخرجه مسلم فى صحيحه (١٤٩/١٧ نووى) .

تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر - رحمك الله - فى قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء .

حديث لقيط بن عامر

٢٩٨- **ذكر أبو بكر** بن أبى خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العقيلى قال : « خرجت أنا وصاحب لى حتى قدمنا على رسول الله - ﷺ - المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله - ﷺ - حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيباً فقال أيها الناس ألا إنى أخبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم اليوم ألا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله - ﷺ - ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إنى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا . فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده رأسه وزعم أنى ابتغى ليسقطه فقال ضن ربك بخمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده قلت وما هن يا رسول الله ؟ قال علم المنية وقد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم المنى متى يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمونه ، وعلم ما فى غدٍ قد علم ما أنت طاعم غداً ولا نعلمه ، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب » قال لقيط : لم نُعدم من رب يضحك خيراً - « قال : وعلم الساعة قلت : يا رسول الله علمنا إنى سائلك عن حاجتى فلا تعجلنى قال : سل عما شئت قلت : يا رسول الله علمنا ما تعلم الناس وما تعلم قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعت الصيحة فلعُمر إلاهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء بهصب من عند العرش ، فلعمر إلاهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت

إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه حتى يستوى جالساً يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول : يا رب أمتى أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله . فقلت : يا رسول الله وكيف تجمعنا بعدما تمزقتنا الرياح والبلى والسباع ؟ قال : أنبئكم بمثل ذلك الأرض أشرفت عليها وهى مدرة بالية فقلت : لا تحيا أبداً . ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عنها إلا أياماً . حتى أشرف عليها فإذا هى شربة واحدة ، فلعمر إلاهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنظرون إليه ساعة وينظر إليكم قال : قلت : فكيف يا رسول الله ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبئكم بمثل دلك فى آى الله الشمس والقمر آية صغيرة ترونها ساعة واحدة وترونه منهما أو تروهما ويريانكم ولا تضامون فى رؤيتهما . قلت : يا رسول الله فماذا يفعل بنا ربنا إذا ألقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فلعمر إلهك ما تخطىء وجه واحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتطحمه مثل الحميم الأسود الاثم ، ثم ينصرف نبيكم ويفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول : حس معنا يقول ربك أو انه ألا فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا رفع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً قال : قلت : يا رسول الله فيما نبصر ؟ قال : بمثل ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم اسفرته الأرض وواجهته الجبال قال : قلت : يا رسول الله فيما نجزى من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يغفر الله. قلت : يا رسول الله إما الجنة وإما النار قال : لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً قال : قلت : يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار كأس ما بها صداع ولا ندامة

وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وتفاكيه لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله إن لنا فيها أزواجاً كم منهن مصلحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد وذكر باقى الحديث »(٢٣٣) .

---

(٢٣٣) حسن وقد تقدم الكلام عليه راجع « المجمع » (١٠/٣٤١ ، ٣٤٣)

(١٣) باب دنو الشمس من الناس يوم القيامة

٢٩٩- **ذكر مسلم** من حديث المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل »[٢٣٤] قال سليم بن عامر : فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكحل به العين قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله - ﷺ - بيده إلى فيه »[٢٣٥] .

٣٠٠- **وعن أبى أمامة** عن النبى - ﷺ - وفى هذا الحديث قال : « تدنى الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فيها كذا وكذا تقلى منها الهوام كما تغلى القدور على الأثافى »[٢٣٦] ذكره قاسم بن أصبغ[٢٣٧] .

٣٠١- **وذكر مسلم** من حديث ابن عمر عن النبى - ﷺ - : « يوم يقوم الناس

---

(٢٣٤) - **صحيح** - وسليم بن عامر هو راوى الحديث عن المقداد -رضى الله عنه- وهو الكلاعى الخبائرى أبو يحيى الحمصى. روى عنه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والأربعة وقد وثقه الناس واحتملوا حديثه. والحديث أخرجه مسلم فى « صحيحه » والترمذى (٢٤٢١) وقال حسن صحيح وأحمد من هذا الوجه من طريق ابن المبارك وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٢٨/١٥ - ١٢٩).

(٢٣٦) (**الأثافى**) **جمع « إثفية » : حجارة القدر.**

(٢٣٧) **قوله : عن أبى أمامة عن النبى -ﷺ- .. الحديث**
حسن - أخرجه أحمد والطبرانى كما فى « المجمع » (٣٣٨/١٠) وقال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبدالرحمن وقد وثقه غير واحد ا.هـ.

لرب العالمين » قال : يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه »(٢٣٨) .

٣٠٢- **وذكر مسلم** عن أبى هريرة فى هذا الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن العرق ليذهب يوم القيامة فى الأرض سبعين باعاً - ويروى عاماً - وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم »(٢٣٩) .

٣٠٣- **وروى عن أنس** أنه قال : « لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت ، ثم إن الموت لأهون عليه مما بعده إنهم ليلقون من هول ذلك اليوم وشدته حتى يلجمهم العرق حتى لو أرسلت فيه السفن لجرت » .

٣٠٤- **وذكر أبو بكر البزار** فى مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - : « إن العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يا رب [إرسالك بى] إلى النار أهون على مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب »(٢٤٠) .

ثم تفكر فى ذلك الازدحام ولانضمام والاتساق والالتصاق واجتماع الإنس والجان ومن يجمع من سائر أصناف الحيوان وانصفافهم وتدافعهم واختلاطهم ، ولا فرار ولا انتصار ولا ملاذ ولا انتقاذ ، وقربت الشمس منهم قبل تكويرها وكانت كمقدار ميل وزيد فى حرها وضوعف وهجها ، ولا ظل إلا ظل عرش ربك بما قدمته من كسبك ، وقد انضاف إلى حر الشمس حر الأنفاس لتزاحم الناس ، واحتراق القلوب لما غشيتها من الكروب ، واشتد الغرق وعظم القلق وسال من الأجسام العرق وانبعث من كل موضع من الجسد وانبثق ، وكان الناس فيه على قدر أعمالهم ، كما تقدم .

---

(٢٣٨) - صحيح - أخرجه البخارى (٨/٦٩٦) ومسلم وأحمد (٢/١١٢) والديلمى فى الفردوس برقم (٨٩٨٤)

(٢٣٩) - صحيح - أخرجه البخارى (١١/٣٩٢) ومسلم (١٧/١٩٦) والبغوى (١٥/٤٨) وعزاه المنذرى فى الترغيب (٤/١٩٤) للشيخين .

(٢٤٠) صحيح - وهو عند الطبرانى فى « الكبير » كما فى « الترغيب » (٤/١٩٧) وقال إسناده جيد وأبو يعلى ومن طريقه ابن حبان (٩/٢١٦) إلا أنهما قالا إن الكافر ...، ورواه البزار والحاكم (٤/٥٧٧) من حديث الفضل بن عيسى وهو واه - عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعًا به ووقع عند الحاكم « العار » بدل « العرق »

فتفكر فى نفسك أيها المسكين وقد ضاق نفسك وزاد قلقك وسال عرقك وجرى من جميع بدنك من قدقك إلى قدمك ، ووصل منك إلى حيث أوصلته بعملك ، إما إلى كعبك أو صاعداً حتى أذنك ، فانظر إلى هذا الحال وتفكر فى هذا الوبال وهو هذا المآل ، واعلم أنه لو سال عرقك فى الدنيا طول عمرك وأضعاف عمرك فى طاعة ربك وفى التعب فى رضى سيدك على أن لا تغرق فى ذلك اليوم لكان ذلك يسيراً ولكنت به جديراً ولكانت سلامتك منه غنماً كثيراً وفوزاً كبيراً .

وأنشدوا :

قَدِّم لنـــفسك نزلًا وارفـــع لرأسك ظلا .
فى يوم تضحى البرايـا فى شمسه تتقـــلا .
فمـــن جسوم نضلا ومـــن رؤس تفـــلا .
ولا ملاذ هنـــاكم إلا سرائـــر تبـــلا .
وكل ما كان مخفىً هنـــاك للخلـــق يجلا .
فمـــن دمٍ فى دمـــوع تهل فى الخدِّ هَلّا .
ومن جوى فى ضلوعٍ قد حل منها المحلا .
فيـــا أخـــى والمنايـــا تثـــل عرشك ثلا .
وهـــذه مفزعـــات تلفـــاك قولًا وفعـــلا .
وإنـــه الأمـــر جدٌّ ولـــيس يا صاح هزلا .
فاعمـل له فى تراخ للعمـر من قبـــل ألا .
وقـد نصحتك فاقبـل هديـــة نصحـــى وإلا .

(١٤) طول يوم القيامة :

اعلم – رحمك الله – أن يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الأيام ، بل هو آلاف من الأعوام ينصرف فيه هذا الأنام على الوجوه والأقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الأحكام ، وليس يكون خلاصهم دفعة واحدة ولا فراغهم فى مرة واحدة ، بل يتخلصون ويفزعون شيئاً بعد شيء كما تقدم لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم ، وليس أيضاً هذا اليوم مثل أيام الدنيا التى تكون على حكم دوران الفلك إذا ذهب الليل جاء النهار

وإذا ذهب النهار جاء الليل ، حكمة الله التى حيرت العقول وأكلت الأبصار وأخرست الألسن ، ليس هنالك ليل ولا نهار ، إنما هو وقت واحد وهو الذى يسمى يوما إنما هو مقدار من ذلك الوقت يطوله الله عز وجل ما شاء ويقصر إن شاء ويسمى ما شاء بما شاء .

٣٠٥- **ذكر مسلم** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقراً وفرسا كانت لا يقصد منها فصيلاً واحداً تطوى بأجفانها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يقفد منها شيئاً ليس فيها عفصاء ولا حلجاء ولا عصباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأضلاعها كلما مر عليها أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »(٢٤١) كذا روى « وإنما هو كلما مر عليه أخراها رد عليه أولاها »(٢٤٢) .

---

(٢٤١) **صحيح** - أخرجه مسلم من طريق حفص يعنى ابن ميسرة الصنعانى عن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول فذكره مرفوعًا (٧/٦٤ نووى)

(٢٤٢) **قوله : كذا روى ، وإنما هو (كلما مرّ عليه أخراها رُدّ عليه أولاها)** قلت . كلا الروايتين مثبت فى مسلم وهذا التعقيب الذى عقب به المصنف رحمه الله وغفر لنا وله هو إحدى روايات مسلم فى نفس الباب (٧/٧٤) والترمذى (٣/١ عبدالباقى) وأبو داود (٢/١٢٤) والنسائى (٥/١٠ ، ١١) من حديث أبى ذر - رضى الله عنه - وابن حبان فى « صحيحه » وأخرج أيضًا حديث أبى هريرة (١٢/١٣) وابن حزم فى « المحلى » (٦/٨ شاكر) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/٤٧٦ - ٤٨٢)

٣٠٦- **قال الحسن البصرى** - رحمه الله - : « ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انُصِرف بهم إلى النار فسقوا منعين آنية فذاق حرها واشتد نضجها » .

واعلم أن هذا اليوم يتلون ألوانا وتستحيل حال الناس فيه أحوالاً فيبعثون فيه من قبورهم ويساقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء فيهم ويقفون ماشاء الله أن يقفوا شاخصة أبصارهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم وهول ما نزل بهم ثم يموج بعضهم فى بعض ويدخل بعضهم فى بعض ويمشون من نبى إلى نبى يطلبون الشفاعة فى الاستعجال والانفصال والتخلص من تلك الأهوال والأنكال ، وليس كل الناس يكلم الأنبياء وليس كل الناس يمشى إليهم ، ومن الناس من يكون بمنزلة الرغام تطؤه الأقدام فى ذلك الزحام وضيق ذلك المقام ، ويأتى فى هذا اليوم وقت منه يتكلم فيه المشركون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ، ويأتى منه عليهم وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، وفيه تكون المحاسبة والمناقشة وفيه يتعلق الناس بعضهم من بعض ويطلب بعضهم بعضاً ويخاصم بعضهم بعضاً فمن الناس من يطول مقامه إلى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم فى مقدار يوم من أيام الدنيا أو فى ساعة من ساعاته أو فى أقل من ذلك أو فيما شاء الله من ذلك ويكون رائحاً فى ظل كسبه وعرش ربه ، ومنهم من يؤمر به إلى الجنة ولا عذاب ، كما أن منهم من يؤمر به إلى النار فى أول الأمر من غير وقوف ولا انتظار ، أو بعد يسير من ذلك النهار .

وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نزل كل إنسان بداره واستقر فى قراره من جنته أو ناره .

قال القاضى عياض رحمه الله · فى قوله « كلما مرّ عليه أولاها رُدّ عليه أخراها » المثبتة عند مسلم قالوا هو تغير وتصحيف . وصوابه ما جاء بعده فى الحديث الآخر من رواية سهيل عن أبيه وما جاء فى حديث المعرور بن سويد عن أبى ذر (كلما مرّ عليه أخراها رد عليه أولاها) وبهذا ينتظم الكلام) اهـ من شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم رحمهما الله

فتفكر أيها الإنسان فى طول ذلك اليوم وفى طول ذلك القيام ، فتسمع ذلك الحال الأخطر والفزع الأكبر والهول الذى لا يكيف ولا يقدر ، واختر لنفسك كم تريد أن تقف فيه وكيف تريد أن تكون فيه مادام النظر والاختيار بيدك مع توفيق ربك عز وجل ومعونته إياك .

وأنشد بعضهم :

يا من من الساعة لا تدعو بين يديك الفزع الأكبر .
وإنما أنت كمصبورة حُمَّ رداها وهى لا تشعر .
والمرء منصوب له حتفه لو أنه من غمه يبصر .
وهذه النفس لها حاجة والعمر عن تحصيلها يقصر .
وكل ما ترجو عن مطلب كانت به أمم أجدى وأجدر .
وربما ألق معاذ يوما لو أنها يا ويحها تعتبر .
ونَاظِرُ الموتِ لها ناظرٌ لو أنها تنظر إذ فتنظر .
ورائد الموت له طلعة يبصرها الأكمه والمبصر .
وروعة الموت لها سكرة ومثلها من روعة تنكر .
وبين أطباق الثرى منزل ينزله الأعظم والأحقر .
يترك ذو الفخر به فخرَه وصاحب الكبر به يصغر .
قد ملأت أرجاءه روعة نكيرها المعروف والمنكر .
وبعد ما بعد وأعظم به من مشهد ما قدره يقدر .
يرجف منه ذا الورى رجفة ينهد منها الملأ الأكبر .
وليس هذا الوصف مستوفياً كل الذى من وصفه يذكر .
وإنما ذا نظرة أرسلت من أبحر تتبعها أبحر .
وقد أتاك الثبت عنه بما أخبرك الصادق إذ يخبر .
فاعمل له ويك وإلا فلا عذر وما مثلك من يعذر .

واعلم أنه كلما طال قيامك فى طاعة الله سبحانه وانتصابك له قصر قيامك فى ذلك اليوم وقل تعبك فيه ، وكلما كثر تصرفك فى طاعة الله سبحانه وإقبالك

وإدبارك فى قضاء حاجة مسلم ومشيك معه ومشاركتك له يقل مشيك فى ذلك اليوم ويقل نصبك فيه ، وبقدر ما تبذِل تُعطَى ، كما تَدِين تُدَان .

ولعلك يا هذا تستطيل ركعتين تقرأ فيهما حزبين تقوم بهما لربك جل جلاله ، ولعلك تعجز عن مشى ميل فى قضاء حاجة مسلم وبين يديك هذا اليوم الطويل المديد والكرب العظيم الشديد الذى لا يقصر إلا على من أطال التعب لله ولا يسهل إلا على من تحمل الشدائد فى ذات الله ، ولعلك إن صليتهما ليلة عجزت عنها أخرى ولعلك إن مشيت يوماً فى حاجة مسلم برمت من ذلك فى يوم آخر [وتعبت] منه وكسلت عنه ، وربما وقفت لسماع حديث فارغ يكون تقريره أكثر من حزب وحزبين ، وربما مشيت فى فضول الميل والميلين وأكثر من ذلك ، ولو تدبرت فى أمرك ونظرت فيما يُراد بك لسهل عليك من أمرك العسير وقرب عليك فيه البعيد ، فاعمل رحمك الله فى أيام قصار وعمر قصير لأيام طوال وعمر طويل .

(١٥) باب ذكر الحوض

.قد سمعت – رحمك الله بعطش هذا اليوم والتهابه وما يصل إلى القلوب من أواره واحتراقه ، وأن الماء فى ذلك اليوم أعز موجود وأعظم مفقود وأن لا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود – ﷺ – ، ولا مورد لأمته سواه ولا برد أكبادهم إلا به وأن الشربة منه تروى من الظمأ وتشفى من الصدى وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبداً ، وأنها ترد العقل العازب والشباب الذاهب وتؤوب معها من الزمن الصالح مالم يكن قبل تائب . وإنه لا يَرِدُ ذلك الحوض إلا من ورد فى الدنيا حوض شرعته وتمسك بسنته وتوفى على ملته وإلا فيُجلَى عنه فلا يدنو منه ولا يكاد ويضرب عنده ضرباً تنقطع له الجوانح والأكباد ، وأنا أذكر لك من أحاديث الحوض ما يسّر الله عز وجل .

٣٠٧– **ذكر مسلم** من حديث ثوبان أن نبى الله – ﷺ – قال : « إنى [لَبِعُقْرِ] حوضى أذود الناس عنه لأهل اليمن أضرب بعصاى حتى يَرفَضَّ عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ينغت(٢٤٣) فيه ميزبان يمدانه من الجنة أَحَدُ[هُمَا]

---

(٢٤٣) (تغت) بعين معجمة بعد تاء مثناه فوق ، ومعنى • يغتّ فيه ميزابان أى يدفقان فيه الماء دفقًا دائمًا متتابعًا (ابن الأثير – نهاية) .

(٢٤٤) صحيح – أخرجه الإمام أحمد (٢٨٢/٥ ، ٢٨٣) ومسلم (٦٢/١٥ ، ٦٣) والترمذى (٢٤٤٤) والبغوى (١٦٩/١٥) وابن حبان (١٢٥/٨) وابن أبى عاصم فى « السنة » (٣٢٥/٢ ، ٣٢٧) والآجرى فى « الشريعة » (ص ٣٥٢ ، ٣٥٣) والقاضى عياض فى « الشفا » (٢٧٩/١) وهو فى « صحيح الجامع » (٢٤٩٤) « والمشكاة » (٥٥٧٠) وقد استوفى طرقه الحافظ ابن كثير رحمه الله فى « الفتن والملاحم » (٩١٢) .

● قوله (عقر الحوض) : موضع الشاربة منه (نهاية – ١٧١/٣)

من ذهب والآخر من ورق »(٢٤٤) .

٣٠٨- **وعن أبى ذر** قال : « قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا فى الليلة المظلمة [المُصحية] آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه [يشخب](٢٤٥) فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى إيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل »(٢٤٦) .

٣٠٩- **وقال من حديث** أنس بن مالك قال رسول الله - ﷺ - : « ترى فيه أ باريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء »(٢٤٧) .

٣١٠- **وذكر الترمذى** عن أبى سلام الحبشى قال : حدثنى ثوبان عن النبى - ﷺ - قال : « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء(٢٤٨) ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد نجوم السماء من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً أوّل الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشُّعث رؤوساً الدُّنس ثياباً الذين لا ينكحون [المتنعمات] ولا تفتح لهم أبواب السُّدَدُ » فقال عمر بن عبد العزيز وقد سمع هذا الحديث « لكنى نكحت المتنعمات وفتح لى السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك لا جرم [إنى] لا أغسل

● (أرود عنه) أى أدفع وأطرد (نهاية - ١٧٢/٢)

● (يرفضّ) أى يسيل وهو بفتح الياء المثناة التحتية وإسكان الراء المهملة وفتح الفاء وتشديد الضاد (نهاية ٢٤٣/٢) .

(٢٤٥) **(يشخب) - غير واضحة بالأصل والتصحيح من مسلم.**

(٢٤٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (٦١/١٥) وابن أبى عاصم فى « السنة » برقم (٧٢١) والترمذى (٢٤٤٥) وقال حسن صحيح والآجرى فى « الشريعة » ص ٣٥٥ من وجوه عنه.

(٢٤٧) **صحيح** - أخرجه مسلم (٦٥/١٥ نووى) وابن حبان فى « صحيحه » (١٢٤/٨) والخبر فى « المشكاة » (٥٥٦٩) معزو لمسلم وفى « الترغيب » (٢٠٧/٤) وعزاه للبزار والطبرانى وقال : رواته ثقات إلا المسعودى.

(٢٤٨) - **« البلقاء » - غير واضحة بالأصل والتصحيح من الترمذى.**

رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ »[٢٤٩] .

٣١١- **وذكر البزار** من حديث أنس قال قال رسول الله - ﷺ - : « حوضى من كذا إلى كذا فيه الآنية عدد النجوم أطيب ريحاً من المسك وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ أبداً ومن لم يشرب لم يروى أبداً »[٢٥٠] .

٣١٢- **وذكر مسلم** من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - ﷺ - وهو يقول : « بين ظهرانى أصحابى[٢٥١] إنى على الحوض انتظر من يرد علىّ منكم فوالله ليقطعن دونى رجال فلا تولى أى رب منى ومن أمتى فيقول : إنك لا تدرى ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم »[٢٥٢] .

٣١٣- **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - ﷺ - :** « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن[٢٥٣] وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً »[٢٥٤] .

---

(٢٤٩) -« **صحيح** -« أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) - كما أفاد المصنف - وهو أيضا فى « مسند عمر بن عبدالعزيز » للباغندى (٣٨/٢ - برقم -١٧-) وأورده المنذرى فى « الترغيب » (٢٠٨/٤) ، وضبط كلمتى « الشُعث » و « الدُنس » فقال : (الشعث) بضم الشين المعجمة ، جمع أشعث وهو البعيد العهد بدهن الرأس وتسريح شعره ، و (الدنس) : بضم الدال والنون : جمع دنس وهو الوسخ ا.هـ. والخبر فى « المشكاة » برقم (٥٥٩٢) وأخرجه الإمام أحمد (٢٧٥/٥) وابن ماجة (١٤٣٨) والحاكم (١٨٤/٤) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا ، والله تعالى أعلم

(٢٥٠) **صحيح إن شاء الله** . قال الهيثمى فى « المجمع » (٣٦٤/١٠) رواه البزار والطبرانى فى « الأوسط » وفيه المسعودى وهو ثقة ولكنه اختلط ، وبقية رجالهما رجال الصحيح ا.هـ.

(٢٥١) **إنما هى : (أصحابه) وليست (أصحابى) كما هو مثبت هنا** وتصحيح التصحيف من رواية مسلم والله تعالى أعلم.

(٢٥٢) **صحيح** . أخرجه مسلم (٥٥/١٥ نووى) من طريق يحيى ابن سليم عن ابن خثيم عن عبدالله ابن أبى مليكة أنه سمع عائشة تقول . . . .. فذكره إلى قوله « على أعقابهم »

(٢٥٣) **فى مسلم . « أبيض من الورق » وسيأتى شرحها إن شاء الله**

(٢٥٤) **صحيح أخرجه البخارى (٤٦٣/١١) ومسلم (٥٤/١٥ - ٥٥)**

٣١٤- قال وقالت أسماء بنت أبى بكر قال رسول الله - ﷺ - : « إنى على الحوض أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ أناس دونى فأقول يارب منى ومن أمتى . فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » قال : فكان ابن أبى مليكة يقول : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا »(٢٥٥) .

٣١٥- **وعن عبد الله بن رافع** مولى أم سلمة زوج النبى - ﷺ - يقول : « أيها الناس إن فرطكم على الحوض فإياى لا يأتين أحدكم فيُذَبّ عنى كما يُذَبّ البعير الضَّالُّ فأقول فيمَ هذا ؟ فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً »(٢٥٦) .

٣١٦- **وقال النَسائى** فى هذا الحديث : « يا أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مر بكم زفراً تذهب بكم الطرق فأناديكم ألا هلم إلى الطريق ينادى منادٍ من ورائى : إنهم بدلوا بعدك فأقول : ألا سحقاً سحقاً »(٢٥٧) .

٣١٧- **وذكر مسلم** من حديث ابى هريرة أن رسول الله - ﷺ - أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون

قال الإمام النووى (ماؤه أبيض من الورق) هكذا فى جميع النسخ

● الورق . بكسر الراء وهو الفضة ، والنحويون يقولون إن فعل التعجب الذى يقال فيه هو أفعل من كذا إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف ، فإذا زاد لم تتعجب من فاعله وإنما يتعجب من مصدره ، فلا يقال : « ما أبيض زيدًا » ولا « زيد أبيض من عمرو » وإنما يقال « ما أشد بياضه » وهو أشد بياضًا من كذا فقد جاء فى الشعر أشياء من هذا الذى أنكروه فعدوه شاذا لا يقاس عليه . وهذا الحديث يدل على صحته وهى لغة وإن كانت قليلة الاستعمال ومنها قول عمر - رضى الله عنه « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » اهـ كلامه رحمه الله . والحديث أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٥/١٦٨) .

(٢٥٥) **قوله . وقالت أسماء بنت أبى بكر قال رسول الله - ﷺ - ... الحديث صحيح** : أخرجه مسلم (١٥/٥٥) وهو من تعاليق مسلم رحمه الله إنما أخرجه موصولاً البخارى (١١/٤٦٦) من طريق نافع بن عمر قال : حدثنى ابن أبى مليكة . به راجع « العلل لابن أبى حاتم » (٢/٢١٩) .

(٢٥٦) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٥/٥٦) والبغوى (١٥/١٧١) وأصله فى البخارى (١١/٤٦٣ - ٤٦٤) .

(٢٥٧) **قوله : وقال النسائى فى هذا الحديث .. إلخ**
لم أقف عليه فى « الصغرى » - على طول بحث - فلعله فى « الكبرى » والله تعالى أعلم .

وددت أنّا قد رأينا إخواننا قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزادن رجال عن حوضى كما يزاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم . فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول : سحقاً سحقاً »(٢٥٨) .

٣١٨- **وذكر البخارى** من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إنى فرط لكم على الحوض من مَرَّ يشرب ومن شرب لم يظمأ أبداً لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أعرفهم ويعرفوننى ثم يُحالُ بينى وبينهم »(٢٥٩) .

٣١٩- **زاد عن** أبى سعيد الخدرى قال : « فأقول إنهم منى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدى »(٢٦٠) .

٣٢٠- **وذكر من حديث** أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلم . فقلت : أين ؟ فقال : إلى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك القهقرى على أدبارهم . ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلم فقلت : أين ؟ قال إلى الناري والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل

---

(٢٥٨) **صحيح** أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ » (٢٨/١ - ٢٩) ومسلم (١٢٧/٣/١ نووى) والنسائى (٩٤/١ - ٩٥) وأخرجه بتمامه ابن حبان فى « صحيحه » (١٨١/٩ - ١٨٢) .

(٢٥٩) **صحيح** - أخرجه البخارى (٤٦٤/١١ - فتح) وقد تقدم

(٢٦٠) صنيع المصنف رحمه الله - من تقطيع الأحاديث هكذا - يُشعر من لا خبرة له أن كل مقطع منها هو حديث قائم بذاته (!) وليس كذلك (!) فإن هذا المقطع إنما هو استئناف - أو تتمة - لما أورده قبله من حديث سهل وهو صحيح فقد أخرجه البخارى من حديث سهل وعلقه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - .

متمل النعم »[٢٦١] قوله عليه السلام بينا أنا قائم[٢٦١] يريد على الحوض كما ورد فى حديث آخر[٢٦٢] .

٣٢١- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبه** فى مسنده من حديث عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إنى ممسك بحجزكم عن النار وتغلبوننى [تقاحمون] فيها تقاحم الفراش والجنادب وأوشك أن أرسل حجزكم وأفرط لكم عن أو على الحوض » الشك من الراوى - « وتردون على معاً وأشتاتاً فأعرفكم بأسمائكم وبسيماكم كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل فى إبله ويُذْهَب بكم ذات الشمال وأناشد فيكم ربَّ العالمين فيُقَال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرى فلا أعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل شاةً لها ثُغَاء ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت . ولا أعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل بعيراً له رُغَاء ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت . ولا أعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل قشعاً من أدم ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت »[٢٦٣] .

٣٢٢- **وذكر أبو بكر البزار** عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « أنا فرط بين أيديكم فإن لم تجدونى فإنى على الحوض

---

(٢٦١) إنما هى : « هَمَل» بفتحتين - الإبل بلا راع وقال الخطابى « الهَمَل » : مالا يُرعى ولا يستعمل ويطلق على « الضوال » ا.هـ من شرح الحافظ رحمه الله تعالى

(٢٦١) مكرر صحيح أخرجه البخارى (١١/٤٦٥ فتح).

(٢٦٢) **قوله : (قوله عليه السلام . بينا أنا قائم ... الحديث**
قلت : المثبت فى « صحيح البخارى » الذى أحال عليه المصنف « نائم » بنون من النوم وليس « قائم » . بقاف من القيام كما أثبتها المصنف (!) وإليك التفصيل . « قال الحافظ فى الفتح » (١١/٤٧٤) (بينا أنا نائم) كذا بالنون للأكثر ، وللكشميهنى : « قائم » بالقاف وهو أوجه ، والمراد به قيامه - ﷺ - على الحوض يوم القيامة ، وتوجّه الأولى بأنه رأى فى المنام فى الدنيا ما سيقع فى الآخرة » ا.هـ كلامه رحمه الله تعالى .

(٢٦٣) « حسن : أورده شيخ الإسلام فى « المطالب العالية » (٢/١٩١) وقال العلامة الأعظمى قال البوصيرى رواه أبو يعلى بإسناد حسن وأصله فى الصحيحين ا.هـ قال فى « المجمع » روى أبو يعلى والبزار ورجال الجميع ثقات ا هـ

وسيأتى أقوام رجال ونساء ثم لا يذوقون منه شيئاً »[٢٦٤] .

٣٢٣- **وذكر ابن السكن** من حديث سويد بن جيلة قال : قال النبى - ﷺ - : « لتزدحمن هذه الأمة على الحوض ازدحام وَارِدَاتِ الحمر[٢٦٥] »[٢٦٦] .

٣٢٤- **وذكر مسلم** من حديث أنس بن مالك قال : « بينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت على آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ﴾ ثم قال : تدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتى . فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك »[٢٦٧] .

٣٢٥- **وفى طريق آخر** عن أنس أيضاً : « نهر وعدنيه ربى فى الجنة حوضى ويروى حوض »[٢٦٨] .

٣٢٦- **وفى حديث لقيط** وذكر البعث قال : « فتسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول « حِسّ » ألا فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ

---

(٢٦٤) **حسن** - رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه ابن لهيعة - على ما قال الهيثمى فى « المجمع » (٣٦٧/١٠) .

(٢٦٥) **إنما هى** : « الخمس » من العدد كما هو ثابت ، وما ها هنا فهو تحريف والحديث حسن .

(٢٦٦) **الحديث ورد من رواية العرباض بن سارية أن النبى - ﷺ - قال** . « لتزدحمن هذه الأمة على الحوض . » الحديث قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٣٦٣/١٠) رواه الطبرانى بإسنادين وأحدهما حسن ا.هـ

قلت : وهو فى « صحيح ابن حبان » (١٨١/٩) بلفظه

(٢٦٧) **صحيح** - أخرجوه من وجوه عن المختار بن فلفل رحمه الله فأخرجه الإمام أحمد من طريقه عن أنس ، ومسلم (١١٢/٤ - ١١٣) وأبو داود (٢٣٧/٤) والنسائى (١٣٣/٢ - ١٣٤) وكذا الحافظ ابن كثير فى « الفتن والملاحم » (٥/٢) وغيرهم .

(٢٦٨) **قوله (وفى طريق أخرى عن أنس أيضًا)** . « نهر وعدنيه ربى فى الجنة الحديث » هو عند أحمد (١٠٢/٣) بلفظ « أعطانيه ربى عز وجل (راجع ما قبله) .

والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى »(٢٦٩) رواه عن النبي - ﷺ - وذكر في هذا الحديث أن الحوض بعد الجسر وما تقدم من الأحاديث في الحوض الذى لم يجد له فيها موضع هو الصحيح المشهور .

٣٢٧- **وذكر الترمذى** من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لكل نبى حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة »(٢٧٠) وهذا يروى عن الحسن عن النبى - ﷺ -(٢٧١) .

٣٢٨- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لى حوضاً ما بين بيت المقدس إلى الكعبة أبيض من اللبن فيه عدد الكواكب آنية وأنا فرطكم على الحوض ولكل نبى حوض وكل نبى يدعو أمته فمنهم من يرد عليه فئام من الناس ومنهم من يرد عليه ما هو دون ذلك ومنهم من يرد عليه العصابة ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل ومنهم من لا يرد عليه أحد فيقول اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت ثلاثاً وذكر الحديث »(٢٧٢) .

---

(٢٦٩) **خبر لقيط ، تقدم ، وهو فى « المجمع »** (١٠/٣٤١ ، ٣٤٢)

(٢٧٠) **خبر الحسن عن سمرة قال** . قال رسول الله - ﷺ - إن لكل نبى حوضاً ... الحديث **أخرجه الترمذى** (٢٤٤٣) من طريق محمد بن بكار الدمشقى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله - ﷺ - فذكره
ضعيف

(٢٧١) **قوله وهذا يروى عن الحسن عن النبى - ﷺ - اهـ**
قلت : هذا قول أبى عيسى رحمه الله قاله عقب إخراجه الحديث فقال : « هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبدالملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى - ﷺ - مرسلاً ولم يذكر فيه سمرة وهو أصح » ا.هـ
قلت : الحديث - كيف دار - فهو ضعيف (!) فيه سعيد بن بشير ، قال ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٨/١/٢) روى عن الحسن. روى مالك بن إسماعيل عن سهل بن شعيب ، سمعت أبى يقول ذلك ويقول : هو مجهول لم يلق الحسن.

(٢٧٢) **صحيح** - وأصله فى الصحيحين فهو فى البخارى (١١/٤٦٣) ومسلم (١٥/٦١) وقال الحافظ رحمه الله ـ

(١٦) باب ذكر الشفاعة الأولى التى تكون لفصل القضاء بين الناس

وهى المختصة بنبينا محمد - ﷺ - فلا تكون إلا له ولا يشركه فيها غيره .

٣٢٩- **ذكر البخارى** من حديث آدم بن على قال سمعت ابن عمر يقول : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى - ﷺ - فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »(٢٧٣) وقد رواه عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى - ﷺ - .

٣٣٠- **وذكر من حديث** أبى هريرة قال : « أتى النبى - ﷺ - فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر

تعالى فى « الفتح » : (١١/٤٧٠ ، ٤٧١) فى هذا الحديث كلاماً كثيراً طيباً راجعه غير مأمور وراجع أيضاً كتاب العلامة الكتانى رحمه الله « نظم المتناثر فى الحديث المتواتر » وراجع أيضًا كتاب « الشفا » للقاضى عياض.

(٢٧٣) **صحيح** - أخرجه البخارى (٨/٣٩٩) من طريق أبى الأحوص عن آدم بن على قال : سمعت ابن عمر -رضى الله عنهما- يقول ... فذكره
نكتة * - آدم بن على راوى هذا الخبر ليس له فى البخارى إلا هذا الحديث.

الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟! فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى نفسى . اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات — فذكرهن أبو حيان فى الحديث — نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : أنت رسول الله فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟! فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمته اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيقول عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله — ولم يذكر ذنباً — نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، فيفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى فيقول يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا رب أمتى يا رب فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى

ذلك من الأبواب . ثم قال : والذى نفسى بيده إنما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى »[٢٧٤] .

---

(٢٧٤) **خبر أبى هريرة فى « الشفاعة »**
- **صحيح** - أخرجه السخارى (٣٩٥/٨) ومسلم (٦٥/٣ - ٦٩ نووى) والترمذى (٢٤٣٤) وأحمد (٤٣٥/٢) والبعوى فى « شرح السنة » (١٥٢/٥ - ١٥٦) وابن حبان فى « صحيحه » (١٣٠/٨) اس أبى عاصم فى السنة رقم (٨١١) والقاضى عياض فى « الشفا » (١٩٤/١) ووصفه بالتواتر - وهو كذلك - والسيوطى فى « الصعير » وصححه وأشار إلى تصحيحه وعراه لعض من دكرنا ومنهم ابن ماحة - وما أطنه - إلا وهمًا - فالحديث فى سنن ابن ماحة (٤٣١٢) عن أنس وليس عن أبى هريرة (!) وعلقه العلامة صدر الدين على بن أبى العز فى « عقيدته » (ص ١٦٩ شاكر) فقال أحاديث الشفاعة · منها عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال... فذكره
قلت : وللحديث طرق وروايات يشق حصرها فى هذه العجالة فلله الحمد

(١٧) باب المساءلة والتقرير والمحاسبة والقصاص

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ [الحجر /٩٢ ، ٩٣] وقال سبحانه : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُّكَ أحداً ﴾ [الكهف /٤٩] .

وقال جل جلاله : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [الزُّمَر / ٦٩ ، ٧٠] .

٣٣١- **وذكر قاسم بن أصبغ** من حديث سعيد بن عبد الله عن أبى بردة الأسلمى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه ما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه »(٢٧٥) ذكره الترمذى أيضاً .

٣٣٤- **وذكر مسلم** من حديث صفوان بن محرز قال : « قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله - ﷺ - يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه تعالى حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول : هل

---

(٢٧٥) **صحيح - وهو فى « صحيح الجامع »** معزو للترمذى (٧١٧٧ ، والحديث أخرجه الترمذى) وقال حسن صحيح والطبرانى فى الكبير (١/٤٨/١) والصغير (١/٢٦٩) عن ابن مسعود وقال عقبة قال سليمان . لا يروى عن عبدالله بن مسعود إلا بهذا الإسناد تفرد به حميد ، وأخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (١٢/٤٤٠) والدارمى (١/١٣١) وأبو نعيم فى « الحلية » (١٠/٢٣٢) وهو فى « المشكاة » « ٧٤٩٨ » وفى المجمع (١٠/٣٤٦) عن أبى برزة والله أعلم

تعرف ؟ فيقول : رب أعرف . قال : فإنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله »(٢٧٦) .

٣٣٥- **وذكر مسلم** أيضاً من حديث ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « من حوسب يوم القيامة عذب فقلت : أليس قد قال تعالى : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ فقال : ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض . من نوقش الحساب يوم القيامة عذب »(٢٧٧) .

٣٣٦- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث أنس عن النبى - ﷺ- قال : « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديون فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لأصغر نعمة أحسبه قال فى ديوان النعم خذ ثمنك من عمله الصالح فيستوعب عمله الصالح ثم لتجىء فتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال : ياعبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك - وأحسبه قال - وأوجبت لك نعمى »(٢٧٨) .

٣٣٧- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث ابن عمر عن النبى - ﷺ - قال : « يؤتى بالمليك والمملوك والزوج والزوجة فيحاسب المليك والمملوك والزوج والزوجة حتى يقال للرجال شربت يوم كذا وكذا على لذة . ويقال للزوج : خطبت فلانة مع خُطّاب فزوجتكها وتركتهم »(٢٧٩) .

---

(٢٧٦) **صحيح** - أحرجه الإمام البحارى فى عير موصع من صحيحه الحليل منها (٤/٣٠٠ سدى) ومسلم (٨٦/١٧ - ٨٧) وابن ماحة (١٨٣ عبدالباق) والإمام أحمد (٧٤/٢ ، ١٠٥).

(٢٧٧) **صحيح** أخرحوه من وحوه عن أبى مليكة عن عائشة -رضى الله عنها- فأحرجه البخارى (١٩٧/١ فتح) ومسلم (٢٠٨/٧ نووى) وأبو داود (١٨٤/٣) والترمذى (٢٤٢٦) وأحمد (٤٧/٦ ، ٩١ ، ٨١ ، ١٢٧ ، ٢٠٦) والبغوى (١٣١/١٥) وابن حبان فى صحيحه وهو فى « صحيح الجامع » (٦٠٩٥ ، ٦٠٩٦) وفى « الترغيب » (١٩٨/٤) وعيرهم.

(٢٧٨) **ضعيف** - قال الهيثمى فى « المجمع » (٣٦٠/١٠) رواه البزار وفيه صالح المرى وهو ضعيف ا.هـ. وعزاه المندرى فى « الترغيب » (١٩٩/٤) للبزار وسكت عنه.

(٢٧٩) **حسن إن شاء الله** : راجع « سنن البيهقى » (٣٩/٨) وقال الهيثمى فى « المجمع » (٣٥٢/١٠) رواه

٣٣٨- **وفى الخبر المشهور** : أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أكلا تمراً بسراً ورطباً ثم أكلا خبزاً ولحماً أطعمهما رجل من الأنصار وأكلاه على جوع فقال لهما النبى - ﷺ - : « لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة »(٢٨٠) والحديث ذكره مسلم .

٣٣٩- **وذكر الترمذى** من حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : « لما نزلت ﴿ ثم إنكم يومَ القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ [الزُّمرَ / ٣١] قال الزبير : يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا ؟ قال : نعم . فقال : إن الأمر [إذًا](٢٨١) لشديد »(٢٨٢) .

٣٤٠- **وذكر النسائى** من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله عز وجل له كل حسنة كان أزلفها ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أنْ يتجاوز الله عنها »(٢٨٣) .

البزار من رواية سعيد بن مسلمة الأموى عن ليث بن أبى سليم وكلاهما ضعيف وقد وثقا . وبقية رجاله رجال الصحيح ا.هـ

(٢٨٠) **قوله** فى الحديث المشهور أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أكلا تمرًا .. الحديث **صحيح**
قلت . عين عرفت فذرفت (!)
فذاك حديث أبى هريرة - رضى الله عن سائر الأصحاب - أخرجه مسلم فى « صحيحه » (١٣/٢١٠ ، ٢١٤) والبغوى « شرح السنة » (١٤/٣١٠) وأخرجه أبو الشيخ رحمه الله فى « كتاب » أخلاق النبى - ﷺ - له (ص ٢٧٠ ، ٢٧١)

(٢٨١) * « إذًا » غير مقروءة بالأصل ، والإكمال من جامع الترمذى .

(٢٨٢) **حسن** أخرجه الترمذى (٥/٣٧٠) وقال حسن صحيح . وراجع « جامع البيان » (١١/٢) لأبى جعفر ابن جرير الطبرى « والدرّ المنثور » حيث عزاه السيوطى رحمه الله إلى عبد بن حميد والنسائى وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه .

(٢٨٣) **صحيح** - أخرجه البخارى (١/٩٨) معلقاً عن مالك رحمه الله أخبرنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدرى أخبره أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول . فذكره بنحو ما ها هنا قال الحافظ رحمه الله (قوله : قال مالك) هكذا ذكره معلقاً ولم يوصله فى موضع آخر من هذا الكتاب - وقد

٣٤١- **وذكر مسلم** من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »(٢٨٤) .

٣٤٢- **وذكر البخارى** من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يخلص المؤمنون من النار فَيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار فيقصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا »(٢٨٥) .

٣٤٣- **وذكر مسلم** من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة(٢٨٥) [القرناء] » .

وصله أبو ذر الهروى فى روايته للصحيح.. ا.هـ

قلت : وكذا وصله النسائى (١٠٥/٨ ، ١٠٦ سيوطى) والإمام أحمد فى « المسند » (٣١٠/١) والحديث فى « صحيح الجامع » (٣٣٣ - ٣٣٤).

(٢٨٤) « **صحيح** » أخرجه البخارى رحمه الله مختصرًا معلقاً (٥٦٦/١٠) فقال : فى باب قول النبى - ﷺ - إنما الكرم قلب المؤمن وقد قال إنما المفلس الذى يفلس يوم القيامة ، وأخرجه مسلم رحمه الله موصولاً (١٣٥/١٧ ، ١٣٦) والإمام أحمد فى المسند (٣٠٣/٢) ، ٣٤٤ ، ٣٧١) وابن حبان فى صحيحه (٢٩٦/٦ ، ٢٢٦/٩) وأخرجه البيهقى فى «السنن الكبرى» (٩٣/٦) وعزاه المنذرى فى « الترغيب » (٢٠٢/٤) لمسلم.

(٢٨٥) **صحيح** - أخرجه البخارى (٣٩٥/١١) وأخرج بعضه مسلم رحمه الله (١٤٩/٢ - ١٥٠) من حديث أبى هريرة ، وأخرجه أحمد (٥٧/٣) مختصرًا وأخرجه بتمامه (٧٤/٣) وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٩٦/١٥) والحديث فى « مشكاة المصابيح » (٥٥٨٩) معزو للبخارى بلفظه.

(٢٨٦) **صحيح** - وهو فى « صحيح الجامع » (٤٩٣٨) ووهم فى عزوه لأحمد إذ أن الذى أخرجه هو ابنه عبد الله فى « زوائد المسند » (٧٢/١) وكذا أخرجه الإمام أحمد (٣٦٣/٢ ، ٢٣٥/٢ - ٣٢٣)

وذكر **أبو بكر الشافعى** من حديث أبى ذر قال : « رأى رسول الله - ﷺ - شاتين تنتطحان فقال : يا أبا ذر وهل تدرى فيم ينتطحان ؟ قلت : لا أدرى . قال : لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة »[٢٨٧] .

٣٤٤- **وذكر البخارى** من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتبرأ له منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه »[٢٨٨] .

٣٤٥- **وذكر أبو بكر البزار** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الظلم ثلاث : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه ، فأما الظلم الذى لا يغفره الله فالشرك قال الله العظيم : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يُدبرَ بعضهم من بعض »[٢٨٩] .

٣٤٦- **وذكر مسلم** من حديث أبى ذر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به

قال الهيثمى رحمه الله فى « المجمع » الحديث رواه أحمد والبزار وعبدالله بن أحمد وفيه الحجاج بن نصير وقد وثق على ضعفه وبقية رجال البزار رجال الصحيح غير العوام بن مزاحم وهو ثقة ا.هـ. وأخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (١٨٣/١) فضل الله الصمد) من طريق إسماعيل قال حدثنا العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال . فذكره . ومن هذه الطريق أخرجه مسلم (١٣٦/١٦ نووى) ، والترمذى (٢٤٢٠) وقال : حسن صحيح وأورده المنذرى فى « الترغيب » (٢٠١/٤) بلفظ مسلم وعزاه للترمذى .

(٢٨٧) **ضعيف** - أخرجه الإمام أحمد فى « مسنده » (١٦٢/٥) وأبو داود الطيالسى (٤٨٠) قال الهيثمى رحمه الله فى المجمع (٣٥٥/١٠) فيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس .

(٢٨٨) **صحيح** - وهو فى صحيح الجامع (٦٣٨٧) وأخرجه الإمام أحمد فى المسند (٥٠٦/٢) وأخرجه البخارى (١٠١/٥ فتح) .

(٢٨٩) **صحيح** : وهو فى صحيح الجامع (٣٨٥٦) وأخرجه الطيالسى أبو داود فى سنده (٢٨٢) قال الهيثمى · رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيرى ولم أعرفه وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم ا.هـ (٣٥١/١٠) .

يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا فيقول : نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة . فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه »(٢٩٠) .

٣٤٧- **وذكر الترمذى** من حديث أنس عن النبى - ﷺ - قال : « يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله له : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعنى آتك به فيقول له أرنى ما قدمت . فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعنى آتك به فإذا عبد لم يقدّم خيراً [فيُمْضَى] به إلى النار »(٢٩١) .

فتفكر أيها المسكين فى نفسك بينا أنت فى مهلة من عمرك هذا اليوم الذى وصف لك وفى هذا الحال الذى حدثت عنه وقد جىء بجهنم كما يروى فى الصحيح تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تكون بمرأى من الخلق ومسمع يرون لهيبها ويسمعون زفيرها إذ أخذ بضبعيك وقبض على عضديك وجىء بك تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف والخلائق ينظرون إليك حتى وقفت بين يدى الله تعالى فسئلت عن القليل والكثير والنقير والقطمير ولا تجد أحداً يجاوب عنك بلفظة ولا يعينك بكلمة ولا يرد عنك جواباً فى مسألة وأنت قد شاهدت من عظم الأمر وجلالة القدر وهيبة الحضرة ما أذهب بيانك بل ما أخرس لسانك وأذهل

---

(٢٩٠) **صحيح** - وهو فى صحيح الجامع (٢٤٨١) وأخرجه أحمد فى المسند (١٧٠/٥) ومسلم (٤٧/٣ نووى) وأخرجه الترمذى (٢٥٩٦) والبيهقى (١٩٠/١٠) وابن حبان (٢٣٣/٩) والبغوى (١٩٢/١٥) والبيهقى فى « البعث والنشور » (ص - ٨١) جميعاً كسواء ، وأخرجه البخارى (٤١٩/١١) ومسلم (٣٩/٢).

(٢٩١) **ضعيف** : وهو فى « جامع الترمذى » وما بين « المعكفين من روايته والخبر أخرجه مسلم (٢٩٦٨) وأحمد (٤٩٢/٢) ، وإنما سقنا أولاً رواية الترمذى لما سبق بيانه من أسباب تدعو لتقديم رواية غير الصحيحين عليهما - راجعها غير مأمور فى « منهج العمل » والله تعالى المستعان والخبر أخرجه نعيم بن حماد فى « زوائد الزهد » (٣٩٤).

جنانك ونظرت يميناً وشمالاً وبين يديك فلم تر إلا النار وعملك الذى كنت تعمل وكلمك رب العزة جل جلاله بغير حجاب يحجبك ولا ترجمان يترجم لك – كما جاء فى الخبر الصحيح – وسئلت عن كل شيء كان منك فى حق نفسك وحق غيرك وقيل : مالك من أين اكتسبته ؟ ومن أين جمعته ؟ وفيم أنفقته ؟ فما ظنك بنفسك فى ذلك اليوم ؟! وكيف تقول يكون فزعك وجزعك وكيف تكون حيرتك ودهشتك إذا قيل لك عاملت فلاناً يوم كذا وكذا فى كذا وكذا وأخذت منه كذا وكذا وغبنته فى كذا وكذا وتركت نصيحته فى هذه السلعة ولم تبين له هذا العيب أو غصبت فلاناً

أو ظلمت فلانًا أو غششت فلانًا أو قتلت فلانًا أو فعلت كذا وفعلت كذا وقيل لك : أول بحجته مم يتبينه ائت ببرهان أنفذ بسلطان . فأردت الكلام فلم تُبِن وجئت بعذر فلم تستبن هيهات أنى لك بالكلام وفى الدنيا لم تنقحه وأنى لك بالعذر وفى الدنيا لم تصححه قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً . ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبًا * إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً * يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً ﴾ [النبأ / ٣٨ – ٤٠] .

وقال **الحارث بن أسد** المحاسبى فى موعظة له : « أحذرك يا أخى ونفسى يوماً آل الله فيه على نفسه ألا يترك عبداً أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله كله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظر بأى بدن تقف بين يديه وبأى لسان تجيبه فأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً » .

وتفكر الآن وانظر بأى قدم تقف فى ذلك المقام أو بأى أذن تسمع ذلك الكلام فما شئت من قلب يخلع وكبد تصدع ولسان يتلجلج وأحشاء تتموج ونفس تريد أن تخرج فلا تُترك أن تخرج فانظر ما أشأم تلك الأرباح التى ربحتها وأخسر تلك المعاملات التى عاملت بها انظر كيف ذهبت عنك مسرتها وبقيت حسراتها والشهوات التى فى ظلم العباد أنفذتها كيف ذهب عنك الفرح بها وبقيت تبعتها وانظر الآن بكم تفتدى من ذلك الموقف وبكم تتخلص من ذلك السؤال أتقول لو كان لك نصف الدنيا كنت تعطيه فى التخلص من ذلك المقام ؟ إى لعمر الله والدنيا وأضعافها مرات فكيف ولم يحصل لك فى عمرك إلا دريهمات يسيرة أنفقتها فى أيام

يسيرة ، وربما لم تنفقها ، ولعلك كنت أنت جامعها والمتعب فيها وكان المنفق لها سواك والملتذ بها غيرك إما زوج ابنتك أو زوجة ابنك ، أو غيرهما من وراثك ، وأنت إنما حصل لك منها ما أنفقته فى الحال لا ما أعددته للمآل وتترك ذلك لمن لا يحمدك ولا يشكرك ولعله ينفقها فى طاعة فترى مالك فى ميزان غيرك تشقى أنت به وينعم به سواك ، وإن كنت قد أنفقتها فى معصية ربك ومخالفة مولاك واتباع هواك وأطلقت فما شهوتك وأرسلت فيها لذتك ، ويلاك ثم ويلاك من أسير شد خناقه وأحكم وثاقه وثبتت على عنقه أرباقه وطولت بما جناه وأخذ بما كسبت يداه ، وقيل له لا تلم فيما نضح من جسمك رضخ فيداك أوكتا وفوك نفخ ولا يتبين مَنْ بينهم أنقذك وأصماك فطرفك أشار إليك وساعدك رماك ، وإن أخذت ذلك بالغصب والظلم والأنواع المحرمات والأمور المحظورات فقد علمت ما أعد الله للظالمين وما تواعدهم به فى كتابه المبين .

واعلم أن فى هذا اليوم يصدق الله تعالى قوله : ﴿ فلنسألن الذين أُرسل إليهم وَلَنسألن المرسلين [فلنقصّن][٢٩٢] عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾[٢٩٣] ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾[٢٩٤] فيبدأوا بالأنبياء عليهم السلام فيقول [ماذا أجبتم] ؟ قيل فى تفسيره ما كانوا قد عملوا لكن دهشت عقولهم وعزمت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا : ﴿ لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ ثم يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام .

٣٤٨- **ذكر البخارى** من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب . فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون :

---

(٢٩٢) - « فَلَنَقُصَّنَّ » - غير مقروءة بالأصل.

(٢٩٣) - الآيات - إلى قوله تعالى - « غائبين - هى من سورة الأعراف (٦-٧) .

(٢٩٤) - قوله - تعالى شأنه - ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون* ﴾ هى الآيات أرقام (٩٢-٩٣) من سورة الحجر (!) وقد ننها إلى خطورة مثل هذا الصنيع - من سوق الآيات من سور مختلفات - هكذا فى صعيد واحد (!) غير مفصول بينها بأية فواصل أو علامات للتمييز أو التنبيه على الانتقال من سورة إلى سورة ، فليُتأمَّل هذا ثم ليُحذَر (!)

ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته . فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً . فذلك قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ والوسط العدل(٢٩٥) .

٣٤٩- **وروى ابن أبي نعيم**(٢٩٦) عن حيان بن أبي جبلة قال : « أول من يدعى يوم القيامة إسرافيل فيقول الله جل ثناؤه : هل [بَلَّغْتَ] عهدى ؟ فيقول : نعم يارب قد بلغته جبريل . فيدعى جبريل فيقال : هل بلغك إسرافيل عهدى ؟ فيقول : نعم فيخلى عن إسرافيل . ويقول لجبريل : ما صنعت بعهدى ؟ فيقول بلغته الرسل . فتدعى الرسل فيقول : هل بلغكم جبريل عهدى ؟ فيقولون : نعم . فيخلى عن جبريل . ويقال للرسل : هل بلغتم عهدى ؟ فيقولون : نعم . قد بلغناه الأمم . فتدعى الأمم فيقال لهم : هل بلغتكم الرسل عهدى ؟ فمكذب ومصدق فيقول الرسل : لنا عليهم شهداء . فيقول تبارك وتعالى : من ؟ فيقولون : أمة محمد . فيقال لهم : أتشهدون أن الرسل بلغت الأمم ؟ فيقولون نعم . فتقول الأمم : يا رب كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ فيقول الله عز وجل : كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم ؟ فيقولون : ياربنا أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً وقصصت علينا فيه أن قد بلغوا . قال : فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة /١٤٣] والوسط : العدل(٢٩٧) .

---

(٢٩٥) *** صحيح *** أخرجه البخارى رحمه الله (١٧١/٨ - ١٧٢ - فتح) وأحمد (٣٣/٣) وابن ماجة (٤٢٨٤) والإسماعيلى فى « المستخرج »، وابن أبى حاتم بسند جيد عن أبى بن كعب فى هذه الآية ﴿لتكونوا شهداء﴾ كما أفاد الحافظ رحمه الله فى « الفتح »، والخبر أخرجه البغوى فى شرح السنة (١٣٩/١٥ - ١٤٠) وابن حبان فى صحيحه (١٣٦/٨) وابن جرير (٦/٢) والسيوطى فى « الدر المنثور » (١٤٤/١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، ومن ذكرنا آنفاً.

(٢٩٦) قوله: (وروى ابن أبى نعيم . إلخ خطأ (ا) صوابه: ابن أنعم كما سيظهر بعد إن شاء الله- والخبر **ضعيف**.

(٢٩٧) **وقد أورده السيوطى فى** « الدرّ المنثور » (١٤٥/١) قال : أخرج ابن المبارك فى « الزهد » وابن جرير عن حيان بن أبى جبلة بسنده إلى رسول الله - ﷺ - قال. . فذكر الحديث، والخبر عند ابن جرير (٦/٣) عن راشد بن سعد قال أخبرنى ابن أنعم المعافرى عن حبان بن جبلة فذكره بسنده الضعيف.

ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً واحداً ويسألون واحداً واحداً وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها .

فى بعض الخبر « أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق » فما ظنك بهذا المقام وبهذا السؤال وبهذا النكال والوبال ؟! ما ظنك بنفسك وقد جيء بجهنم على الوصف الذى تقدم وقد دنت من الخلائق وشهقت وزفرت وثارت وفارت وانتهضت خزانها والموكلون بها والمعدون لتعذيب أهلها مسارعون إلى أخذ من أمروا بأخذه ساحبون له على بطنه وجر وجهه سامعون مطيعون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

فتمثل حالك وكيف أنت وقد امتلأت القلوب خوفاً وجزعاً ورعباً وفزعاً ، وارتعدت الفرائص وبلغت القلوب الحناجر ، واصطفقت الأحشاء وتقطعت الأمعاء وطلبوا الفرار فلا فرار وطاروا لو يصادفون مطار ، وجثت الأمم على الركب وأيقن المذنبون بالهلاك والعطب وسوء المنقلب ، وينادى الأنبياء والصديقون والأولياء : نفسى نفسى ، كل نفس قد أفردت لسانها وتركت لما بها ، وظن كل إنسان أنه هو المأخوذ وأنه هو المقصود ، وذهلت العقول وطاشت الألباب وتحيرت الأذهان ، وفر المؤمن من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واشتغل بشأنه الذى يعنيه ، وسئل عن جميع أمره سره وجهره دقيقه وجليله كثيره وقليله ، وسئل عن أعضائه عضواً عضواً وجارحة جارحة ، وعن شكره عليها ، وهل أدى حق الله فيها ، وظهرت القبائح وكثرت الفضائح ، وبدت المخازى واشتهرت المساوىء ، وتركك الأهل والأقربون ولم ينفعك مال ولا بنون ، وأقبلت تجادل عن نفسك وتخاصم عنها وتطلب المعاذير لها ، إذ قد أسلمت وأبردت واشتغل عنك كل إنسان بنفسه وترك ما حل بك لما حل به .

وأنشدوا :

خليلى ما أقضى وما أنا قائل إذا جئت عن نفسى بنفسى أجادل .

وقد وضع الرحمن فى الحشر عدله وسيق جميع الناس واليوم باسل .

وجيىء بجرم النار خاضعة له وثلاث عروش عندها ومجادل .
فياليت شعرى ذلك اليوم هل أنا أُغفر أم أُجزى بما أنا فاعل .
فإن أك مجزياً فعدل وحجة وإن يك غفران ففضل ونائل .

واعلم أنه بقدر ما تُيَسِّر على أخيك المسلم فى الدنيا يُيَسَّر عليك فى ذلك اليوم ، وبحسب ما تلتمس له العذر فى الدنيا يلتمس لك العذر فى ذلك اليوم ، وهبك يا ابن آدم أنه قد غفر لك وستر عليك ألم تقم هذا المقام ؟! وشاهدت هذا المشهد ؟! وقرع سمعك هذا النداء ؟! وخلع قلبك هذا الروع ؟! أقام خوفك هذا بأمنك فى الدنيا ؟! أقام حزنك هذا بفرحك فى الدنيا ؟! أقام ذُلُّك هذا بعزك فى الدنيا ؟! أين يقع هذا منه أيقوم تعظيم الخلق لك فى الدنيا باحتقار الله لك فى ذلك اليوم ؟! أتقوم نعمتك فى الدنيا ببؤسك فى ذلك اليوم ؟! فكيف إن نوقشت الحساب ؟! ووجب عليك العذاب ؟! وضرب بينك وبين ربك بحجاب ؟! وسد بينك وبين رحمته بباب ؟! ليس كالأبواب ، هنالك لا دعاء يُسمَع ولا شفاعة تشفع ولا عذاب عن البائس المرتهن يرفع ، إلا أن تكون ممن سبقت له العناية بالإيمان عند الموت وتداركته الرحمة به قبل الموت ، فإن الشفاعة تستخلصك من ذلك الإيسار وتستخرجك من سوء ذلك القرار ، يكون منك قبل ذلك ما كان ويدور عليك قبل ذلك ما دار .

(١٨) باب ذكر أول ما يحكم فيه يوم القيامة وأول من يدعى للخصومة

٣٥٠- ذكر مسلم بن الحجاج من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء »[٢٩٨] .

وعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال : « أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة[٢٩٩] يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش » وقال أبو ذر[٣٠٠] وفيهم نزلت [الحج /١٩-٢٢] ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود * ولهم مَقامِعُ من حديد * كُلَّما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا

---

(٢٩٨) - **صحيح** - أخرجه البخارى (١٢/١٨٧ - فتح) ومسلم (١١/١٦٧) وأخرجه أيضًا أحمد والنسائى وابن ماجة والبغوى وابن حبان والطيالسى والديلمى وغيرهم من حديث عبدالله -رضى الله عنه- : رأينا الاجتزاء منها برواية الشيخين

(٢٩٩) **قوله « عن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- أنه قال** أنا أول من يجثو يوم القيامة.. **إلخ صحيح** ، أخرجه البخارى (٨/٤٤٣) من طريق معتمر بن سليمان قال : سمعت أبى قال حدثنا أبو مجلز عن قيس ابن عباد عن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- قال فذكره.

(٣٠٠) **قوله : وقال أبو ذر وفيهم . نزلت** ﴿ هذان خصْمان اختصموا فى ربهم.. الآية ﴾ صحيح قلت : قائل هذه العبارة هو قيس بن عباد راوى الخبر عن على عليه الرضوان . أما أبو ذر فصدر البخارى الباب بحديثه فقال . حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا هشيم أخبرنا أبو هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد عن أبى ذر -رضى الله عنه- أنه كان يقسم فيها قسَمًا أن هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ نزل فى حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه.

عذابَ الحريق ﴾[٣٠١] وذلك أن على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب – رضى الله عنهم – بارزوا يوم بدر من كفار قريش ثلاثةً شيبةَ بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، فبارز علىٌّ الوليد فقتله وبارز حمزة شيبة فقتله ، واختلفت بين عبيدة وبين عتبة ضربتان أثبت كل واحد منهما صاحبه ، فكر حمزة وعلىٌّ على عتبة فأتما عليه ، واحتملا عبيدة فمات من ضربته فى طريق المدينة فى رجوع النبى – ﷺ – من غزوته تلك ، ونزلت فيهم هذه الآية والخبر بها مشهور صحيح .

---

(٣٠١) **الآية من سورة « الحج » ، وقال أبو عبد الله – على الاستئناف – فى حديث معتمر قال – يعنى : قيس** ابن عباد – قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة ابن ربيعة وعتبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة . والخبر عند ابن جرير (٩٩/١٩) عن أبى مجلز عن قيس به وأورده السيوطى فى « الدر » (٣٤٨/٤ ، ٣٤٩) بنحوه وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد والشيخين والترمذى وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى « الدلائل » عن أبى ذر

(١٩) باب الخصومة بين المسلمين ورد المظالم والانتصاف منها بالحسنات والسيئات

٣٥١- **روى من حديث** عبد الله بن أنيس - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يحشر الله العباد أو قال الناس وأومأ بيده إلى الشام عراة حفاة غرلاً بهما . قال [قلنا] ما بُهْماً ؟ قال : ليس معهم شيء . فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ويسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغى لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وأحدٌ من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة . قلنا : كيف وإنما نأتى الله حفاة عراة غرلاً ؟ قال : بالحسنات والسيئات »(٣٠٢) قوله « غرلاً » يريد غير مختونين وأما مطالبة الكافر المؤمن إنما تكون لمن ظُلِم من أهل الذمة والعهد إذ يكون فيما لم يأذن الله عز وجل من غيرهم والله أعلم .

قد تقدم لك ذكر هول الموقف وخطره وغوره وأنك لا تدرى إلى ما تصدر عنه ولا إلى أى مكان تسير فيه ، فتفكر فيه وأطل التفكر فقد وجدت مكان التفكر ذا سعة ، ومجال الفزع ممتداً ، وميدان الخوف عريضاً ، ثم تفكر فيك بينا أنت واقف

(٣٠٢) **صحيح** - أخرجه البخارى (٤/٢٩٠ - سندى) معلقاً قال ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس . صدر الحديث إلى قوله تعالى ﴿ أنا الملك أنا الديان ﴾ وقد أخرجه موصولاً فى الأدب المفرد (٩٧٠) فضل الله الصمد كما عند أحمد (٣/٤٩٥) والحاكم فى « المستدرك » (٢/٤٣٧، ٤٣٨) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وليس كما قالا ، فإن البخارى لم يخرج لابن عقيل فى صحيحه شيئاً أصلاً ولا متابعة . وأخرج له مسلم فى « المتابعات » فقط وأورده المنذرى فى « الترغيب » (٤/٢٠٣) وحسنه وإلى هذا تذهب النفس والله أعلم

فى تلك الحال التى حُدِّثتَ عنها وتقدم لك ذكرها إذ وثب عليك خصماؤك وهجم عليك طالبوك وأحاطوا بك ومدوا أيديهم إليك ، فهذا يأخذ بيدك وهذا بشعرك وهذا بما أمكنه مما أذن الله تعالى أن يأخذه منك ، فواحد [يقول :] يارب هذا ضربنى وثانى يقول : يارب هذا شتمنى . وثالث يقول : يارب هذا اغتابنى . هذا احتقرنى هذا غصبنى . هذا ظلمنى حقى هذا قتلنى . هذا عاملنى فغشنى ولم ينصحنى هذا رآنى مظلوماً وقدر على نصرى فلم ينصرنى . هذا علم أنى جائع وكان قديراً على أن يطعمنى فلم يطعمنى . وكيف كانت معاملتك مع الناس وكيف كانت معاشرتك لهم ، فبينا أنت كذلك لا تدرى ما تقول ولا تدرى ما تعمل ولا أين تفر ولا كيف تتخلص وقد أبهتك الأمر وأدهشك الحال إذ سمعت نداء المنادى : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ [غافر / ١٧] فلا تسأل عن انخلاع قلبك واضطرام صدرك وقلة أنصارك وعدم الدافعين عنك . فما شئت من ضلوع تتحرق وأكباد تخترق وأحشاء تصطفق وهموم تنبعث عليك وتندفق .

وقد علمت أن الأداء عن نفسك هناك ليس بالدنيا وإنما هى حسناتك التى تعبت فيها فى الدنيا ، إن كانت قد قُبلت منك تعطى عنك لخصمائك وتدفع لطالبيك ، وإن لم تكن لك حسنات أُخذ من سيئاتهم فحملت عليك وألقيت على كاهلك ، ولعلك قد جرأت مسلماً على معصية أو حملته على ارتكاب خطية أو كنت له سببا فى ترك سيئة واعتقاد بدعة فيجمع ذلك كله لك ويناط بك ويحمل على ظهرك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ [العنكبوت / ١٣] .

فانظر وتدبر كيف يكون حالك وقد أضيفت إلى سيئاتك سيئات أُخر وإلى أوزارك أوزار أُخر ، فاجتمعت عليك السيئات وأحاطت بك الخطيئات ، وانكسر ظهرك من ثقلها ولم تستطع النهوض بسببها ، واستغثت فلا مغيث واستعنت فلا معين ، وإلى الله عز وجل ترغب فى المعونة فالتوفيق بيده والفضل فضله وإليه يرجع الأمر كله ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

(٢٠) باب فى الموازين والكتب

أُصلِح بهذا الدار ميزانَكا وليكن العدل به شانكا .
فإنَّ فيه ربحك المرتجى فى تلكم الدار وخُسرانكا .
وليس خسرانك مال ولا أهل فيضنى السقم جثمانكا .
لكنها نفسك فانظر لها واجمع على ذلك أعوانكا .
من عَزمات صادقات ومن صبر يشدُّ اليومَ إيمانكا .
وإنما أصبحت فى مهلةٍ فاجمع إلى فرضك إحسانكا .
واحم على قلبك نارَ الأسى واغسل بماء الدمع أجفانكا .
فربما أضحكَ طولُ البكا وبَرَّدَتْ نارُك نيرانَكا .

٣٥٢- **ذكر الترمذى** من حديث أنس بن مالك قال : « سألت النبى - ﷺ - أن يشفع لى يوم القيامة فقال : أنا فاعل . قال : قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قال : قلت فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطى هذه الثلاث المواطن »[٣٠٣] قال حديث حسن غريب .

٣٥٣- **وذكر الترمذى** أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر

---

(٣٠٣) **صحيح** ذكر المصنف أنه عند الترمذى وهو كذلك فى جامعه (٢٤٣٣) أخرجه من طريق بدل بن المحبر حدثنا حرب ابن ميمون الأنصارى أبو الخطاب حدثنا النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال .. فذكره وقال : « حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهو كما قال والله تعالى أعلم »

ثم يقول : أتنكر من هذا شيء ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلمَ . قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله عز وجل شيء »(٣٠٤) .

٣٥٤- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال : « ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن يخف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً »(٣٠٥) .

٣٥٥- **وروى عن أبى موسى** الأشعرى عن النبى - ﷺ - قال : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاريض ، وأما الثالثة فتطاير الكتب يمينا وشمالاً »(٣٠٦) ذكره أبو بكر البزار وقال الترمذى « جدال ومعاذير » رواه من حديث الحسن عن أبى هريرة .

---

(٣٠٤) **صحيح** - أخرجه أحمد (٢/٢١٣- ٢٢٢) والترمذى (٢٦٣٩) وقال : إسناده حسن وأخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٦) والبيهقى فى « الشعب » وهو فى المشكاة (٥٥٥٩) وصحيح الجامع برقم (١٧٧٢) « والصحيحة » (١٣٥)- قلت : والحديث من أكبر الحجج إن لم يكن أكبرها على أن من مات على التوحيد لا يخلد فى النار وهو أشد على الخوارج ومن ظاهرهم من الفرق المارقة الذين يكفرون فاعل الكبيرة - من الحديد - وفيه من الفوائد ما ليس هنا مكان الإفاضة فيه نسأل الله تعالى أن ينفعنا به بفضله آمين .

(٣٠٥) **لم أهتد إليه- فَلْيُحرَّر - والله تعالى أعلم.**

(٣٠٦) **ضعيف** - أخرجه الترمذى (٢٤٢٥) من طريق وكيع عن على بن أبى على عن الحسن عن أبى هريرة قال . فذكره مرفوعاً قال أبو عيسى - رحمه الله - عقيبه -: « ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. قال : وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى - ﷺ -. قال : « ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى ا هـ

٣٥٦- **وذكر أبو جعفر العقيلى** من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحاً فتطيرها بالأيمان والشمائل أول خط فيها [الإسراء / ١٤] ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ »(٣٠٧) .

٣٥٧- **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - فى قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِم ﴾ [الإسراء / ٧١] قال : « يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتهم فيقول أبشروا لكل [رَجُلٍ] منكم مثل هذا . قال : وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم فيلبس تاجاً فيراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا . قال : فيأتهم فيقولون : اللهم اخزه . فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا »(٣٠٨) وقد تقدم تقرير المؤمن على ذنوبه وتعريفه بها .

---

(٣٠٧) **ضعيف** قال أبو عبدالله الذهبى - رحمه الله - فى « الميزان » (٤/٤٥٩) فى ترجمة يغنم بن سالم : « أتى عن أنس بعجائب (!) ونقل قول ابن حبان من « المجروحين » (٣/١٤٥) كان يضع الحديث على أنس بن مالك وقال ابن يونس حدث عن أنس فكذب وقال الطحاوى حدثنا يونس د الأعلى قال قدم علينا يغنم بن سالم مصر فجئته فسمعته يقول : « تزوجت امرأة من الجن فلم أرجع إليه » .

(٣٠٨) **ضعيف** . وهو فى « جامع الترمذى » كما ذكر المصنف (٣١٣٦) وذكر ابن جرير أبو جعفر رحمه الله جزءاً كبيراً من « التنازع العريض حول تفسير هذه الآية - راجعه وراجع أيضاً الدر (٤/١٩٤) حيث عزاه للترمذى والبزار وابن أبى حاتم وابن حبان والحاكم وصححه ابن مردويه ا.هـ فهو عند الحاكم فى « المستدرك » (٢/٢٤٢) بإسناد فيه عبدالرحمن بن أبى كريمة السدى والد إسماعيل فى هذا الإسناد (!) فالعجب من الذهبى الذى قال فى « الميزان » (٢/٥٨٤) ما حدث عنه سوى ولده وقال فى « التقريب » (١/٤٩٦) مجهول الحال ا.هـ أن يصحح حديثه.
والحديث فى قسم الضعيف من « الجامع الصغير » (٦٤٤١) وراجع « الترغيب » (٤/٢٠٧) .

(٢١) باب ذكر ما يتكلم من الإنس أول وما جاء في شهادة جوارح ابن آدم عليه يوم القيامة

٣٥٨- **ذكر أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث معاوية بن حيدة القشيري أن النبي - ﷺ - قال : « تجيئون يوم القيامة وعلى أفواهكم الكلام فأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه »(٣٠٩) .

٣٥٩- **وذكر مسلم** من حديث أبي هريرة قال : « قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فوالذي نفسي بيده لا تضارُّون في رؤية ربكم إلا كما تضارُّون في رؤية أحدهما . قال فيلقى العبد فيقول [أَيْ فُلْ] ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول : وإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقى الثاني فيقول [أَيْ فُلْ] ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى أي رب . فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ قال فيقول : لا يارب فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك . فيقول : يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع

---

(٣٠٩) « **صحيح** » أخرجه أحمد (٣/٥) والحاكم (٢/٤٣٩-٤٤٠) وأبو بكر بن أبي داود في « البعث . . » (ص ٣٩ - برقم «٢٥») والنسائي (٤/٥ - ٨٢،٥، ٨٣) والطبري (٢٤/٦٩) وأحمد (٥/٥) وابن المبارك في « الزهد » (٩٨٧) وعبدالرزاق (١١/١٣٠ ، ١٣١) وابن عبدالبرّ في « الاستيعاب » (١/٣٢٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٥١) : رواه أحمد ورجاله ثقات » ا.هـ.

فيقال ها هنا إذًا قال ثم يقال : الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال : يا فخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى [يَسْخط الله](٣١٠) عليه » .

٣٦٠- **وذكر مسلم** من حديث أنس بن مالك قال : « كنا عند رسول الله - ﷺ - فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك قال قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول : بلى قال فيقول : فإنى لا أجيزُ على نفسى إلا شاهدًا منى . قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً . قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقى . قال فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل »(٣١١) .

٣٦١- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبة** فى مسنده عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إنى لأعلم آخر رجل من أمتى يجوز الصراط رجل يَتَلوَّى على الصراط كالغلام حين يضربه أبوه تزل يَدُهُ مرة فتصيبها النار وتزل رجله مرة [أخرى] فتصيبها النار . قال فتقول له الملائكة : أرأيت أن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت سوياً [أتخبرنا] بكل عمل عملته ؟ قال فيقول إى وعزته [لا] أكتمنكم من عملى شيئاً قال فيقولون له [قُم] فامش سوياً [قال] فيقوم [فيمشى] حتى يجاوز الصراط فيقولون له أخبرنا بأعمالك التى عملت . فيقول فى نفسه إن أخبرتهم بما عملت ردونى إلى مكانى قال فيقول لا وعزته ما أذنبت ذنباً قط قال فيقولون : إن عليك بينه

---

(٣١٠) * **صحيح** * أخرجه مسلم (١٠٣/١٨ ، ١٠٤) والترمذى (٢٤٢٨) ومسلم (٢٩٦٨) وأحمد (٤٩٨/٢) وغيرهم وقد تقدمت الإشارة إليه - و (قوله) · « أىْ فُلّ » - هو ترخيم على خلاف القياس ، وقيل : هى لغة بمعنى : فلان ، حكاها القاضى » ا.هـ من شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم ، وما بين المعكفات استكملناه من رواية مسلم وكان الناسخ قد بيّض له . والله تعالى أعلم .

(٣١١) * **صحيح** * أخرجه مسلم (١٠٤/١٨ ، ١٠٥) ، وقد تحرفت لفظه « أجيز » إلى « أجر » بجيم وراء مهملة بينهما باء موحدة ، والتصويب من رواية مسلم .

قال فيلتفت يميناً وشمالاً هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد فى الدنيا فلا يرى أحَدًا فيقول : هاتوا [بُرْهَانَكُم] فيختم الله على فِيِّه وتنطق يداه ورجلاه وفخذاه بعمله فيقول : إى وعزتك لقد عملتها وإن عندى [لَعَظَائِمُ ٱلمُوبِقَات] قال فيقول الله . اذهب [فقد] غفرتها لك »(٣١٢) .

---

(٣١٢) « حسن» وهو فى « المطالب العالية » (٣٦٧/٤ ، ٣٦٨) وعزاه لأبى بكر بن أبى شيبة وقال الأعظمى . قال البوصيرى . رواه ابن أبى شيبة بإسناد حسن » ا هـ

(٢٢) باب ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه

٣٦٢- **ذكر أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث عائشة قالت : « قلت يا رسول الله أتذكرون أهاليكم يوم القيامة ؟ قال : أما عند ثلاث فلا ؛ عند الكتاب وعند الميزان وعند الصراط »(٣١٣) .

٣٦٣- **وذكر مسلم من حديث** أبي هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله - ﷺ - « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة . فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله . قال فيقول إبراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً . فيأتون موسى عليه السلام فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه . فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك . قال : فيأتون محمداً - ﷺ - فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق . قال قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟! ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم - ﷺ - قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة

---

(٣١٣) **حسن إن شاء الله** أخرجه أبو داود في « سننه » (٤/٢٤٠ ، ٢٤١) وأحمد (٦/١١٠) من وجوه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً »(٣١٤) .

٣٦٤- **وعن أبى سعيد الخدرى** عن النبى - ﷺ - وذكر الصراط ومرور الناس عليه - قال : فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم »(٣١٥) .

٣٦٥- **وعن أبى هريرة** عن النبى - ﷺ - وذكر حديث الشفاعة - قال : « ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم [المؤمن بقى] بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى » وذكر الحديث(٣١٦) .

قد سمعت - رحمك الله - بهذا الطريق الحرج والمسلك الشاق والقنطرة المضطربة التى لا تثبت فيها الأقدام ولا تجوزها الأوهام إلا قدم ثبتت فى التقوى ووهم جارى فى الملكوت الأعلى ، لعلك تظن أن هذا الطريق من طرق الدنيا الصعبة وسبلها الوعرة بل هو أحد من السيف أدق من الشعرة ، فما ظنك بك وقد حملت عليه وكلفت المرور به ومهواه جهنم تحتك وقد ملأ زفيرها أذنك ومنظرها الهائل قلبك فرعبك ، وأردت المرور فلم تقدر والنهوض فلم تستطع ، واضطرب بك إضطراباً والتهب ذاك السعير تحتك ولم تجد إلى النجاة سبيلا ولا إلى الخلاص باباً ، ولا نهض

---

(٣١٤) * **صحيح** * - وهو فى صحيح مسلم (٣/٧٠ ، ٧١ - نووى) .

(٣١٥) * **صحيح** * وهذه قطعة من حديث الشفاعة الطويل الذى أخرجه مسلم (٣/٢٥ - ٣٠ - نووى) وغيره عن أبى سعيد

(٣١٦) **حديث أبى هريرة فى الشفاعة .. الحديث**
- * **صحيح** * - أخرجه البخارى (٦/٣٧١ ، ١١/١٩٥ ، ١٩٦ - فتح) ومسلم (٣/١٧/٢٥) وغالب أصحاب الكتب رحمهم الله

بك إلا سعيك الذى سعيت ولا جرى بك إلا عملك الذى عملت ومركوبك الذى فى الدنيا ركبت ، فلتختر الآن أى المراكب تركبها وأى الأبواب تدخلها وأى الطرق تأخذ فيها وتسلكها ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأنشدوا :

أَجْنِب جياداً من التقوى مضمرة للسبقِ يومَ يفوز الناس بالسبقِ.
تمرُّ مرَّ الرياحِ الهوج عاصفةً أو لمحةَ البرقِ إذ يجتاز بالأفقِ .
واركض إلى الغاية القصوى وخلِّ لها عنان صدق رمى فى القينة الصدق.
فإن خلفك أعمالاً مثبطة ولست تنهض إلا ويك بالعشق .
كم حل عزمك من دنيا معرجة نقصدك اليوم عن مسلوكة الطرق.
وبان من بان لا حزن ولا فرق وحلفوك حليف الحزن والفرق .
يا غافلاً والمنايا منه فى ذِكْرٍ وضاحكا والردى عليه فى حُنق .
قطعت عمرك فى سهوٍ وفى سِنةٍ ومن ورائك ليلٌ دائمُ الأرق .
ورُبَّ رأيٍ تراه اليوم من سفهٍ عقلاً تراه فى غاية الحذق .

٣٦٦- **وذكر الترمذى** من حديث المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « شعار المؤمنين على الصراط : سلم سلم »(٣١٧) وذكره الحارث بن أبى أسامة من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - .

وبات للدود فيه طعماً وللهوام العطاش شفا .
وليته لم يكن رهينا بكل ما قدمها وأهفا .

ولعلك قد كنت فى الدنيا ممن يشكو بتبديل المنازل وإن كانت حساناً ويكثر فيها [متعاً] وافتتاناً ولا ترى لربك عز وجل عليك فيها تفضيلاً ولا امتناناً ، فانظر الآن كم بين المنزلين وكم قدر ما بين الوحشتين إلا أن يدركك فيض الرحمة وتغشاك روائح المنة فتتسع من القبر أقطاره وتمتد أنواره ويكثر مؤنسوه وزواره .

---

(٣١٧) * - **ضعيف** *- أخرجه الترمذى فى جامعه (٢٥٤٩ - تحفة) وهو فى « صعيف الجامع » (٣٤٠٠) وقال الإمام الهيثمى (٣٦٢/١٠) : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه من وثق على ضعفه ، وعبدوس بن محمد لم أعرفه » ا هـ.

وأنشدوا :

من كان يوحشه تبديل منزله وإن تبدل منه منزلاً حسنا .
ماذا يقول إذا أمسى بحفرته فرداً وقد فارق الأهلين والسكنا ؟!
أم ما يقول إذا ضمت جوانبها عليه واجتمعت من ها هنا وهنا؟
هناك يعلم قدر الوحشتين وما يلقاه من فات باللذات تهنا .
يا غفلتا ورماح الموت شارعة والسيف ألقى برأسى نحوه .
ولم أعد مكاناً للنزول ولا أعددت زادًا ولكن عزة ومنا .
إن لم يَجُد من يُوالِى جودَه ويعفُ من عفوه من طالبيه دنا .
فيا إلهى . الجود وأكفه سحاء تمطرنا الأفضال والمننا .
أيسِر هنالك يا رحمن وحشتنا والطف لنا وترفق عند ذاك بنا .
نحن العصاة وأنت أنت ملجأنا وأنت مقصدنا وأنت مطلبنا .
فكن لنا عند باهاها وشدتها أولا فمن ذا الذى بها يكون لنا .

وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر [بكى] حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا ؟ فقال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » وسمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع »(٣١٨) ذكره الترمذى .

٣٦٧– **وذكر الترمذى** أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى قال : « دخل رسول الله – ﷺ – مصلاة فرأى ناساً كأنهم يكتشرون قال : أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات [الموت] لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم [يأت] على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دُفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحباً وأهلاً أما إن كنت أحب من يمشى على ظهرى إلَىَّ فإذْ وَلِيتُكَ

---

(٣١٨) « صحيح إن شاء الله » وهو فى « جامع الترمذى » (٢٤١٠ – تحفة) و « مستدرك » الحاكم (٣٢٩/٤ ، ٣٣١)

اليوم وصرت إلىَّ فسترى صيعي بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىَّ فإذْ وَلِيْتُكَ اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى بك . قال [فَيَلْتَئِم] عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه . قال : قال رسول الله – ﷺ – بأصابعه فأدخل بعضها فى بعض . قال : وَيُقَيَّضُ له سبعون تنيناً لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا [فينهشنه] [ويخدشنه] حتى يُفضى به الحساب ، قال قال رسول الله – ﷺ – : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »(٣١٩) .

٣٦٨- **وروى أبو الحجاج الثمالى** قال : قال رسول الله – ﷺ – : « يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى إذ كنت تمر بى فداداً قال فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال فيقول القبر : إنى إذاً أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين »(٣٢٠) ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم فى كتاب الكنى وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ ، قيل لأبى الحجاج ما الفداد ؟ قال : الذى يقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى يعنى الذى يمشى مشية المتبختر .

وقال مجاهد : « أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول : أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ما أعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لى ؟ » .

---

(٣١٩) « **ضعيف** » وقد أخرجه الترمذى – كما أشار المصنف – (١٥٧/٧ – ١٦٠ – تحفة) ، وفى إسناده ثلاثة ضعفاء وأورده المنذرى فى « الترغيب » (١٢٩/٤) وقال . رواه الترمذى واللفظ له ، والبيهقى [ولم يُعين] – وقوله . « ويكتشرون » أى يضحكون ففى القاموس « كشر عن أسنانه · أبدى ، يكون فى الضحك وغيره » .

(٣٢٠) « **ضعيف** » قال الإمام الهيثمى (٤٨/٣) · رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير وفيه أبو بكر بن أبى مريم وفيه ضعف لاختلاطه » ا.هـ

وقال أبو ذر : « ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أدخل قبرى » .

وقال بعض الحكماء : أربعة أنجى لأربع الموت نجو الحياة ...(٣٢١) أسامة المشترى إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ما طرفت عينى إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض روحى ولاطعمت لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم إن كنتم تعقلون فعدو أنفسكم من الموتى فوالذى نفسى بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

٣٦٩- وعن ابن عباس أنه قال : « كان رسول الله - ﷺ - يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما تدرى لعلى لا أبلغه »(٣٢٢) ذكره الحارث بن أبى أسامة فى مسنده .

٣٧٠- ويروى عنه عليه السلام أنه قال : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل »(٣٢٣) .

٣٧١- وخطب على - رضى الله عنه - فقال : « ألا وإن الدنيا قد أدبرت بوداع والآخرة قد أقبلت وأذنت باطلاع ألا وإن المضمار اليوم والسباق غدًا ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار ألا وإنكم فى أيام مهل من ورائه أجل يحثه عجل فمن عمل فى أيام مهله قبل حضور أجله سره أمله وساءه عمله »(٣٢٤) .

---

(٣٢١) * سقط أدّى إلى ما ترى من عدم وجود مدخل للكلام أو استهلال له فجاء متورًا هكذا (!) فالله تعالى المستعان.

(٣٢٢) * ضعيف * قال الزين العراقى فى « تخريج الإحياء » (١١١/٦) [رواه] ابن المبارك فى « الزهد » وابن أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والبزّار بسند ضعيف » ا.هـ.

(٣٢٣) * حسن * وهو فى « الفردوس » (٦٨٥٣) و « فيض القدير » (٩٢٥٦) وفى « الترغيب » (٢٤١/٤) رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى ، كلاهما من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وانظر « الإحياء » (٤٣٨/٤) - الاتحاف (٢٣٩/١٠).

(٣٢٤) - خطبة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب -رضى الله عنه- راجع لهما الجامع لخطبه « نهج البلاغة ».

٣٧٢- **وقال على** - رضى الله عنه - : « ألا إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ألا وإن أشد ما أخاف عليكم خصلتان طول الأمل واتباع الهوى أما طول الأمل فإنه ينسى الآخرة واتباع الهوى فإنه يصد عن سبيل الله » .

٣٧٣- **وقال سلمان الفارسى** - رضى الله عنه - : « ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى أما الأُوَل : فمؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخطٌ عليه رب العالمين أم راضٍ عنه ، وأما الثلاث اللاتى أحزنتنى حتى أبكتنى : ففراق محمد - ﷺ - وفراق الأحبة أصحابه والوقوف بين يدى الله عز وجل ولا آدرى أيؤمر بى إلى الجنة أم إلى النار » .

٣٧٤- **وقال أبو زكريا التيمي** : « بينا هشام بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أُتِى بحجرٍ مكتوب باللسان العجمى فطلب من يقرأه فأتى بوهب بن منبه رحمه الله فقرأه فإذا فيه : ابن آدم لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والشيب فلا أنت لدنياك عابد ولا فى حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة » .

٣٧٥- **وقال الحسن** « كان آدم عليه السلام قبل أن يخطىء الخطيئة أمله خلف ظهره والموت نصب عينيه فلما أصاب الخطيئة تحول أمله فصار بين عينيه وصار أجله خلف ظهره » .

٣٧٦- **وقال الحسن** « ما أطال عبد الأمل إلا نسى العمل » .

٣٧٧- **ويروى عن** أبى الدرداء « أنه قام على درج مسجد دمشق فقال : يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح إن من قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً هذه عَادٌ قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً فمن يشترى اليوم منى تِركَتَهم بدرهمين ؟! » .

وقيل لبعض الزهاد بالبصرة « ألك حاجة ببغداد ؟ فقال : ما أحب أن أبسط أملى حتى تمضى إلى بغداد وتجىء » .

وقال بعض الحكماء : « الأمل كالسراب غَرَّ مَنْ رآه وخاب من رجاه » .

وخطب عمر بن عبد العزيز يوماً فقال : « ألا إن لكل سفر زاداً فتزودوا التقوى لسفركم من الدنيا إلى الآخرة وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبُكم وتنقادوا لعدوكم وأنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات المنون وإنما تَقَرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من أمن أهوال يوم القيامة وأما من لا يداوى جرحاً إلا أصابه جارح من ناحية أخرى كيف يفرح ؟! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر غباوتى إنكم قد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت أو الجبال لذابت أو الأرض لتشققت أما تعلمون النقع عندى فى هذا الحديث إلا الصوت الشديد واللقلقة رفع الصوت » .

وأما حديث النبى – ﷺ – فى هذا الباب فى إباحة البكاء من غير نياحة ولا صارخ فصحيح مشهور .

٣٧٨- **وذكر مسلم بن الحجاج** عن أسامة بن زيد قال : « كنا عند النبى – ﷺ – فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابنًا لها فى الموت . فقال للرسول : ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجلٍ مسمًّى فمرها فلتصبر ولتحتسب . فعاد الرسول فقال : قد أقسمت لتأتينها . قال فقام النبى – ﷺ – وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل وانطلقت معهم فُرفع إليه الصَّبىُّ ونفسه تقعقع كأنها فى [شَنَّة] ففاضت عيناه فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه [رحمة] جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »(٣٢٥) .

---

(٣٢٥) « صحيح » أخرجه البخارى (٣/١٥١ – فتح) ومسلم (٦/٢٢٤ – نووى) وأبو داود (٣/١٩٣) وأحمد (٥/٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧) والبيهقى (٤/٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩) وغيرهم

٣٧٩- **وعن أنس بن مالك** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ولد لى الليلة غلام فسميته إبراهيم » فذكر الحديث - وفيه : « فدعا النبى - ﷺ - بالصبى فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول » قال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدى رسول الله - ﷺ - فقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون »(٣٢٦) قوله يكيد بنفسه يعنى يموت .

٣٨٠- **وعن عبد الله بن عمر** بن الخطاب قال : « اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتى رسول الله - ﷺ - يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده فى غشية فقال [أَقَدْ] قضى ؟ فقالوا : لا يا رسول الله . قال : [فَبَكَى] رسول الله - ﷺ - فلما رأى القوم بكاء رسول الله - ﷺ - بكوا فقال : ألا تسمعون أن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم »(٣٢٧) .

٣٨١- **وذكر أبو عبد الرحمن النسائى** من حديث أبى هريرة قال : « مات ميت من آل رسول الله - ﷺ - فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن [وَيَطْرُدُهُنَّ] فقال رسول الله - ﷺ - : دعهن يا عمر فإن العين دامعة [وَالْقَلْبَ] مصاب والعهد قريب »(٣٢٨) .

وعن جابر بن عبد الله قال : « قتل أبى يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى وجعل الناسُ ينهونى ورسول الله - ﷺ - لا ينهانى وجعلت

---

(٣٢٦) * صحيح * أخرجه البخارى (١٧٣/٣ - فتح) .

(٣٢٧) هو * - صحيح * أخرجه البخارى (١٧٥/٣ - فتح) ومسلم (٢٢٦/٦) وما بين المعكمات من رواية مسلم

(٣٢٨) * ضعيف * أخرجه النسائى (١٩/٤ - سيوطى) وابن حبان (٦٣/٥) وفيه سلمه بن الأزرق ، قال الذهبى فى « الميزان » (١٨٨/٢) « لا يعرف حديثه . وذكر هذا الحديث وقال وهذا الرجل لم يذكره ابن أبى حاتم ا.هـ.

عمتى تبكيه فقال رسول الله - ﷺ - تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تطله بأجنحتها حتى رفعتموه » وقد ذكر مسلم أيضاً هذا الحديث[٣٢٩] .

٣٨٢- **ويروى عن عائشة** -رضى الله عنها- قالت : « لما مات عثمان بن مظعون كشف النبى - ﷺ - الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكا بكاء طويلاً فلما رفع على السرير قال : طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها »[٣٣٠] وبكاء النبى - ﷺ - على عثمان بن مظعون مشهور ذكره أبو داود وغيره وذكره الحاكم فى الكنى وقال فيه : « فبكى القوم لما بكى النبى - ﷺ - فقال النبى - ﷺ - : « إنما هذا من الشيطان استغفر الله اذهب أبا السائب فقد خرجت منها ولم [تَلَبَّسْ][٣٣١] منها بشىء » .

وقوله عليه السلام : « إنما هذا من الشيطان » والله يعلم أن بكاء القوم كثر حتى صار إلى حد مكروه عنده - ﷺ - وقد يُكره الاستكثار من الشىء المباح حتى يقال لصاحبه فعلك هذا ما هو بصواب وهذا من الشيطان لأن الشىء المكروه يقال فيه هذا من الشيطان .

وقد ذكر عند النبى - ﷺ - رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » وإنما نام هذا عن صلاة الليل ونوم الليل كله مباح لكن لما أكثر هذا منه وضيع حظه من صلاة الليل ضرب له المثل بوقوع البول المفسد الضار فى أذنه كقول الراجز : « بال سهيل فى الفضيخ ففسد » وليس لسهيل بول إنما هو نجم يطلع فيفسد الفضيخ بعده ، كذا فسره الخطابى قال : وإن أراد عليه السلام عفن البول فلا ينكر أن كانت له هذه الصفة ، وهذا الحديث ذكره مسلم والبخارى والنسائى وغيرهم فى صلاة الليل .

وكذلك أيضاً المنظر الكريه يقال فيه هذا شيطان وكأنه وجه شيطان ، وكذا فسر قوله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس

---

(٣٢٩) * **صحيح** * أخرجه البخارى (١١٤/٣ ، ١٦٣ - فتح) ومسلم والنسائى (١٢٠/٤) وغيرهم.

(٣٣٠) * **صحيح** * أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ » (٩١/٢ - زرقانى).

(٣٣١) * **تلبّس**) **غير واضحة بالأصل** - وهى تتلبس ومعناها لم تتلبس من الدنيا بشىء كثير ، وفيه مدح الزهد وذم الاستكثار.

الشياطين ﴾ [الصَّافَّات / ٦٤ ، ٦٥] قيل : شبهها برؤوس الشياطين لكراهية هذا الاسم عندهم ولأنهم ينسبون كل شيء مكروه إلى الشيطان .

وأما أن يكون البكاء كله من الشيطان فلا . فقد قال - ﷺ - : « إن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله . قالت : وهَل ، إنما قال رسول الله - ﷺ - : إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن »(٣٣٢) .

٣٨٣- **وعن عمرة** بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رحمها الله - وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول : إن الميت ليعذب ببكاء الحى - فقالت عائشة : « يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ ، إنما مَرَّ رسول الله - ﷺ - على يهودية يبكى عليها [أهلها] فقال : إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب فى قبرها »(٣٣٣) قد صح حديث عمر وابن عمر - رضى الله عنهما - فى تعذيب الميت ببكاء الحى من حديثهما ومن حديث المغيرة بن شعبة .

٣٨٤- **ذكر مسلم بن الحجاج** عن المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « من « نِيحَ] عليه فإنه يعذب بما نِيحَ عليه يوم القيامة »(٣٣٤) .

وعائشة - رضى الله عنها - إنما حدثت بما سمعت وأنكرت ما لم تسمع .

وقال بعض العلماء أو أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحى إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره أو يكون قد وصى به .

وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذابٌ ما ببكاء الحى وإن لم يكن من سنته ولا من [اختياره] ولا مما أوصى به .

٣٨٥- **ذكر ابن أبى خيثمة** من حديث قيلة بنت [مخرمة التميمية] وذكرت عند رسول الله - ﷺ - ولداً لها مات ثم بكت فقال رسول الله - ﷺ - :

---

(٣٣٢) * **صحيح** * أخرجه مسلم فى « صحيحه » (١٣٤/٦ - نووى) وهو فى « الموطأ » (٢٣٤/١ - عبدالباقى) وغيرهم.

(٣٣٣) * **صحيح** * أخرجه مالك والشيخان وغيرهم ، وما بين المعكمات من « الموطأ ».

(٣٣٤) * **صحيح** * أخرجه الشيخان ، البخارى (١٦١/٣ - فتح) ومسلم (٢٣٥/٦ - نووى) وأحمد (٢٤٥/٤ - ٢٥٢ ، ٢٥٥) والبيهقى (٧٢/٤) وغيرهم.

أيغلب أحيدكم أن يصاحب صويحبهُ فى الدنيا معروفاً [فإذا حال بينه] وبينه من هو أولى به منه استرجع ثم قال : اللَّهم [أنسِنِى مَا أُمْضَيْتَ وَأَعِنّى] عَلَى ما أبقيت فوالذى نفس محمد بيده أن أحيدكم ليبكى [فيستعيذ إليه] صويحبه فياعباد الله لا تعذبوا إخوانكم »(٣٣٥) وذكره [الطبرانى] أيضاً وهو حديث معروف وإسناده لا بأس به ومساق [ذلك] أنه لم يكن من اختيار ابنها لأن ابنها صاحب من أصحاب رسول الله – ﷺ – ولا كان هذا البكاء المعروف فى الجاهلية الذى كان [ينهى عنه] .

٣٨٦– **وذكر البخارى** من حديث النعمان [بن بشير] [قال أُغْمِىَ] على عبد الله ابن رواحه فجعلت أخته [عمرة] تبكى : واجبلاه واكذا واكذا [تُعَدِّد عليه] فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلّا قيل لى أنت كذلك ؟ قال : فلما مات لم تَبْكِ عليه »(٣٣٦) وهذا أيضاً لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما رضى به . [بل] منصبه فى الدين أجل وأرفع من أن يأمر بهذا أو يوصى به .

[وتعذيب الميت] ببكاء الحى إذا قالت النائحة واعضداه واناصراهِ واكاسباه جُبِذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت كاسبها ؟ ذكره أبو عمر بن عبد البر فى الاستذكار .

وأيضاً فإن البكاء عند الغرب يكون البكاء المعروف ، ويكون النياحة وقد يكون معها الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب ولا أعلم خلافاً أن هذا كله حرام وقد ورد الوعيد على هذا كله .

---

(٣٣٥) – **خبر قيلة بنت مخرمة التميمية ..**
« **حسن** » حسّنه الحافظ فى « الفتح » عند كلامه على حديث . « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » من كتاب « الجنائز »، وذكره فى « الإصابة » (١٧٢/٨ ، ١٧٣) وذكر أن الطبرانى أخرجه مطولا ، والبخارى– طرفا منه– فى « الأدب المفرد » وأيضا أبو داود والترمذى، وما بين المعكفات من « الإصابة »

(٣٣٦) « **صحيح** » أخرجه البخارى فى « الجنائز » من صحيحه (١٦٥/٥٣) والبيهقى (٦٤/٤) من طريق الإسماعيلى وما بين المعكفات من رواية الصحيح.

٣٨٧- **ذكر مسلم بن الحجاج** رحمه الله من حديث أبى بردة بن أبى موسى قال : « وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله - ﷺ - فإن رسول الله - ﷺ - برىء من الصالقة والحالقة والشاقة »(٣٣٧) .

٣٨٨- **وفى لفظ آخر** عن عبد الرحمن بن يزيد وأبى بردة قالا : « أغمى على أبى موسى وأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برنة قالا : ثم أفاق فقال : ألم تعلمى وكان يحدثها أن رسول الله - ﷺ - قال : أنا برىء ممن حلق وسلق وحرق »(٣٣٨) .

الصالقة هى التى ترفع صوتها بالعويل عند المصيبة والحالقة هى التى تحلق شعرها والشاقة هى التى تشق ثوبها كل ذلك عند المصيبة .

٣٨٩- **وذكر مسلم** أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعاء الجاهلية »(٣٣٩) .

وعن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « [اثنتان فى] الناس [وَهُمَا بِهِمْ] كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت »(٣٤٠) .

---

(٣٣٧) * صحيح * أخرجه البخارى (٣/١٦٥ - فتح) ومسلم والبيهقى (٤/٦٢) والنسائى (٤/٢٠ - سيوطى) وغيرهم

(٣٣٨) * صحيح * وأشرنا إليه فى الذى قبله ، ونزيد هنا أن ابن حبان أخرجه (٥/٦١) - ● - والسّالقة والصّالقة : هى رافعة صوتها عند المصيبة ، من قول ربنا تبارك اسمه ﴿ سلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ ﴾
● - والحالقة : هى التى تحلق شعرها عند المصيبة والعياذ بالله تعالى
● - والخارقة : هى التى تخرق ثوبها حرعًا على الميت ، برأ إلى الله من كلّ ذلك

(٣٣٩) * صحيح *- أخرجه البخارى (٣/١٦٦ - فتح) ومسلم والبيهقى (٤/٦٣) وابن الجارود فى « المنتقى » برقم (٢٥٧)

(٣٤٠) * صحيح * رواه ابن حبان فى « صحيحه » (٥/٦٤) والبيهقى فى « السنن الكبرى» (٤/٦٣) - وغيرهم. والله تعالى أعلم

٣٩٠- **وعن [أبى] مالك الأشعرى** أن النبى - ﷺ - قال : « أربع فى [أمتى] لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، [والاستسقاء بالنجوم] والنياحة . وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة [وعليها سربال] من قطران ودرعٌ من جَرَبٍ » وأما البكاء من غير نياحة وقد قال عمر بن الخطاب : « دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم [يَكُنْ نَقْعٌ أَوْ لَقْلَقَةٌ] »(٣٤٢) والنقع ارتفاع الصوت واللقلقة تتابع ذلك .

وقال أبو عـ[بيد](٣٤٣) قال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الرأس .

قال أبو عبيد و [لا يكره] الموت لذات ، ولا لأنه هادم لذاته ، لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد ، والاكتساب ليوم الحساب ، ويكره أن تطوى صحيفة عمله ، قبل بلوغ أمله وأن يبادر بأجله قبل بلوغ إصلاح خلله ، وتدارك زلله ، فهو يريد البقاء فى هذه الدار لقضاء هذه الأوطار ، والإقامة بهذه المحلة ، بسبب هذه العلة ، كما روى عن بعض الصالحين وقد بكى عند الموت فقيل له وما يبكيك فقال والله ما أبكى لفراق هذه الدار ، حرصاً على غرس الأشجار ، وإجراء الأنهار ، لكن على ما يفوتنى من الادخار ، ليوم الافتقار ، والاكتساب ليوم المآب ، قال هذا أو معناه وقال القائل :

أهون بداركم وأهلها وأضرب بها الصفحات من مُحبِّها .
الله يعلم أنى لست وامقها ولا أريد بقاء ساعة فيها .

---

(٣٤١) « صحيح » أخرجه مسلم (٢٣٥/٦ - نووى) وابن حبان فى « صحيحه » (٥٧/٥ و٥٨) والبيهقى (٦٣/٤) .

(٣٤٢) و « أبو عبيد » ذاك الجبل، ما كان ليخفى على الناسخ حتى يتهوّن فى كتابة اسمه رحمه الله وطيب ثراه (!)

(٣٤٣) « صحيح » وهو فى « البخارى » (١٦٠/٣) معلقا قال الحافظ - رحمه الله - . « هذا الأثر وصله المصنف فى التاريخ الأوسط » ا.هـ (!)
قلت · التاريخ الأوسط أعزّ من عنقاء مغرب (!) على أن الحافظ قد ذكر إسناد الأثر فى « الفتح » وهو صحيح كما أسلفنا ولله الحمد.

لكن تمرغت فى أدناسها حقباً وبت أنشرها حباً وأطويها .
وكم تحملت فيها غير مكترث من شامخاتِ ذنوبٍ لست أحصيها .
فقلت أبقى لعلى أن أهدم ما بنيت منها وأدناسى أتقيها .
ومن ورائى عقاب لست أقطعها حتى أخفف أحمالى وألقيها .
يا ويلتا وبحار العفو زاخرة إن لم تصبنى يرش فى تثنيها .

وهذا إذا مات فيالله دره من ميت ما أفضل حياته ، وأطيب مماته ، وأعظم سعادته ، وأكرم وفادته ، وأتم سروره ، وأكمل حبوره .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه »(٣٤٤) لأن هذا لم يكره لقاء الله لذات اللقاء إنما كره أن يقدم على الله عز وجل متدنساً بأوضاره ثقيل الظهر من أوزاره ملآن من عاره وشناره ، فإذا دان يتطيب للقاء ويستعد لفصل القضاء .

قال أبو سليمان الدارانى قلت لأم هارون العابدة : « أتحبين أن تموتى قالت : لا قلت : ولم ؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه ، فكيف بالخالق جل جلاله ؟ » .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : « يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم أخراكم فأنتم تكرهون النقلة من العمـران إلى الخراب قال كيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفاً محزوناً » .

وقال أبو بكر الكنانى : كان رجل يحاسب نفسه فحسب يوماً سِنَّه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوماً وخمس مائة يوم فصرخ صرخة خر مغشياً عليه فلما أفاق قال : يا ويلاه أنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمس مائة ذنب ؟ يقول : هذا لو كان ذنب واحد لكل يوم فكيف بذنوب لا

---

(٣٤٤) قوله (قوله عليه السلام : من كره لقاء الله . الحديث هو صحيح ، وهو جزءٌ من الحديث الآتى بعده مباشرة .

تحصى ؟! ثم قال : آه علىّ عمرت دنياى ، وخربت أخراى ، وعصيت مولاى ثم لا أشتهى النقلة من العمران إلى الخراب ، بلا عمل ولا ثواب ، ثم **أنشد** :

منازل دنياك شيدتها وخربت دارك فى الآخرة .

فأصبحت تكرهها للخراب وترغب فى دارك العامرة .

ثم شهق شهقة عظيمة فحركوه فإذا هو ميت .

٣٩١- على أن هذا الحديث « من كره لقاء الله » قد جاء مفسراً ؛ قالت عائشة - رضى الله عنها - : قال رسول الله - ﷺ - : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقلت : يا رسول الله أكراهية الموت ؟ فَكُلُّنَا يكْرَه الموت قال : ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه »(٣٤٥) ذكره مسلم بن الحجاج .

٣٩٢- **وقال البخارى** فى هذا الحديث : « ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا [حُضِرَ] بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه »(٣٤٦) .

ورجل آخر وهو من القليل قليل قد عرف الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وشاهد ما شاهد هو من كمال الربوبية ، وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينه وقلبه ، وأطاشت عقله ولبه وهو يحن إلى ذلك المشهد ، ويحوم على ذلك المورد ، ويستعجل إنجاز ذلك الموعد ، وقد علم أن الموت حجاب بينه

---

(٣٤٥) « **صحيح** »- أخرجه مسلم (٨/١٧ - نووى) ، والحديث أخرجه البخارى فى « صحيحه » وأحمد فى « مسنده » والترمذى والنسائى وابن ماجة فى سننهم وابن حبان فى « صحيحه » والبغوى فى « شرح السنة » والطيالسى . البخارى (٤٦٦/١٣) ومسلم (٢٦٨٥) وأحمد (٤١٨/٢ ، ٤٥١ ، ٣١٣ ، ٤٢٠) والإمام مالك فى « الموطأ » (٢٤٠/١) والنسائى (٩/٤ ، ١٠) وابن حبان (٣٥١/١) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٦٢/٥) من طرق عن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- .

(٣٤٦) « **صحيح** » وهو فى « البخارى » (٣٥٧/١١) من طريق همام حدثنا قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت عن النبى - ﷺ - قال . فذكره

وبين محبوبه ، وستر مسدل بينه وبين مطلوبه ، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه ، فلو أصاب إلى هتك ذلك الحجاب هتكه ، ورفع ذلك الستر رفعه ، وكسر ذلك الباب حطمه وكسره ، فعذابه فى الحياة ، وراحته فى الممات .

٣٩٣- **كما يروى** أن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - لما نزل به الموت قال : « حبيب جاء على فاقة » وقد قيل : الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب .

يروى عن على بن الفتح أنه رأى الناس فى يوم عيد يتقربون بقرابينهم يعنى بضحاياهم فقال يارب وأنا أتقرب إليك بأحزانى ثم غشى عليه فلما أفاق قال : يا إلهى إلى كم ترددنى فى هذه الدنيا ؟ فمات من ساعته .

ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال .

وآخر قد شاهد ما شاهد ذلك وربما زاد عليه لكنه فوض الأمر إلى خالقه وسلم الحكم لبارئه فلم يرض إلا ما رضى له ولم يرد إلا ما أريد به ولا اختار إلا ما حكم فيه إن أبقاه فى هذه الدار أبقاه وإن أخذه إليه أخذه .

٣٩٤- **قال أحمد** بن أبى الحوارى قال أبو سليمان الدارانى : « الناس رجلان رجل أحب الله فأحب الموت شوقا إلى لقاء الله ، ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله . قال : فوثب غلام لم يحتلم فقال : ورجل ثالث أو قال : ورجل آخر . فقال أبو سليمان : ومن هو ؟ فقال : من لم يختر هذا ولا هذا ؛ اختار ما اختار الله عز وجل له . فقال أبو سليمان : احتفظوا بالغلام فإنه صِدِّيق » .

واجتمع يوما وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن أسباط فقال الثورى : « كنت أكره موت الفجأة وودت اليوم أنى مت فقال له يوسف بن أسباط : لم ؟ قال : لما أتخوف من الفتنة فى الدين قال يوسف : لكنى أحب الحياة وطول البقاء . قال له سفيان : لم ؟ قال : [لعلى] أن أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا . فقيل لوهيب : أى شىء تقول أنت ؟ قال : أنا لا أختار شيئا ، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله عز وجل . فقبَّل الثورى بين عينيه وقال : روحانية ورب الكعبة » .

وقال ابن جهضم : عن على بن عثمان بن سهل قال : دخلت على عمرو بن عثمان وهو فى علته التى توفى منها فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : أجد سرى واقفا

مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام – يعنى مثل الماء فى الإناء أو القرار من الأرض يقول : لا يختار الحياة ولا الموت .

وقال القائل فى هذا المعنى :

كل ما يفعل الحبيب حبيب والذى شاءنى فشىء عجيب .
إنْ سكونٌ أراد لى فسكون أو وجيب أراد لى فوجيب .
وإذا ما أراد موتى فموتى أو حياتى لكلٍّ ذاك أجيب .
كل ما كان من قضاء فيحلو بفؤادى نزوله ويطيب .

وهذا إذا مات لا يُسأل عن حاله ولا يقال ما فُعِل به ، ومنهم من يتمنى الموت ويشتهيه ويسأله ربه تعالى ويرغب إليه فيه ، وقد علم أن وراءه يوما ثقيلا وحبسا طويلا ومقاما يقوم فيه ذليلا ، لكن لما رأى نفسه [مستهدفا] للمحن معرضا للفتن مرتَهَنا بما هو مرتهن ، وأبصر تفريطه فى الزاد ليوم المعاد وفى الاستعداد ليوم الأشهاد ، وخاف أن يقتطع عن سبيل المؤمنين ويختلج عن طريق المسلمين ؛ تمنى الموت لينجو من هذا الخطر ويسلم من هذا القدر وأن يقدم على الله عز وجل بالإيمان كائنا منه بعد ذلك ما كان ، وهذا إن شاء الله إذا مات خرجت له البشرى بالأمان وأن يحتل فى جوار الرحمن حيث شاء من دار الكرامة والرضوان .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به » فإنه عليه السلام إنما أراد الضر الدنياوى الذى ينزل بالإنسان من محن الدنيا فى النفس والأهل والمال وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضر الأخراوى وأن يُقتطَع بالمعاصى عن الله ، وأن يُصَد بالفتن عن سبيل الله وبالجملة فالموت طريقُ نجاةٍ يركبها المؤمنون ومورد سلامة يَرِده المسلمون ، لقوا فيه ما لَقوا وسُقوا فيه ما سُقوا ، كل ذلك يهون لما يُقضِى بهم إليه من السعادة الأبدية والحياة السرمدية ، نسأل الله جميل الخاتمة ، وحسن العاقبة ومَرَدًّا غير مُخزٍ ولا فاضح برحمته لا رب غيره .

والأحاديث التى وردت فى النهى عن تمنى الموت صحيحة مشهورة .

٣٩٥- **ذكر مسلم بن الحجاج** رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يتمنَ أحدُكم الموتَ لضرٍ نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى »[٣٤٧] .

[وقد] بكا - ﷺ - وأباح البكاء

٣٩٦- **وذكر النسائى** عن جابر بن عتيك أن رسول الله - ﷺ - : « جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غُلب فصاح فلم يجبه ، فاسترجع رسول الله - ﷺ - وقال : قد غُلبنا عليك يا أبا الربيع ، فصحن النسوةُ وبَكَيْنَ ، فجعل ابن عتيك يُسكِتهن ، فقال رسول الله - ﷺ - : دعهن فإذا وجب فلاتَبْكِيَنَّ باكيةٌ ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت »[٣٤٨] .

٣٩٧- **وذكر مالك** فى الموطأ أيضاً ويروى : « دعهن يبكين مادام بينهن »[٣٤٩] وفى هذا الحديث إباحة البكاء والصياح عند حضور موت الميت ، والبكاء يكون بنياحة وغير نياحة ، ويكون بصوت وبغير صوت ، ويجوز أن تكون هذه الإباحة قبل النهى عن النياحة وعن رفع الصوت بالبكاء ويكون قوله عليه السلام : « فإذا وجب فلا تبكين باكية »[٣٥٠] على النَّدْبِ أى إذا مات فسلِمْنَ لأمر الله وترضين بقضائه وتصبرن بحكمه .

---

(٣٤٧) * **صحيح** * أخرجه البخارى (١٠/١٢٧) وأبو داود (٣/١٨٨) والنسائى (٤/٣) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/٢٥٧) والبيهقى فى « السنن » (٣/٣٧٧) وابن حبان فى « صحيحه » (٢/١٥٧ ، ١٥٨) ، (٤/٢٧٢) وغيرهم.

(٣٤٨) * **صحيح** * أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ » (١/٢٣٢) من طريق عبد الله بن عبدالله بن جبر بن عتيك عن عتيك بن الحارث وهو جد عبدالله بن جبر أبو أمه أنه أخبره أن جابر بن عتيك أخبره أن رسول الله -ﷺ- أخبره .. الحديث وأخرجه النسائى (٤/١٣) وأبو داود (٣/١٨٨).

(٣٤٩) * **صحيح** * « الموطأ » (١/٢٣٢ - عبدالباقى)

(٣٥٠) * **صحيح** * وليس هنا محل الخوض فى الأحكام التكليفية وراجع المرجع السابق والصحيحين وغيرها والله تعالى أعلم.

٣٩٨- **وقد مر عليه السلام** بامرأة تبكى عند قبر فقال لها : « اتقى الله واصبرى فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى[٣٥١] . ولم تعرفه ، فانصرف عنها - ﷺ - ولم يخبرها من هو ، ولو كان هذا الأمر على الوجوب لما انصرف عنها - ﷺ - وتركها على حالها ، ولكنه كان على الندب والأخذ بالأولى والأحسن ، ويكون تسكيت جابر هؤلاء النسوة عن البكاء والصياح توقيراً لمكان رسول الله - ﷺ - وتعظيماً له ، وقيل أيضاً يجوز أن يكون هذا بعد النهى ويكون جابر قد علم بالحديث فى ذلك وأنهن نُهين عن البكاء فأخذ الحديث على عمومه وسكتهن فأمره عليه السلام أن يدعهن على حالهن لأنه - والله أعلم - [حال] فيه على نساء الميت من الجزع والحزن مالا يقدرن معه على السكوت [فإن للبكاء] هجمة تغلب على قلوب الرجال فى الأكثر فكيف على النساء ؟! [فتركهن] فى ذلك الوقت رفقا بهن ورحمة لهن ، فإذا قُضِى ومات [فحينئذ فقوله - ﷺ -] « فلا تبكين باكية » يريد الصياح والنياحة وهو ... عند موته وببكائه على قبر أمه - ﷺ - ويكون الحاضرون يفهمون مقصود النبى - ﷺ - بمقدمات عندهم فى ذلك من النهى ومن الإباحة وقد قال عليه السلام : « إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم » وقد تقدم الحديث قبل هذا .

ولا تستنكر هذه الإباحة بعد النهى فقد بايع عليه السلام نسوة من الأنصار وأخذ عليهن (ألا ينُحن)[١] فيها أحد عليهن فقالت امرأة : « إلا آل فلان فإنهن أسعدننى فى الجاهلية فلابُدَّ لى من أن أُسْعِدهم . فقال رسول الله - ﷺ - إلا آل فلان ، فذهبت ثم رجعت فبايعت » ولم تكن هذه المرأة أول من بايع من النسوة بل قد كان بايع غيرها قبلها وشرط عليهن ترك النياحة .

---

(٣٥١) **« صحيح »** أخرجه البخارى « باب الصبر عند الصدمة الأولى » ، ومسلم (٦/٢٧٧- نووى) وزاد بعدها . « فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه فلم تجد عليه بوابين فقالت يارسول الله لم أعرفك (!) فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى أو قال · عند أول الصدمة » .

٣٩٩- وروى **أسامة بن زيد** عن نافع عن ابن عمر « أن رسول الله - ﷺ - لما دخل من غزوة أحد سمع نساء الأنصار يبكين [على أزواجهن] فقال [لكن] حمزة [لا] بواكي له فبلغ ذلك [نساء] الأنصار فجئن فبكين عليه فقام رسول الله - ﷺ - لما سمع أصواتهن فقال : يا ويحهن لم يزلن يبكين بعدُ [مُنْذُ اللَّيْلَة مُرْهُنَّ] فليرجعن إلى منازلهن فلا يبكين على هالك بعد اليوم »(٣٥٢) أخرجه أبو بكر البزار فى مسنده .

(٢٤) وأما نعى الميت والإعلام بموته إذا قصد به اجتماع الناس للصلاة لما يسأله من دعائهم له واستغفارهم ورغبتهم إلى الله تعالى وسؤالهم ولما ينالون أيضاً من ثواب الصلاة عليه فمنه مفروض وجائز ومندوب إليه وقد نعى النبى - ﷺ - النجاشى للناس فى اليوم الذى مات فيه وقال استغفروا لأخيكم وخرج بالناس إلى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات(٣٥٣) وكان موت النجاشي ببلد بعيد من مدينة النبى - ﷺ - [وذكر موت] النجاشي مسلم بن الحجاج وغيره من حديث [جابر وعمران بن حصين] وقد نعى النبيُّ عليه السَّلام للنَّاسِ زيدَ بنَ حارثةَ [وجَعْفَرَ بنَ أَبِى طَالِبِ وَ] عَبَد الله بنَ رَوَاحَة نعاهم قبل أن يجيىء خبرهم(٣٥٤) .

والنفس تجر الشهوات و ـــــ نحو الندامات وعفو الله نحو الخطيئات . وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلاً ويقول يا أهل القبور ـــــــ ـــ ثم يقول حيل والله بينهم وبين الجواب ـــــ أكون مثلهم وأدخل فى ـــ ثم يستقبل القبلة ويصلى حتى طلوع الفجر .

---

(٣٥٢) - **أعلّه الهيثمى بأن فيه من لم يعرفه (!)**
أخرجه أحمد فى « المسند » (٤٠/٢) ، (٨٤/٢) ، (٩٢/٢) ، وابن ماجة (١٥٩١ - عبدالباقى) والبيهقى فى « السنن » (٧٠/٤) وفى « المجمع » (١٢٣/٦) قال الإمام البيهقى : « ...، رواه الطبرانى وفيه يحيى بن مطيع الشيبانى ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » اهـ.

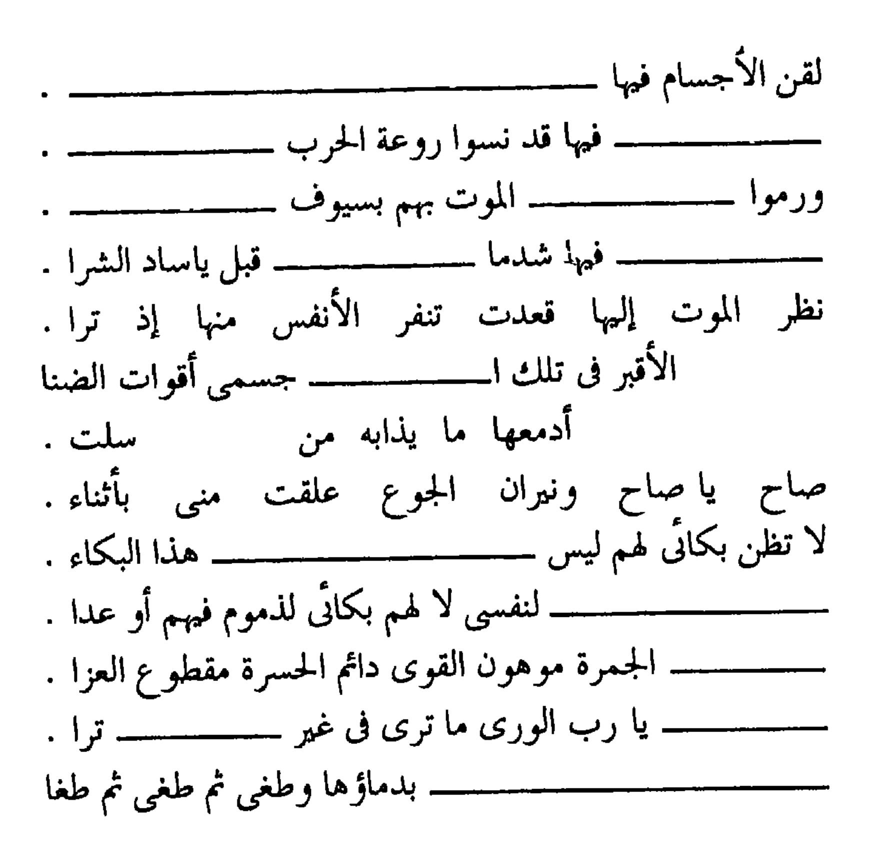
(٣٥٣) **صحيح** - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ (٢٢٧/١) والبخارى (١٩٩/٣) ومسلم (٢٢/٧- نووى) والنسائى (٧٠/٤).

(٣٥٤) « **صحيح** » وهو فى البخارى (١١٦/٣ فتح) وغير هذا الموضع من صحيح البخارى ، وأخرجه النسائى (٢٧/٤) وغيرهم.

يا نائما بالضريح هُبّا هاك نسيمُ الصباح هَبّا .
وكل من نام ـــ قد تشفى وقام من نومه وهبا .
قُم تَرَ وجهَ الدمار وطلقا وصدره للآثام رَحْبا .
والناس فكلٌّ إلى هواه حرك طرفاً وحل غضباً .
ثم فلعمر طال ذا هجوعاً وطال حزنى له وأربا .
كم ذا أُنادِى ولا مجيب يجيب داعى الفؤاد .
ولو أنادى جمادَ صخرٍ لَرَقَّ لى لوعة ولبا .
فقـــال لى ينطـــق اعتبـــاراً الألبـــا .
يمنعنى أن أجيب أمرٌ صيرَّ سِلْم الخُطوب حَرْبا .
أخرسَ منِّى ما كان طلقاً وقادَ منى ما كان صعبا .
قطع لحمى ورَضَّ عظمى وردَّنى للهوام نهبا .
وروعة للنشور عظمى غدت فؤادى خوفاً ورعبا .
فخل عنى وعن جوالى فبحر همى بعث عبا .
ولقبك إن كنت ذا بكاء بقتلك ذنباً أنت فذنبا .
فيا إلهى ومن إليه مددت كفى رهبا ورغبا .
رحماك فى يائسٍ فقيرٍ قد طاف شرقاً وطاف غرباً .
فلم يجد حاجةً تُقضَى ولا أرى دعوة تُلبّا .
إلا ومن ـــ حياها يسكب فوق الأنام سكبا .
إن لم ينل من رضاك خطباً ولم ـــ من عطاك شربا .

واعلم رحمك الله أنه من أقام هذه الجبال [وأقعدها لـو] هو تفكر فى الميت وما [يؤول] إليه ثم نظر فيما يقدم [عليه] بعد ذلك ، [من تغير] جسمه الغض وبدنه اللين ، سيطرح فى حفرة تقطع أوصاله [وتُبدَّل] أحواله ثم يتبين بعد ذلك مآله ، [ويؤخذ بما فعله] أو قاله لم [يحزن] بميت بآله ولم يبكِ إلا لنفسه . **فانشدوا** :

لمن ـــ أبصرته ـــــــــــــــــــــــ .
ـــــــــــ فيها كسفت بعد حسن وآمال وضعا .



لقن الأجسام فيها ــــــــــــــــــــــ .

ــــــــ فيها قد نسوا روعة الحرب ــــــــ .

ورموا ــــــ الموت بهم بسيوف ــــــ .

ــــــ فيها شدما ــــــ قبل ياساد الشرا .

نظر الموت إليها قعدت تنفر الأنفس منها إذ ترا .

الأقبر فى تلك اــــــ جسمى أقوات الضنا

أدمعها ما يذابه من سلت .

صاح يا صاح ونيران الجوع علقت منى بأثناء .

لا تظن بكائى لهم ليس ــــــــ هذا البكاء .

ــــــــ لنفسى لا لهم بكائى لذموم فيهم أو عدا .

ــــــ الجمرة موهون القوى دائم الحسرة مقطوع العزا .

ــــــ يا رب الورى ما ترى فى غير ــــــ ترا .

ــــــــــ بدماؤها وطغى ثم طغا

ويروى عن الأصمعى قال : « حجت امرأة من الأعراب ومعها ابن لها فأصيبت به فلما دفن قامت على قبره وهى موجعة فقالت : يا بنى والله لقد غذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً ، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك وأتمتع فيها بالنظر إلى وجهك ، ثم قالت : اللهم منك العدل ومن خَلْقِك الجور ، اللهم وهبتنى قرة عين فلَم تمتعنى به كثيراً بل سلبتنيه وشيكاً ، ثم أمرتنى بالصبر ووعدتنى عليه الأجر فصدَّقتُ وعدك ورضيت قضاءك ، اللهم ارحم غربته واستر عورته يوم تُكشَف العورات وتظهر السوآت ، فيرحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى . فلما أرادت الخروج إلى أهلها وقفت على قبره وقالت : أى بُنى إنى قد تزودت لسفرى ، فياليت شعرى ما زادكَ لسفرك ويوم معادك ، اللهم إنى اسألك الرضى به برضائى عنه ، ثم قالت : أستودِعك من استودَعَنيك جنيناً فى الأحشاء . ــــ عليك غصة التكلان ثم قالت : وأتكل الوالدات ما أقل أُنسهن [وكثرة] وحشتهن ثم صلت عند قبره ركعات وانصرفت » .

فهكذا كان قولهم وحالهم عند الجنائز ومشاهدة الأموات وفقد الأبناء ، وأما الآن وكما قال أبو حامد : « فلا تكاد ترى جماعة تحضر ميتاً إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون لا يتكلمون إلا فى ميراثه وما ترك لورثته ، ولا يتفكر إخوانه إلا فى الحيلة التى بها صار إليه ذلك المال الذى ترك ، ولا يتفكر أحد منهم إلا من شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حلّت جنازته ، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قساوة فى القلوب لكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو أو نغفل ونشتغل بما لا [ينفع] نسأل الله اليقظة من هذه الرقدة برحمته لا رب سواه .

(٢٥) باب فى الثناء الحسن على الميت والثناء السوء

٤٠٠-**عن مسلم بن الحجاج** من حديث أنس بن مالك قال : « مُرَّ بجنازة فأُثنى عليها خير فقال نبى الله - ﷺ - : وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله - ﷺ - من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض أنتم شهداء الله فى الأرض أنتم شهداء الله فى الأرض »(٣٥٥) .

٤٠٢- **وفى بعض طرق البخارى** : « فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت قال شهادة القوم المؤمنون شهداء الله فى الأرض »(٣٥٦) .

٤٠٢- **وفى بعض طرق البخارى أيضا** : عن عمر رضى الله عنه قال النبى - ﷺ - : « من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قلنا : وثلاثة ؟ قال : وثلاثة قلنا : واثنان ؟ قال : واثنان . ثم لم نسأله عن الواحد »(٣٥٧) وهذا الحديث مخصوص والله أعلم والذى قبله يعطى العموم وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير كانت له الجنة والله أعلم . وغير مُستنكَرٍ إذا أحب الله عبداً أن يلقى على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفى قلوبهم المحبة له . **قال الله تبارك وتعالى** : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرَّحمٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم /٩٦] .

---

(٣٥٥) * صحيح * وهو فى البخارى (٢٢٨/٣ - فتح) ومسلم (١٨/٧ ، ١٩ - نووى) كما عند البخارى سواء

(٣٥٦) * صحيح * وهو فى البخارى (٢٥٢/٥) من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس مرفوعًا به .

(٣٥٧) * صحيح * وهو فى البخارى (٢٢٩/٣ - فتح)

٤٠٣- **وقال عليه السلام** : « إن الله عز وجل إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال له : إنى أحب فلاناً فأحبه . قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادِى فى أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه . قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يُوضَع له القَبول فى الأرض »(٣٥٨) وذكر فى البغضاء مثل ذلك وهذا حديث أخرجه مسلم بن الحجاج وغيره .

وقد شوهد رجال من المسلمين علماء وصالحون كَثُر الثناء عليهم ، وصُرِفت القلوب إليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون لها والمشتغلون به ، وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يشاء يكونون فى صورة الناس .

٤٠٤- **ذكر قاسم بن أصبغ قال** أحمد بن زهير قال محمد بن يزيد الرفاعى قال : « مات عمر بن قيس الملائى بناحية فارس فاجتمع لجنازته من الخلق مالا يحصى فلما دفن نظروا فلم يروا أحداً » قال الرفاعى « سمعت هذا ممن لا أحصى كثرة » وكان سفيان الثورى يتبرك بالنظر إلى عمر بن قيس ابن مسلم هذا .

ولما مات أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - صلى عليه من المسلمين مالا يحصى فأمر المتوكل أن يُمسَح موضعُ الصلاة عليه من الأرض فوجد موقف ألفى ألف وثلاثمائة ألف أو نحوها ، ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون عليه من الخلق مالا يحصى .

ويروى أنه أسلم فى ذلك اليوم من أهل الذمة - اليهود والنصارى - نحو ثلاثين ألفا لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته ، ولما رأوا من العجب فى ذلك اليوم .

ــــ أمر الإله وحكمه والله يقضى بانقضاء المحكم .
ــــ لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم .
ــــ كلنا بمكانه وكأننا فى حالنا لم نعلم .

---

(٣٥٨) * صحيح * البخارى (٣٠٣/٦) ، (٤٦١/١٠) ومسلم (١٨٣/١٦ ، ١٨٤- نووى) راجع « صحيح الجامع ».

أضاف إلى الفكرة فى الموت الفكرة فيما بعد الموت وفى
ما يجازى به من أقواله وأفعاله وفى أى متجر فاته واى
علـق نفيـس من العمر ضيعه هنالك تطيش الألباب
، الألسن وتنبذ الدنيا يا ـــ وتطرح بجميع ما فيها .

ابن السماك رحمه الله أن الموتى لم يبكوا من الموت
ـــ حسرة الموت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا .
ـــ فأية ساعة مرت على من مضى وأية ساعة بقيت علينا .
ـــ فى هذا الجدير أن يترك الأوطان ويهجر الأوطان والخلان .

يروى(*) أن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل كان ذا بنين فكان الولد منهم إذا بلغ مبلغ الرجال ، وعقل ما يعقله الرجال لبس الشعر ولحق بالعبّاد برؤوس الجبال ، وسلك بطون الأودية يعبد الله عز وجل فلم يزل كذلك حتى ولد له مولود فشب إلى أن ولد له ولد فجمع رجاله وخاصته وكبراء دولته [وقال لهم : قد علمتم] ما كان من أمر بنى وأنه ليس منهم واحد بقى معى ولا التفت إلى وأنه [لا يصلح حا لكم ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدى وأنى أخاف إن لم يكن ذلك أن تهلكوا بهلاكى فخذوا ولدى هذا فربوه وقوموا بأمره فإذا شب وعقل فزينوا له الدنيا وعظموا قدرها عنده ثم أمر فبنى له قصر فرسخاً فى فرسخ وجعلوا عنده من كل زينة حسنة ، وأكثر له من الخواص ووكل به رجالاً من [خواص] أصحابه ووجوه [دولته ، وأمرهم] إذا فهم وعقل أن لا يُخرَج من ذلك القصر وأن لا يُذكَر عنده الموت [ولا يمر] ميت فى موضع يكون فيه مخافة أن [يعرف الموت] أو يرى ميتاً [فيسأل عنه] فيفسر له [فتتكدر] عليه لذته وتتكرر [الحكاية] ويسلك مسلك [إخوته قبله] ويحذو على [حذوهم — فكانوا] لا يذكرون عنده موتاً ولا يسمعونه حديث ميت ولا يطلعونه عليه ولا يذكر عنده إلا الدنيا وزخرفها والشغف بها ، والإقبال عليها ، وتعظيم آبائه الملوك ، [وترغيبه] فى الاقتداء بهم ، والمشى على طريقتهم ، [فلما شب] الغلام وعقل ما يعقله الناس فمشى ذات يوم فى القصر وأخذ ينظر فى أرجائه وقد أحدق به خاصته ، والموكلون به ينظرون إليه . فقال لهم : ما وراء هذا السور ؟ وما خلف هذا الحائط ؟ فقالوا له : لا شىء إلا ما ترى

[وأنكروا وجود العالم] والبلاد الكثيرة ، والجم الغفير من الناس وكل ذلك . فقال : أحسب خلف هذا القصر وجوداً وعالماً آخر أخرجونى حتى أنظر وأرى ، فأبوا حتى يشاوروا أباه فأتوا الملك وأخبروه بأنه يريد أن يخرج ويرى الناس وظنوا أنه يحكمهم . فقال : أخرجوه فإنا نريد ويأبى الله إلا ما يريد فأول من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير قد هرم ولعابه يسيل على صدره وحاجباه على عينيه من الكبر فقال ما هذا قالوا هذا [شيخ كبير قال : وما شيخ] كبير ؟ قالوا كان شاباً فعمِّر وعاش حتى أصابه الهرم .

[قال] : وما الهرم ؟ قالوا : الكبر ، وطول العمر يعيش إلى أن تقل [قوته ويعجزه الهرم] حتى لا يقدر أن يمسك لعابه فى فيه مع علل أخر تعتريه . [قال] : ويصيبكم هذا أو هو شيء يصيب قوماً دون قوم ؟ قالوا : بل يصيب كل من طال عمره . قال ويصيبنى أنا مع ما أنا فيه [من الملذات] وبلوغ الشهوات ؟ قالوا ويصيبك أنت إن طالت بك حياة [فكل من عمِّر] آخره هذا ثم رجع إلى قصره وقد تكدر عليه بعض نعيمه [وتنغص عليه] بعض ما كان فيه فعالجوه بكل لهو وكل باطل حتى استخرجوا [من قلبه ما] وقع فيه من أمر الهرم والكبر فأقام عاماً [ثم] أمرهم [أن يخرجوه] فأبوا عليه وخافوا من أبيه ثم إنه عزم [عليهم] فأخرجوه ، [فنظر إلى] الناس [فإذا هو برجل مبتلى بالجنون] أو غيره من الداء فقال : ما هذا ومم [يأتى ؟ قالوا :] فساد فى المزاج وتحريك فى [العقل قال : أهذا وحده] أصابه أم كلكم خائف أن يصيبه هذا الداء ؟ [قالوا : بل كلنا] خائف من هذا الداء ومن غيره الداء . [قال : وأنا فيما أنا فيه من سلطانى] أخاف ؟ قالوا وأنت قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان قال فأصابه من الغم أكثر مما أصابه فى المرة الأولى فرجع ورجعوا ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه أو كادوا ، فأقام كذلك حولا ثم قال أخرجونى فأخرجوه فنظر فإذا برجل ميت يُحمَل قال ما هذا قالوا : ميت قال وما ميت ؟ قالوا : رجل مثلنا نزل به قضاء إلاهى ، وحادث سماوى فأطفأ شرارته وأخمد حرارته ورده حجرا من الحجارة ، وجماداً من الجمادات . فقال : عليَّ به حتى أراه فجاءوه به فكشف له عنه فقال : كلموه . فقالوا : إنه لا يتكلم . فقال : أجلسوه . فقالوا : إنه لا يجلس

فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه ثم قال : وهذا وحده خُص بهذا الحادث أو أنتم كلكم ينزل بكم مثل ما نزل بهذا ؟ قالوا : كلنا فيه سواء وكلنا ينزل هذا الحادث . قال : وأنا ؟ قالوا وأنت قال ولا يدفع عنى أبى ؟ قالوا : لا يدفع عنك ولا يدفع عن نفسه . فقال . إنّ نعيماً يصير آخره إلى هذا لجدير أن يتكدر وإن قلباً يخطر به ذكر هذا لحقيق أن يتفطر . قال وما تصنعون به ؟ قالوا : نحفر له حفرة فى الأرض ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض . قال : وما يوم النشور والعرض ؟ قالوا له : هو يوم يبعث الله فيه الأمواتَ وتظهر فيه المخبآت ويكون ويكون . قال : ولابد منه ؟ قالوا لابد منه . فقال : وهذه أشد ، فعمل الكلامُ فى نفسه عمله ، وأخذ الكلام من قلبه مأخذه فتغير وجهه وضعف جسمه ، وشحب لونه ، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحات وتلك البطالات . فأُخبِر أبوه بخبره ووصف له حديثه فقال أو قد فعلها ؟ قالوا : نعم فأداره أبوه بكل شىء فلم ينفع فيه شىء وهون عليه الأمر فلم يهن وسلاه فلم يسلُ . فقال له أبوه : لا جرم والله لأدعنك تلحق بإخوتك فبعث إليه ثيابه من المسوح فلبسها وأُخرج من جوف الليل ، فتعلق بالجبال ولحق بإخوته يتعبد معهم وكان يقول فى مناجاته اللهم إننى [إن] أسلك أمراً ليس التى قد سبقت به المقادير لَوددت أنى كنت الطير فى الهواء أو السمك فى الماء أو لم أك شيئاً مذكورا مخافة الحساب .

ويروى أن أعرابيا كان يسير علىٰ جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الأعرابى [يدفع] به ويتفكر ويقول مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ هذه أعضاؤك [كاملة] سالمة . ما شأنك ؟ ما الذى كان يحملك ؟ ما الذى كان [يحييك ثم] صرعك ؟ ما الذى عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكرا متعجبا من أمره . **وأنشدوا** :

وبجرر يوم ألق عنى خطيئة منسابة من خلفه كالأرقم .
تتضاءل الأبطال ساعة ذكره وتبيت منه فى أمانةِ ضَيْغَم .
شرس المفادة لا يزال رئيه فمتى يحس بنار حرب يقدم .
تقع الفريسة منه فى فوهاء بأن تطرح بهاضم الحجارة تحطم .
ظمآن للدم لا يقوم بريه إلا المروق فى الجسوم من الدم .
جاءته من قِبَلِ المنونِ إشارةٌ فهوى صريعا لليدين وللفم .

ورمى بمحكَم دِرْعِه وبرمحه وامتد خلف [هاتيك] الأعظم .
لا يستجيب لصارخ بأن يدعه أبداً ولا يُرَجَّى لخَطْبٍ معظم .
ذهبتْ بَسَالتُه ومر غرامه لما رأى حبل المنية قد تم .
يا ويحه من فارس ما باله ذهبت مروءته ولما يكلم .
هذى يداه وهذه أعضاؤه ما منه من عضو عدا بمثلم .
هيهات ما خيل الردى محتاجةٌ للمَشْرَفِيِّ ولا السنان اللهدم .

واعلم رحمك الله أن الميت وإن كان لا يتكلم فقد يُسمِعه الله تعالى كلاما منه ويريه عليه صورة حياته وبشارة له بصلاته عليه ودفنه إياه واشتغاله به .

٤٠٥- **وحدثنى الفقيه** أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشى قال لما مات أبى غسّله المقرىء أبو عمرو الحسن بن عطية فقال لى أبو عمرو : ولما كشفت الثوب عن وجهه لأغسله ضحك فى وجهي ولا أشك فى ذلك ولا أرتاب . وإذا جاز الخبر الأول جاز هذا أيضا ، فأبو القاسم وأبو الحسن صادقان عدلان من أهل المعرفة والذكاء .

وذكر وليد بن عثمان – وكان من الصالحين – قدم علينا أشبيلية رجل أسود فأقام فى المسجد الذى كنت فيه ثم انتقل عنه لِعلةٍ أصابته فأقام فى فرن يرقد على الحطب ويُتصَدَّق عليه ، ثم إنه مات فنقلته إلى دارى لأغسله فكشفت عنه الثوب لأغسله ، فبينما أنا أغسله إذ رأيت وجهه قد ابيض بياضا شديدا وصار مثل القمر ليلة البدر حسناً وعم البياض وجهه وعنقه خاصة دون سائر جسده فراعنى ما رأيت ، وأرعدتُ وأصابنى دَهَشٌ عظيم فرددت الرداء على وجهه وخرجت فأنذرت جماعة من أصحابى وجئت بهم معى وأعلمتهم قصته ، فلما كشفوا الرداء عن وجهه راعهم حسنه وجماله وابيضاضه وسائر جسده أسود كما كان ، وتسامع الناس به فما كدنا نبلغ قبره حتى الليل من كثرة الزحام على نعشه وكثرة من حضر جنازته رحمه الله . ذكر هذه القصة ابن عثمان فى كتاب التهجد ، وذكرها غيره أيضا .

٤٠٦- **يروى عن عمر بن ذر** أنه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه ، فتحامى كثير من الناس جنازته فلم يحضروها ، وحضرها عمر فلما دفن وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان فلقد صُحِبتَ عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب فمَنْ مِنَّا غيرُ مذنب وذى خطايا .

(٢٦) باب ما يقال عند حضور الميت
وما جاء فى البكاء عليه

٤٠٧- **ذكر مسلم بن الحجاج** عن أم سلمة زوج النبى - ﷺ - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت رسول الله - ﷺ - فقلت يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال : فقولى اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عُقبَى حسنة . قالت : فقلت . فأعقبنى الله من هو خير منه محمداً - ﷺ - » .

٤٠٨- **وعنها قالت** : « دخل رسول الله - ﷺ - على أبى سلمة وقَدْ شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر . ففج ابنٌ من أهله فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى الغابرين واغفر لنا وله يا أرحم الراحمين وأفسح له فى قبره ونور له فيه » أبو سلمة هذا كان زوج أم سلمة .

٤٠٩- **وعن أم سلمة** قالت : « لما مات أبو سلمة قلت : غريب وفى أرض غربة لأبكينه بكاء يتحدث عنه فكنت قد تهيأت للبكاء عليه فأقبلت امرأة من الصعيد تريد أن [تسعدنى] فاستقبلها رسول الله - ﷺ - فقال : أتريدين أن تُدخلى الشيطان بيتا أخرجه الله منه ؟ قالت : فكففت عن البكاء فلم أبك » .

٤١٠- **وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب** قال : « لما طُعِن عمر أغمى عليه فلما أفاق قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الميت ليعذب ببكاء الحى » .

– وعن عمر أيضا فى هذا الحديث قال : قال رسول الله – ﷺ – : « إن الميت ليعذب ببكاء الحى عليه » .

٤١١– **وعنه** عن النبى – ﷺ – : « إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله » .

٤١٢– ______________________________ .

٤١٣– وعن **ابن عباس** قال : « لما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة – يعنى قول عمر عن النبى – ﷺ – فى البكاء على الميت – فقالت : يرحم الله عمر والله ما حدث رسول الله – ﷺ – أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد ، ولكن قال : « إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه » قال : وقالت عائشة : حسبكم القرآن ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ قال : وقال ابن عباس عند ذلك : والله أضحك وأبكى .

وعن عروة بن الزبير قال : ذكر ذلك لعائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبى – ﷺ – أن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله . قالت : وَهَل ، إنما قال رسول الله – ﷺ – : « إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه » .

* من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه – ﷺ – .

وقال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب أفره دوابه وخرج فى خاصته وجنوده ورجاله ، فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كِبراً وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبراً وإعجاباً بنفسه فتصدى له رجل رَثُّ الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه ، فأخذ بلجام دابته ، فقال له : ويلك لقد تعاطيت أمراً عظيماً ، كفَّ يدك عن اللجام . فقال له : أنا ملك الموت . فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه ، وقال له : سألتك بالله إلا ما تركتنى حتى أرجع إلى أهلى وأودعهم وأقضى حاجتى منهم فقال لا والله ما رأيتَ أهلك أبداً وقبض روحه فخر كأنه خشبة ملقاة .

ثم لقى آخر فى مثل حاله إلا أنه كان متوضعاً فتعرض له فسلم فرد عليه السلام ، فقال له : إن لى إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك فى أذنك ، قال : هات وأعطاه أذنه فقال له : أنا ملك الموت ، فقال له : مرحبا بمن طالت غيبته عليّ فوالله ما كان غائب أحب إلى أن ألقاه منك ، فقال له ملك الموت : اقض حاجتك التى خرجت إليها . قال : لا هذه الحاجة أهم حوائجى ومالى حاجة أهم على ولا أحب إلى من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حالة تريد أن أقبض روحك . قال : وتقدر على ذلك ؟ قال : بذلك أُمرت . قال : فدعنى حتى أتوضأ وأصلى وتقبض روحى وأنا ساجد ، قال : نعم . فتوضأ وصلى فقبض روحه فى سجوده .

وقال بكر بن عبد الله : جمع رجل من بنى إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أرونى أصناف أموالى التى جمعت فأتى بشىء كثير فلما رآه بكا تحسراً عليه ، فقال له ملك الموت : ما يبكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك . فقال له : أمهلنى حتى أفرقه . قال : هيهات انقطعت المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك . فقبض روحه .

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من أصناف المال إلا اتخذه ثم ابتنى قصراً وجعل عليه حجابا وحراساً ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ، ثم قال : يا نفس تنعمى سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلْقان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة ، فوثب عليه الغلمان فقالوا له : ويلك ما شأنك ؟ ومن أنت ؟ فقال : ادعوا لى مولاكم . قالوا : إلى مثلك يخرج مولانا ؟ قال : نعم . قال : فأخبروا مولاهم . فقال : هلا فعلتم به وفعلتم ؟! فقرع الباب قرعة أشد من الأولى ، فوثب إليه الحرس . فقال : أخبروه أنى ملك الموت . فلما سمعوا أُلقى عليهم الرعب ، ووقع على مولاهم الذل والخشوع ، فقال : قولوا له قولاً لينا وقولوا له يأخذ بدلاً منى فقال له : اصنع بمالك ما أنت صانع فإنى لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك ، فأمر بماله فجُمع فلما رآه قال : لعنك الله من مالٍ فأنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى من النظر لنفسى فأنطق الله عز وجل المال فقال : لِمَ تسبنى وبى جلست مجالس الملوك ؟ وبى نكحت المتنعمات ؟ وبى نعلت

وفعلت ؟ وكنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ؟ ولو أنفقتنى فى سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم . ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا .

وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من جبابرة بنى إسرائيل فى منزله قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصاً قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضباً فقال له : ويلك من أنت ؟ ومن أدخلك دارى ؟ وما حملك على الهجوم على فى بيتى ؟ فقال له : أما الذى أدخلنى الدار فربُّها ، وأما أنا فأنا الذى لا يمنعنى الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة السلاطين . فسُقِط فى يَدَى الجبار وأرعدَ حتى سقط منكباً على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجدياً متذللا فقال له : فأنت إذًا ملك الموت . قال : أنا هو ، قال : فهل أنت مُمهلى حتى أُحدِثُ عهداً ؟ قال : هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك ، فليس إلى إمهالك سبيل . قال : فإلى أين تذهب بى ؟ قال إلى عملك الصالح الذى قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط .

٤١٤- **وذكر مسلم** عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من صلى عن جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان . « القيراط مثل أحد »[٣٥٩] .

وأعلم رحمك الله أن فى الجنائز عبرة للمعتبرين وفكرة للمتفكرين وتنبيها للغافلين وإيقاظا للنائمين ، بينما الإنسان فى قيام وقعود ونزول وصعود ، وخذ هذا ودع هذا وابنِ هذا واهدم هذا ، وقد كان ما كان وأين ذهب فلان ومن أين جاء فلان ، إذ جاءه أمر إلهى وحادث سماوى وحكم ربانى فسكن حركته وأطفأ شعلته وأذهب نضرته وتركه كالخشبة الملقاة والحجر المرمى ، إن صِيح به لم يسمع وإن دُعى لم يُجِب وإن قُطِع أو حُرِّق لم يتكلم ، وإنَّ ربك على ما يشاء قدير ، ولكن حب الدنيا وحجاب الهوى الذى غطى القلوب وأعمى البصائر يمنع من الفكرة فى الجنائز والاعتبار بها ، فصارت لا تزيد رؤيتُها إلا قسوة ولا مشاهدتها إلا غفلة ، حتى كأن الميت إنما هو قائم يستيقظ بعد ساعة ويهب عن قريب ، أو كأن الذى يراها لا يكون

---

(٣٥٩) * صحيح * « صحيح الجامع » (٦٢٢٩) وهو فى مسلم (١٧/٧ - نووى) وابن ماجة (١٥٤٠) والطيالسى رقم (٩٨٥) وأحمد (٢٧٦/٥) وغيرهم.

مثلها ولا يدخل مدخلها ، وأن ذلك الميت به نزل الموت وحده وإياه قصد خاصةً ، نعم يعلم الإنسان منا أنه سيموت كما مات هذا وتشيع جنازته كما شُيعت جنازة هذا ، وربما مات بحيث لا تشيع له جنازة ولا توارى له جثة ، ولكن لا يظن ذلك عن قريب ولا يحسب أنه منه غير بعيد ، قد فسح لنفسه فى المدة ومدَّ لها فى المهلة وحكم أنه لا يموت إلا بعد سنين ، وإن قال ربما أموت اليوم أو غداً فقول ضعيف لا يتحرك منه بسببه ساكن ولا يظهر عليه منه أثر ، لأنه عند رؤية الجنازة كما كان قبل أن يراها ، وربما تحدث بحديثه الذى كان يتحدث والميت يُدفَن أو وهو وراءه يشيعه إلى قبره ، وإن جاءه ضِحكٌ ضَحكَ وإن حضره نادرٌ من لغو الكلام تكلم به وأودعه صحيفته وبعث به إلى ربه ، وقل ما يبكى على الجنازة إلا أهلُها ، تألماً لفراقها لا لنفس الموت ؛ كبكاء الصبى والصبية اللذين لا يعقلان ولا يعلمان ، ولو كانوا يعلمون لكان بكاؤهم على أنفسهم لا على ميتهم ، لأن ميتهم قد مات وهم ينتظرون الموت .

وأنشد بعضهم من كلمة له :

عاذل مهلاً لا تعذلينى فإن لم تعينينى فاتركينى .
لُومِى بما شئتِ من ملامٍ ووبخينى وفَنِّدِينى .
غير بكائى لا تذكريه ولا عويلى ولا أنينى .
ولا ضلوعا قفور ناداً تأكل منى عدا الوتين .
واسترحمى لى بَرّاً رحيما تشرع فى سببه المعين .
ولا تظنينى فإن حزنى وسقم جسمى وما يرين .
أثار ذاكم أن مات ميت قد كان دنياتى .
تركتُه فى القبور فرداً وجئت فى دمعه الحزين .
لا والذى جوده يُرجى كل أوان وكل حين .
ما أنا باكٍ إلا لنفسى لا لقريب ولا خدين .
ومصرعٍ للمنون ضبطه أُتِلَّ فيه على الجبين .
أو خذ فيه من كل أفقٍ أخذَ شديدِ القوى متين .
فمِنْ أمامى ومِنْ ورائى وعن شمالى وعن يمينى .
وفوق رأسى معاً وتحتى من حيث ما رُغْتُ يلتقين .

ولا احتيال ولا أجزاء لا برفيع ولا بِدُونِ .
فخليني عاذلى وشأنى فليس شأنى من ذا الشئونِ .

واعلم أن الجنازة تمر بالإنسان ولا يدرى مالها ولا يتبين حقيقة مصيرها وإنما يُرتَجى لها بحسب ما ظهر منها من الطاعات ويُخَاف عليها بحسب ما بدا منها من المخالفات ، وإن لها لكلاما لو سمعه الإنسان لانصدع له حجاب قلبه وشغله عن بنيه وأهله ، بل أذهله عن النظر فى خاصة نفسه .

٤١٥- ذكر البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها . يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع(٣٦٠) [الإنسان لصعق](٣٦١) .

وهما ميتان : فميت يستريح من تعب هذه الدار ويفضى إلى راحة ، وميت تستريح منه البلاد ويفضى إلى سوء المصير وبئس المهاد .

ذكر أبو قتادة قال : « مر رسول الله - ﷺ - بجنازة فقال : « مستريحٌ ومستَرَاحٌ منه » . فقالوا : يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه ؟ قال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » ذكر هذا الحديث مسلم بن حجاج وغيره .

وربما يكون منا من يهتز عند رؤية الجنازة ويرتاع عند مشاهدتها ثم لا يلبث أن يعود إلى حالته إلا بمقدار ما تكون بين يديه أو ساعة تمر عليه .

يروى عن أبى عمرو بن العلاء قال : جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعراً فاطلعت جنازة فأمسك وقال : شيبتنى والله هذه الجنازة وأنشأ يقول :

تُرْوِعُنا الجنائزُ مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات .

---

(٣٦٠) التكملة من رواية البخارى ، كان الناسخ بيّض لها (!)

(٣٦١) « صحيح » أخرجه البخارى (١٨٤/٣) والنسائى (٤١/٥).

كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات .

وكأن هذا البائس الغافل لم يسمع برجل قد شيَّع جنازة ثم مات المشيعُ بُجمْعَةٍ أو أقل من جمعة وربما كان بعد يوم واحد أو أقل من يوم واحد ، أو كأنه علم أن هذا الميت كان طويل الأمل ممتد الرجاء يطمع فى العيش ويحرص على البقاء ، حتى هجم عليه ملك الموت فى الوقت الذى لم يكن يظن به وقام معه مكان الذى لم يكن يحسبه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم بخِلاف هذا ، كانوا إذا رأوا الجنازة نظروا إليها نظر المعتبرين وتكلموا عندها بكلام الموفَّقين وكانوا يقولون القول ويعملون بمقتضاه ، وسأذكر لك من كلامهم وأحكى لك من أقوالهم ما أمكننى لعله يحرك منك ساكنا أو يوقِظ منك نائما ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه .

٤١٦- **يروى عن أبى هريرة** - رضى الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال : « امضى ونحن على أثرك » .

وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : « اغُد فإنّا رائحون ، موعظة بليغة وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، والآخر لا عقل له » .

ومرت بالحسن البصرى جنازة فقال : يا لها موعظة ما أبلغها وأسرع نسيانها ، يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ، ثم قال : ميت غديد من ميت .

ويروى ابن الحصير ما شهدت جنازة وحدثت نفسى بشىء سوى ما يُفعَل بالميت وما هو صائر إليه .

ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته فوقف على قبره وبكى ثم قال : يا أخى لا تقر عينى بعدك حتى أعلم ما صرت إليه ولا والله لا أعلم ذلك ما دمت حياً .

وقال الأعمش : كنا نشهد الجنازة فلا ندرى مَن المعزين فيها لكثرة الباكين ، وإنما كان بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت .

وقال إبراهيم النخعى : إنْ كانوا يشهدون الجنازة فيُرىَ فيهم ذلك أياما كان يرى فيهم الفكرة فى الموت وفى حال الميت .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه : أنه كان يلقى الرجل فى الجنازة من خاصة إخوانه قد بعُد عهده به فما يزيده على التسليم حتى يظن الرجل أن فى صدره عليه مَوْجِدة كل ذلك اشتغالا بالجنازة وتفكراً فيها وفى مصيرها حتى [إذا] فرغ من الجنازة لقيه وساءله وكان منه أحسن ما عهد .

٤١٧- **ورأى عبد الله بن مسعود** صاحب النبى - عليه السلام - رجلاً يضحك فى جنازة فقال : « تضحك وأنت فى جنازة والله لا أكلمك أبداً » .

٤١٨- **وفى الخبر** : « إن الله يكره لكم ثلاثا : العبث فى الصلاة ، والرفث فى الصوم ، والضحك عند المقابر » .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر ووضع فى قبره قال أبوه عمر : يا ذر لقد شغلَنا الحزنُ لك عن الحزن عليك ، فليت شعرى ماذا قلتَ وماذا قيل لك ؟! ثم قال : اللهم إن هذا ولدى ذراً متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ولم تنقصه حقه ، اللهم وقد كنت ألزمتُه طاعتك وطاعتى وإنى قد وهبت له ما فرّط فيه من طاعتى فهب له ما فرط فيه من طاعتك ، اللهم وما وعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى فقد وهبت ذلك له فهب له عذابه ، ولا تعذبه به ، وأنت أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين » .

قال : فأبكى الناس . ثم قال عند انصرافه : « يا ذر ما علينا بعدك من خصاصة ، وما بنا مع الله تعالى إلى إنسان من حاجة ، يا ذر مضينا وتركناك ، ولو أقمنا عندك ما نفعناك » .

ألا ترى إلى هذا لم يشغله الحزن بولده وثمرة كبده عن الحزن بما قال وبما قيل له ؟! لأنهم إنما كانوا يقدمون الأهم فالأهم ويبدؤن الأعظم فالأعظم .

ميت يموت من المسلمين ليصلى عليه لما فى صلاته - ﷺ - من البركة والرحمة ، ولا فاتته سننه أيضاً فى الصلاة على موتى المسلمين ، وفى صلاة المسلمين بعضهم على بعض ، ودعاء بعضهم لبعض .

٤١٩- **وقد قال عليه السلام** : « إذا صليتم على الميت فأخلِصوا له الدعاء » ذكره أبو داود من حديث أبى هريرة[٣٦٢] .

٤٢٠- **وقال عليه السلام** : « من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان » قيل : وما القيراطان ؟ قال : أصغرهما مثل أحد » يريد مثل جبل أحد . ذكره مسلم[٣٦٣] وغيره من حديث أبى هريرة وغيره .

وأما إذا كان نعى الميت والإعلام بموته ليجتمع الناس عليه على معنى التعظيم له والمصيبة لفقده والتفاخر بما يجتمع له من الناس ويحضره من الأشراف فهذا لا يجوز وعلى هذا يخرج نهى النبى عليه السلام عن النعى .

٤٢١- **وذكر الترمذى** من حديث حذيفة بن اليمان قال : « إذا مت فلا تؤذِنوا بى أحدا فإننى أخاف أن يكون نعيا ، وإنى سمعت رسول الله - ﷺ - ينهى عن النعى »[٣٦٤] .

وأما المفروض من هذا الباب فهو أن يُدعَى للصلاة على الميت من يقوم به سنة الصلاة عليه .

---

(٣٦٢) **صحيح** أخرجه أبو داود (٣/٢١٠) وابن ماجة (١٤٩٧) وابن حبان فى « صحيحه » (٥/٣١ ، ٣٢) و « المشكاة » (١٦٧٤) والديلمى فى « الفردوس » (١٠٣٣) و « صحيح الجامع » (٦٨٢) .

(٣٦٣) **صحيح** سبق الكلام عليه فى (٣٥٩) وأنه من حديث ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - وأبى هريرة وغيرهما ، أخرجه الشيخان وأصحاب السنن والبيهقى وابن الجارود و « صحيح الجامع » أرقام (٦٢٢٨ ، ٦٢٢٩ ، ٦٢٣٠ ، ٦٢٣١) و« الصحيحة » (٢٣٥١) وأحكام الجنائز (ص - ١٦٨)

(٣٦٤) **صحيح** أخرجه الترمذى (٩٨٦) وابن ماجة (١٤٧٦) .

* باب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه

٤٢٢- **يروى عن** أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلاني بن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول أذكُرْ ما خرجتَ عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً وبالقرآن إماما فإن منكراً ونكيراً [يأخذ] كل واحد منهما [بيد صاحبه] ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لُقِّن حُجَّتَه ويكون الله حجيجه دونهما ، فقال رجل : يا رسول الله فإن لم يعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه [حَوّاء](٣٦٥) .

٤٢٣- **ويروى** عن النبى - ﷺ - : أنه حضر جنازة رجل فلما دُفن قال : سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل(٣٦٦) .

٤٢٤- **ويروى** عن بعض الصالحين أنه قال : مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت له : يا أخى ما كان حالك حين وُضِعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آتٍ بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لى لهلكت .

---

(٣٦٥) * **ضعيف** * قال الإمام الهيثمى فى المجمع (٣٢٧/٢) : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه من لم أعرفه » ا.هـ.

(٣٦٦) * **صحيح** * سبق الكلام عليه ونريد هنا أن الحاكم أخرجه عن أمير المؤمنين عثمان -رضى الله عنه- (٣٧٠/١) ، وبلفظه أورده السيوطى فى « الجامع الصغير » وصحّحه (٩٥٦) وعزاه للحاكم عن عثمان -رضى الله عنه- .

ويروى أن رجلا قال : رأيت رجلا - وذكر رجلا معروفا - قال : رأيته فى النوم وكأنه قد مات وحمل إلى قبره فكنت ممن شهده فرأيته قد وضع فى قبره فرأيت بابا قد فتح فى جانب القبر كأنه باب مغارة وهى مملوءة ظلمة ، فخرج من ذلك الباب أسودان مهيبا المنظر فأخذا ذلك الميت وجعلا يجبذانه إلى المغارة ، فجعل الناس أيديهم فى دلك الميت يجبذونه إليهم والأسودان يجبذانه إلى المغارة والميت ساكت فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل مشهور بالعبادة وكان ذلك الميت يحسن إليه فلما رآه الميت استغاث به : يا فلان . فقال له ذلك الرجل : سلامة لا بأس وأخذ بيده واستنقذه منهما ، فقعد الميت يذكر الله ، وإذا بثوب من السماء قد نزل فألبسه الرجلُ ذلك الميت ثم صعد إلى السماء . قال الراوى : فاستيقظت فوجدت ذلك الرجل المجبوذ قد مات وكنت ممن شهد جنازته .

فتأول أهلُ العلم بالتأويل ذلك الجبذ الذى كان الناس يجبذون ذلك الميت دعاءهم له ورغبتهم إلى الله عز وجل فيه ، وأخذ ذلك الرجل بيد الميت هو دعاؤه له وثواب الخير الذى كان يعمل معه .

٤٢٥- **وذكر مسلم بن الحجاج** من حديث عبد الرحمن بن شماسه قال : « حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكا طويلا ثم حول وجهه إلى الجدار فجعلَ ابنه يقول له : ما يبكيك يا أبتاه ؟ أما بشّرك رسول الله - ﷺ - بكذا ؟ أما بشرك رسول الله - ﷺ - بكذا ؟ قال فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - أنى قد كنت على أطباق ثلاثة لقد رأيتنى وما أحداً أشد بغضاً لرسول الله - ﷺ - منى ولا أحب إلى من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلومت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى - ﷺ - فقلت : ابسط يمينك فلأبايعنك ، فبسط يمينه قال : فقبضت يدى ، قال : مالك يا عمرو ؟ قلت : أردت أن اشترط . قال : تشترط ماذا ؟ قلت : أن يُغفَر لى ، قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وما كان أحد أحب إلى من رسول الله - ﷺ - ولا أجل فى عينى منه وما

كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه لما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ، فلومت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها . فإذا أنا مت فلا تصحبنّى نائحة ولا نار فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنًّا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنحَر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم » يريد أن يستأنس بدعائهم له وبذكرهم الله عز وجل عنده .(٣٦٧) .

٤٢٦- **وذكر أبو عبد الرحمن النسائى رحمه الله** من حديث معقل بن يسار المزنى عن النبى - ﷺ - أنه قال : « اقرؤا عند موتاكم »(٣٦٨) وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت فى حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره

٤٢٧- **ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب** : أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة وقد رَوى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن .

٤٢٨- **ويروى أيضا** أن أحمد بن حنبل رجع إلى هذا بعدما كان ينكره - (الإحياء) .

٤٢٩ - **وذكر أبو داود** من حديث عائشة - رضى الله عنها - عن النبى عليه السلام أنه قال : « اذكروا محاسن موتاكم ، وكفّوا عن مساوئهم »(٣٦٩) .

٤٣٠- **وعنها قالت** : ذُكِر عند رسول الله - ﷺ - هالكٌ بسوءٍ فقال : « لا تذكروا هلكاكم إلا بخير »(٣٧٠) .

---

(٣٦٧) **قصة وفاة عمرو بن العاص** - رضى الله عنه - **«صحيح»** أخرجه مسلم فى « الصحيح » (١٣٧/٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ - نووى) وغيره.

(٣٦٨) **« خبر معقل** هو فى سنن النسائى (٥٢/٤) .

(٣٦٩) **« خبر أم المؤمنين عائشة - مرضوعا - لا تسبو الأموات . الحديث** أخرجه البخارى (٢٥٨/٣) وأحمد (١٨٠/٦) والنسائى (٥٣/٤) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عنها به مرفوعا.

(٣٧٠) **« صحيح »** أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٣٨٥/١) وصححه ووافقه الذهبى ، وأخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (١١/٥) وأحمد (١٨٠/٦) وغيرهم

٤٣١- **وذكر البخارى عنها** قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »[٣٧١] .

(٣٧١) « **ضعيف** » هو فى « صعيف الجامع » (٨٣٩) و « المشكاة » (١٦٧٨) - فيه عمران بن أنس المكى وهو منكر الحديث.

** باب ذكر القبور

اعلم – رحمك الله – أن فى القبر وظلمته وضيقه ووحشته وطرح الميت فيه غير ممهد ولا موسد قد باشر الثرى وواجه البِلى وترك دنياه بالورى ، ونبذ منها ما كان بيديه بالعراء مع حبيب تركه وقريب أسلمه ونصير أفرده ، وترك ما كان منه عهده ما يفطم النفوس عن الشهوات وإن كانت صعبة الفطام ويقطعها عن اللذات وإن كان قطعُها بعيد المرام إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب بينما المرء فى بلهنيته مرتكضا فى أمنيته غافلاً عن يوم صدعته وميته ، قد فتح للهو بابه وأرسل عليه حجابه ولم يبال بمن لامه على ذلك أو عابه إذ هجمت عليه المنية فهتكت أستاره وكسفت أنواره وطمست أعلامه وآثاره ، فأخرجته من ذلك القصر المشيد والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنقد ؛ إلى حفرة من الأرض سوداء ضيقة الجوانب والأرجاء مملوءة من الفزع والرعب ما تشاء ، فحذار – رحمك الله – حذار أن تنزع هذا المنزع وبَدار عصمك الله بدار أن تصرع هذا المصرع فيفتَّ فى عضدك ويسقط فى يديك ويرمى بك عن أهلك وولدك بِهواةٍ تزدحم فيها الأهوال ، وتنقطع فيها الآمال قد جمعت فيها جمعاً ورصفت فيها رصفاً وتركت للدود والهوام طعماً .

وأنشد من قصيدة :

يا نائماً والمنون يُقْضَى وغائباً والحِمام [يوفا] .
جاءك أمر وأيُّ أمر [غطى] على غيره وعفا .
هل بعد هذا المشيب شيء غير تراب عليك يحفا .
وليس ذا الأمر بالهوينا ولا بشيء عليه يغفا .

ساكن نفس تدير غير يرشف لعز النعيم رشفا .
فبات فى أهله حصيداً قد جعفته الهون جعفا .
وعاد ذلك النعيم يوماً وصار ذاك السكون رجفا .
ومن سوقٍ إلى ضريح يرصف بالرُّغْم فيه رصفا .

(٢٧) باب ما جاء أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

٤٣٢- **ذكر مسلم من حديث** أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يقول عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك . قال : يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع يكل دات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا : يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل . قال : ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة . فحمدنا الله عز وجل وكبّرنا . ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله عز وجل وكبرنا . ثم قال : والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو [كالرّقمة] فى ذراع الحمار » وفى بعض ألفاظ هذا الحديث من الزيادة « اللهم هل بلغت] وفى بعض طرقه من غير كتاب مسلم : « وذكر بعث النار . فقال رجل : فمن الناجى منا بعد ذلك ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : فى الناس إلا كالشامة فى صدر البعير »(٣٧٢) .

---

(٣٧٢) * **صحيح** * وهو فى البخارى (٣٧٢/٦) ومسلم (٩٧/٣ ، ٩٨ - نووى) وأخرجه الترمذى (١٣٦٨) وقال . « حسن صحيح » وأحمد (٣٨٨/١) ، ١٦٦/٢ ، ٣٢/٣ - ٣٣ ، ٤٣٢/٤) وهو فى « صحيح الجامع » (٧٩٩٨).

(٢٨) باب ما جاء فى أهل الفترة

٤٣٢- ذكر أبو بكر البزار فى مسنده عن الأسود بن سريع عن النبى - ﷺ - قال : « يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم الذى لا يسمع شيئاً والأحمق والهرم ورجل مات فى الفترة ، فيقول الأصم : رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، ويقول الأحمق : رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، ويقول الذى مات فى الفترة : رب ما أتانى لك من رسول . قال أبو بكر : وذهب عنى ما قال الرابع . قال : فيأخُذَ مواثيقهم ليُطِيعُنه فيرسل إليهم تبارك وتعالى : ادخلوا النار . فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً »(٣٧٣) قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيما أعلم والآخرة ليست دار تكليف ولا عمل ولكن الله يخص من شاء بما شاء ويكلف من شاء ما شاء حيث يشاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

---

(٣٧٣) « ضعيف » وهو فى « مسند » الإمام أحمد (٢٤/٤).

(٢٩) باب فى سعة رحمة الله
وأنها تغلب غضبه

حدث عن الجود وعن فيضه فالأمر مبنى على الجود .
واذكر لنا بعض أعاجيبه فلست تُحصيه بتعديد .
هيهات ما جود مليك الورى وخالق الخلق بمحدود .
حدث عن البحر وما البحر فى بعض أياديه بموجود .

ومن الذى أفاض هذه البركات وأتى بهذه الخيرات وامتن بهذه النعم التى ملأت بين الأرض والسموات ؟! ومن الذى يستخرج من ظلمات الكفر ويستنقذ من غمرات الجهل ؟! فيغفر الذنوب ويستر العيوب وينفس المكروب ويجيب المضطر إذا دعاه ولا يبالى أطاعه أم عصاه ؟! من هو إلا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين رب العالمين إله الأولين والآخرين لا إله إلا هو الملك الحق المبين .

٤٣٣- **ذكر مسلم** عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

٤٣٤- **ولمسلم** فى لفظ آخر : « كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة »(٣٧٤) .

٤٣٥- **وذكر مسلم** عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « لما خلق الله

---

(٣٧٤) * صحيح * وهو عند البخارى (٤٣١/١٠) ومسلم (٦٨/١٧ - نووى) وابن ماجة (٤٢٩٣) والترمذى (٣٥٤١).

الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى »(٣٧٥) .

٤٣٦- **وذكر البزار** عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « « مَا » خلق الله تبارك وتعالى من شيء إلا وقد خلق ما يغلبه ، وخلق رحمته تغلب غضبه »(٣٧٦) .

٤٣٧- **ومن مسند البزار أيضاً** عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : « بلغنى أن رسول الله - ﷺ - كان فى بعض مغازيه ، فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير ، فأقبل أحد أبويه حتى سقط فى أيدى الذين أخذوا الفرخ ، فقال رسول الله - ﷺ - : ألا تعجبون لهذا الطير أُخذ فرخه فأقبل حتى سقط فى أيديهم واللهِ لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه » قال : لا نعلم(٣٧٧) له طريقاً غير هذا الطريق .

٤٣٨- **وذكر مسلم بن الحجاج** عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال : « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله عز وجل فيلتفت أحدهم فيقول : أى رب إذا خرجتنى منها فلا تعذبنى فيها . قال : فينجيه الله عز وجل منها »(٣٧٨) .

٤٣٩- **ويروى عن أبى هريرة** عن رسول الله - ﷺ - : « أن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل : أخرجوهما . فلما خرجا قال لهما لأى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : إن رحمتى

---

(٣٧٥) « صحيح » أخرجه مسلم (١٧/١٧ - نووى) والترمذى (٣٥٤٣) وابن ماجة (٤٢٩٥) وغيرهم.

(٣٧٦) « ضعيف » أخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٢٤٩/٤) وصححه وتعقبه الحاكم بأن فيه عبد الرحيم بن كردم ، قال ابن أبى حاتم (٣٣٩/٢/٢) « مجهول » ، والحديث فى « ضعيف الجامع » (٥٠٦٣)

(٣٧٧) « أرجو أنه حسن » أخرجه أبو داود فى « سننه » (١٨٢/٣) وهو أيضا فى « المشكاة » (٢٣٧٧) وذكره الهيثمى فى عشرين حديث فى ذكر معجزاته - ﷺ - وقال : رواه الطبرانى فى « الأوسط » والبزار باختصار كثير ، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه أحد ، وبقية رجاله ثقات اهـ « مجمع » (٩/٩).

(٣٧٨) « صحيح » أخرجه مسلم وابن أبى عاصم (٨٥٣) وهو فى « صحيح الجامع » (٧٩١٤)

إياكما أن تنطلقا فتُلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . فينطلقان فيلقى أحدُهما نفسه ، فيجعلها عليه برداً وسلاماً ، ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول له الرب عز وجل : ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : رب إنى لأرجو أن لا تعيدنى فيها بعدما أخرجتني . فيقول له الرب سبحانه : لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله عز وجل »(٣٧٩) وهذا الحديث ذكره الترمذى وغيره .

٤٤٠- **وذكر مسلم بن الحجاج** من حديث أبى أيوب الأنصارى عن النبى - ﷺ - قال : والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »(٣٨٠) .

٤٤١- **وذكر ابن جهضم** بإسناده إلى إبراهيم بن إبراهيم قال : « طفت ليلة بالبيت وكانت ليلة مطيرة شديدة الظلمة وقد خلا الطواف وطابت نفسي فوقفت عند الملتزم أدعو فقلت : اللهم أعصمنى ، حتى لا أعصيك فهتف بى هاتف : يا إبراهيم أنت تسألنى أن أعصمك وكل عبادى يسألنى العصمة فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر » .

---

(٣٧٩) * **ضعيف** * وهو فى « جامع الترمذى » (٢٥٩٩) قال الترمذى إسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث ، عن ابن أنعم وهو الإفريقى ، والإفريقى ضعيف عند أهل الحديث » ا.هـ وبهذا أعله شيخنا فى التعليق على « المشكاة » (٥٦٠٥) . والله تعالى أعلم

(٣٨٠) * **صحيح** * أخرجه مسلم (٦٤/١٧ - نووى) والبغوى فى « شرح السنة » (٧٧/٥) وأحمد (٣٠٥/٢ ، ٣٠٦) .

(٣٠) باب كثرة أمة محمد - ﷺ -

٤٤٢- **ذكر مسلم بن الحجاج** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أنا أول الناس يشفع فى الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »(٣٨١) .

٤٤٣- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « يأتى معى من أمتى يوم القيامة مثل الليل والسيل فيحطم الناس حطمة فتقول الملائكة : لَما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأمم أو الأنبياء »(٣٨٢) .

٤٤٤- **وذكر مسلم بن الحجاج** عن عبد الله بن مسعود : « خطبنا رسول الله - ﷺ - فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى قبة آدم فقال : ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، اللهم هل بلغت ، اللهم اشهد أتحبون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فقلنا : نعم يا رسول الله . فقال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم يا رسول الله . قال : إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ما أنتم

---

(٣٨١) « **صحيح** » أحرجه مسلم (٧٣/٣) والدار،ى فى « مقدمة » « السس » (٢٧/١ ، ٢٨) وأبو عوانة فى « صحيحه » (١٠٩/١ ، ١١٠) والديلمى فى « الفردوس » (١٢١) وهو فى « صحيح الحامع » برقم (١٤٦٣).

(٣٨٢) « **ضعيف** » قال الإمام الهيثمى فى المحمع (٣٤٧/١٠) أحرجه النزار وفيه موسى س عبيدة وهو صعيف » ا.هـ
وفى « المطالب العالية » (٣٧١/٤) أورد شيح الإسلام الحديث وقال . « فيه ضعف » وعزاه لعىد س حميد. والله تعالى أعلم

فيمن سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود »(٣٨٣) .

٤٤٥- **وذكر الترمذى** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ؛ ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم »(٣٨٤) .

---

(٣٨٣) « **صحيح** » أخرجه البخارى فى « الأنبياء » و « الرقاق » و « الإيمان » و « التفسير » ، وكذا مسلم والترمذى فى « الجنة » وأبو داود فى « الجهاد » وابن ماجة فى « الزهد » وأحمد وغيرهم والله أعلم.

(٣٨٤) « **حسن** » الإمام أحمد (٤٥٣/١) والترمذى (٢٥٤٦) وابن ماجة (٤٢٨٩) والدارمى (٣٨٧/٢).

(٣١) باب ذِكر كم يدخل الجنة بغير حساب

٤٤٦- **ذكر مسلم** من حديث ابن عباس أن النبى - ﷺ - قال : « عُرِضَتْ علىَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط ، والنبى ومعه الرجل والرجلان ، والنبى ليس معه أحد ، [إذْ] رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى - عليه السلام - وقومه ، ولكن انظُر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فَخَاضَ الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله - ﷺ - ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين وُلِدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله - ﷺ - فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة ابن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة »(٣٨٥) .

---

(٣٨٥) « صحيح » البخارى فى « الرقاق » و « الطب » و « اللباس » ومسلم (٩٤/٣ ، ٩٥) والترمذى فى « القيامة » والدارمى فى الرقاق (٣٢٩/٢) وأحمد (٢٧١/١ ، ٤٠١ ، ٣٠٢/٢ ، ٣٥١ ، ٤٠١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٢ ، ٤٣٦/٤) وأبو عوانة فى « صحيحه » (٨٦/١) وغيرهم

٤٤٧- **وذكر أبو بكر البزار** عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين [و] عبد الله بن مسعود قال : « تحدثنا عند رسول الله - ﷺ - ذات يوم حتى أكربنا الحديث ، ثم تراجعنا إلى البيوت ، فلما أصبحنا غدونا إلى النبى - ﷺ - ، فقال - ﷺ - : عُرِضتْ على الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة من قومه والنبى ومعه العصابة من قومه والنبى ومعه النفر من قومه والنبى ليس معه من قومه أحد حتى أتى علىّ موسى بن عمران فى كوكبة من بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبونى فقلت : يا رب من هؤلاء ؟ فقال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بنى إسرائيل قلت : فأين أمتى ؟ قيل : انظر عن يمينك ، فإذا الظراب ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء ؟ قيل لى : أمتك ، فقيل لى : هل رضيت ؟ فقلت : رب رضيت رب رضيت ، فقيل لى : انظر عن يسارك فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال . فقلت : من هؤلاء ؟ قيل : أمتك . قال فقيل لى : هل رضيت ؟ قلت : رب رضيت رب رضيت ، ثم قيل : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، فأنشأ عكاشة ابن محصن رجل من بنى أسد بن خزيمة فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم أنشأ رجل آخر فقال : يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، ثم قال رسول الله - ﷺ - : فداكم أبى وأمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا فإن عجزتم أو قصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم أو قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإنى رأيت ثَمَّ ناساً يتهوشون كثيراً ، ثم قال نبى الله - ﷺ - : إنى لأرجو أن يكون من تبعنى من أمتى ربع أهل الجنة قال : فكبرنا ، ثم قال : إنى لأرجو أن يكونوا الثلث قال : فكبرنا ثم قال : إنى لأرجو أن يكونوا الشطر فكبرنا ، فتلى نبى الله - ﷺ - : ﴿ ثُلَّةٌ من الأولين وثُلَّةٌ من الآخرين ﴾ فتراجع المسلمون من هؤلاء لا تراهم إلا الذين ولدوا فى الإسلام ولم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه قال : فنما حديثهم إلى النبى - ﷺ -

قال : ليس كذا ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »(٣٨٦) .

٤٤٨- **وذكر مسلم عن** أبى هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يدخل من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضيىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر »(٣٨٧) وذكر الحديث .

٤٤٩- **وقال فى حديث** سهل بن سعد عن النبى - ﷺ - : « متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »(٣٨٨) ليس فى هذا الحديث ذكر الجنة ، وذكره فى حديث آخر(٣٨٩) .

٤٥٠- **وذكر أبو داود الطيالسى** من حديث رفاعة بن عراية قال : « كنا مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا كنا [بالكديد] أو [قال] بقديد جعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم [فيأذن] لهم وحمد الله [وقال خيرًا] ثم قال ما بال شق الشجرة الذى يلى رسول الله أبغض [إليكم] من الشق الآخر ؟ فلم نَرَ عند ذلك من القوم إلا باكيا . فقال رجل : يا رسول الله إن الذى يستأذنك بعد هذا لسفيه [ويروى لشقى] فحمد الله وقال خيراً ، وقال : أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك فى الجنة ، قال : [وقد] وعدنى ربى أن يُدخِل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وإنى

---

(٣٨٦) **فى الذى قبله ، والحمد لله .**

(٣٨٧) * **صحيح** * البحارى (٤٠٦/١١) ومسلم (٨٨/٣)

(٣٨٨) * **صحيح** * السخارى (٤٠٦/١١) ومسلم (٩٢/٣).

(٣٨٩) * **قول المصنف** . عقب سوقه الحديث . (ليس فى هذا الحديث ذكر الحنة ، وذكره فى موضع آخر) (!)

* قلت . سبحان الله (!) كيف والحديثان مُصَدَّران عندهما بلفظ « لَيَدْخُلَنَّ الجَنّة من أمتى . الحديث (!؟)

[لأرجو] أن لا يدخلوها حتى تَبَوّؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم [وَذَرَارِيكُم] مساكن الجنة »[٣٩٠] .

٤٠١- **وذكر الترمذى** من حديث أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثية من حثياته »[٣٩١] .

٤٥٢- **وذكر أبو بكر الشافعى** من حديث حذيفة بن اليمان قال : « غاب عنا رسول الله - ﷺ - يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فلما رفع رأسه قال : إن ربى جل وعز استشارنى فى أمتى : ماذا أفعل بهم ؟ قلت ما شئت يا رب ، هم خلقك وعبادك . فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك ، ثم استشارنى الثالثة فقلت له كذلك ، فقال : إنى لم أخزك فى أمتك وبشرنى أن أول من يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلىّ ربى : ادعُ تُجَب وسَلْ تُعْطَه ، فقلت لرسوله : أو معطى ربى جل وعز سؤالى ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطانى ربى غير فجزائه غفر لى ما تقدم وما تأخر وشرح صدرى وأعطانى أن لا تجوع أمتى ولا تُغلَب وأنه أعطانى الكوثر نهراً فى الجنة يسيل فى حوضى وأنه أعطانى العزة والنصر والرعب رأنه أعطانى بأنى أول الأنبياء دخولاً الجنة وطيّب لى ولأمتى الغنيمة وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج فلم أجد شكراً إلا هذه السجدة »[٣٩٢] .

---

(٣٩٠) * **حسن** * أخرجه اس حباں فى « صحيحه » (٢١٧/١) وهو عند الهيثمى فى « المجمع » (٤١١/١٠) معزو لابن ماجة والطبرانى والبزار قال : « ورجال بعضها عند الطبرانى رجال الصحيح »

(٣٩١) * **صحيح** * أخرجه الإمام أحمد فى « مسنده » (٢٦٨/٥) والترمذى (٢٤٣٧) والطبرانى فى « الكبير » (١٢٩/٨/٩ ، ١٣٠) وابن أبى عاصم (٢٦١/١) والبغوى فى « شرح السنة » (١٦٤/١٥) وأورده الديلمى فى « الفردوس » (٧١١٣) عن أبى أمامة - رضى الله عن سائر الأصحاب -.

(٣٩٢) * **حسن** * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٢٩٠/٢) : « رواه ابن لهيعة وفيه كلام » ا.هـ قلت . فكان ماذا ؟ ابن لهيعة لا ينحط حديثه عن رتبة الحسن !

قوله عليه السلام : « إنه أعطانى ألا تجوع أمتى ولا تغلب » أى لا تجوع كلها ولا تغلب كلها إنما هو إن جاعت فى أرض شبعت فى أخرى وإن غُلبت فى موضع غَلبت هى فى موضع آخر .

٤٥٣- **وذكر أبو بكر البزار** فى مسنده من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً »[٣٩٣] .

٤٥٤- **وعن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق** أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن ربى عز وجل أعطانى سبعين ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عمر : فهلا استزدته ؟ فقال : استزدته ، فاعطانى مع كل رجل سبعين ألفاً قال : فهلا استزدته ، فقال : أعطانى هكذا وبسط باعه فقال هذا من الله تبارك وتعالى لا يدرى ما عدده »[٣٩٤] .

---

(٣٩٣) * **حسن** * الخبر أورده الإمام الهيثمى فى المجمع (٤٠٧/١٠) ساكتا عليه بعد أن عزاه لأبى يعلى (ا) وفى « المطالب العالية » (٤٠٩/٤) عزاه شيخ الإسلام لأبى يعلى أيضا ، وقال البوصيرى « ... ورواته ثقات » ا.هـ.

(٣٩٤) * **حسن** * أورده الحافظ فى « المطالب العالية » (٤٠٨/٤) وقال الأعظمى : « قال البوصيرى رواه ابن أبى شيبة ورواته ثقات ، وأحمد ، فذكره وزاد وقال الهيثمى رحمه الله فى « المجمع » (٤١٤/١٠) رواه أحمد والبزار نحوه والطبرانى نحوه وفى أسانيدهم القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد وموسى بن عبيد هذا هو مولى خالد بن عبدالله بن أسيد ذكره ابن حبان فى الثقات والقاسم بن مهران ذكره الذهبى فى الميزان وأنه لم يرو عنه إلا سليم بن عمرو النخعى ... وباقى رجال إسناده محتج بهم فى الصحيحين ا هـ

(٣٢) باب فى الشفاعة الثانية فى الخروج من النار وذكر خروج من يدخلها من الموحدين

اعلم أنه قد وجب فى الحكم الأول والقصة السابقة دخول النار على طوائف من المؤمنين من أوبقتهم سيئاتهم وأحاطت بهم خطيئاتهم ولم تمحصها عنهم عقوبات الدنيا ولا عذاب القبر ولا أهوال يوم الحشر وكل إنسان منهم تنال منه النار بدار عمله وتأخذ منه إلى الحد الذى أُمرت به ، ثم إن الله جل جلاله بفضله ورحمته يقبل فيهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين وسؤال السائلين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء وكل من له عند الله تعالى جاهٌ ومنزلة قد بلغها بعمله ونالها بصالح سعيه فإن له شفاعة فى أهله وبنيه وأوليائه وأقربيه بل ربما فى الرجل كان يعرفه فى الدنيا ولم يكن بينهما صحبة ولا كبير معرفة .

واعلم أن الجاه الذى تكون به الشفاعة ويقبل به السؤال وتقضى به الحوائج وتحصل به المنزلة عند الله تعالى إنما يكون اكتسابه فى الدنيا وتحصيله هنا بالعمل الصالح على الحد الذى حد فيه والطريق الذى أمر أن يسلكه إليه ومن ذلك العمل : التواضع للمسلمين ولين الجناح لهم واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم وإسقاط المنزلة عندهم وطلبها عند خالقهم جل جلاله .

٤٥٥- **ذكر مسلم بإسناده** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »(٣٩٥) .

---

(٣٩٥) **شفاعى لأهل الكبائر.** * **صحيح** *
أخرجه الترمذى (٢٤٣٥) وقال . حسن صحيح غريب من هذا الوجه » وأخرجه أيضا أحمد (٢١٣/٣) وأبو داود (٢٣٦/٤) وابن حبان (١٣٢/٨) والآجرى فى « الشريعة » (ص - ٣٣٨) والحدث فى « المشكاة » برقمى (٥٥٩٨ ، ٥٥٩٩) وهو فى « صحيح الجامع » (٣٦٠٨) وغيرهم والله تعالى أعلم.

٤٥٦- **وذكر أبو عيسى الترمذى** من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »(٣٩٦) .

٤٥٧- **ويروى** عن أبى أمامة أن رسول الله - ﷺ - قال : « نِعْمَ الرجل أنا لشرار أمتى . قالوا : فكيف أنت لخيارهم ؟ قال : أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى »(٣٩٧) ذكره أبو الحسن الدارقطنى .

٤٥٨- **وذكر أبو بكر بن أبى شيبة** بإسناده عن أبى موسى الأشعرى : « أن رسول الله - ﷺ - كان يحرسه أصحابه قال : فقمت ذات ليلة فلم أره فى منامه فأخذنى ما حَدُث وما قَدُم ، فقمت أنظر فإذا معاذ بن جبل لقى مثل الذى لقيت [فسمعنا] صوتاً مثل هزيز الرَّحا ، فوقفا على مكانتهما فجاء رسول الله - ﷺ - من قِبَل البيوت فقال : تدريان أين كنت - أو فيم كنت ؟ قالا : أين كنت ؟ قال : أتانى آتٍ من ربى يخبرنى بين أن يدخل شطر أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فقالا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا فى شفاعتك فدعا لهما وأقبل وأقبلا معه فكلما لقيه رجل سأله حتى استقبله عظم الناس فأخبرهم فقالوا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا فى شفاعتك قال : أنتم فى شفاعتى ومن لقى الله لا يشرك به شيئاً فهو فى شفاعتى »(٣٩٨) .

٤٥٩- **الترمذى** بإسناده عن الطفيل بن أبى عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر »(٣٩٩) .

---

(٣٩٧) * - **ضعيف** *- أورده الإمام الهيثمى فى المجمع (٣٨٠/١٠) وقال · رواه الطبرانى فى الكبير وفيه جميع بن ثوب الرحبى - قال فيه البخارى « منكر الحديث وقال ابن عدى : رواياته تدل على أنه ضعيف » وبقية رجاله رجال الصحيح » ا.هـ قلت هو عند الطبرانى فى الكبير برقم (٧٤٨٣) .

(٣٩٨) * **صحيح** * وهو فى « مسند » الإمام أحمد (٤٠٤/٤) وهو عند الترمذى (٢٤٤١) وغيرهم والله تعالى أعلم .

(٣٩٩) *- **صحيح** * أخرجه الترمذى وابن ماجه (٤٣١٤) والحاكم فى « المستدرك » (٧١/١ ، ٧٨/٤) وهو فى « المشكاة » برقم (٥٧٦٨) و « صحيح الجامع » (٧٩٣) .

٤٦٠- **مسلم بن الحجاج** من حديث يزيد الفقير قال : « كنت قد شغفنى رأىٌ من رأىِ الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نُريد أن « نَحُجّ » ثم نخرج على الناس قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالساً إلى سارية عن رسول الله - ﷺ - قال [فإذا] هو ذكر الجهنميين قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله - ﷺ - ما هذا الذى تُحدِّثون والله يقول [إنك من تدخل النار فقد أخزيته] و [كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها] فما هذا الذى تحدثون ؟ قال : فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قال : فهل سمعت بمقام محمد - ﷺ - ؟ يعنى الذى يبعثه الله نيه قال : قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد - ﷺ - المحمود الذى يُخرِج الله به من يخرج . قال : ثم [نَعَتَ] وضع الصراط وَمَرَّ الناسِ عليه قال : وأخاف أن لا أكون أُحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم : أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم [قال] فيدخلون [نهرًا] من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس . فرجعنا فقلنا : ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله - ﷺ - ؟ فرجعنا قال : والله ما خرج منا غير رَجُلٍ واحدٍ » [أو كما قال أبو نعيم] أراد(٤٠٠) بالراى الذى شغفه من رأى الخوارج تكذيبهم بالشفاعة وقولهم إنه من دخل النار من المذنبين فلن يخرج منها .

٤٦١- **وذكر مسلم أيضاً** عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن قوماً يخرجون من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون »(٤٠١) .

٤٦٢- **وعن أنس** عن النبى - ﷺ - قال : « ليصيبن أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون »(٤٠٢) .

---

(٤٠٠) * **صحيح** * وهو فى مسلم (٣/٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ - نووى) وفى « صحيح أبى عوانة » (١/١٨٠).

(٤٠١) * **صحيح** * أخرجه البخارى (١١/٤١٦) ومسلم (٣/٤٩ ، ٥٠).

(٤٠٢) * **صحيح** * أخرجه البخارى (١١/٤١٦) وأحمد (٣/١٢٥) وهو فى « صحيح الجامع » (٥٣٣٣) و « صحيح أبى عوانة » (١/١٨٣).

٤٦٣- **وذكر أبو داود الطيالسى** من حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله - ﷺ - قال : « ليخرجن أقوام من النار [مُنْتِنِينَ] قد [مَحَشَتْهُمُ] النار فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميين »(٤٠٣) .

٤٦٤- **وذكر البزار فى مسنده** عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين يريد الله تبارك وتعالى إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فيُرَشُّ عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم »(٤٠٤) .

٤٦٥- **وذكر مسلم بإسناده** عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحياء فينبتون كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية »(٤٠٥) .

٤٦٦- **وذكر الترمذى** بإسناده عن جابر قال قال رسول الله - ﷺ - : « يُعذَّب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت [الغُثاءة] فى حميل السيل ثم يدخلون الجنة »(٤٠٦) .

٤٦٧- **ومن مسند أبى بكر بن أبى شيبة** عن عمرو بن ميمون أن ابن مسعود حدثهم أن رسول الله - ﷺ - قال : « يكون فى النار قوم ما شاء الله ثم

---

(٤٠٣) * **صحيح** * مسند الطيالسى (٤١٩) وأحمد من طريقين قال الهيثمى : « رجالهما رجال الصحيح » ا.هـ مجمع (٣٨٣/١٠) وما بين المعكفات بياض بالأصل أكملته من رواية الطيالسى والله تعالى أعلم

(٤٠٤) * **صحيح** * أخرجه مسلم (٣٧/٣ - نووى) وأبو عوانة فى « صحيحه » (١٨٦/١) والآجرّى فى « الشريعة » (ص - ٣٤٥).

(٤٠٦) * **صحيح** * أخرجه مسلم (٤٩/٣ - نووى) وأحمد (٧٧/٣ ، ٩٠) والترمذى (٢٥٩٧) وغيرهم.

يرحمهم الله فيخرجهم فيكونون [أدنى] الجنة فيغتسلون فى نهر الحياة ويسميهم أهل الجنة الجهنميين لو [أضاف] أحدهم أهل الأرض لاطعمهم وسقاهم وأحسبه قال وزوجهم لا ينقصه ذلك شيئا »(٤٠٧) .

٤٦٨- **وذكر أبو بكر الشافعى** بإسناده من حديث أبى أمامة عن النبى - ﷺ - قال : « إن من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنة أكثر من ربيعة ومضر »(٤٠٨) .

٤٦٩- **وذكر الترمذى** من حديث ابن أبى الجدعاء قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم . قيل : يا رسول الله سواك ؟ قال : [سواى] »(٤٠٩) .

٤٧٠- **وذكر البزار** فى مسنده عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة »(٤١٠) .

٤٧١- **وعن أبى سعيد** أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن من أمتى لمن يشفع فى الغمام من الناس ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع لرجل وأهل بيته »(٤١١) .

---

(٤٠٧) * **صحيح** * الإمام أحمد (٤٥٤/١) وابن حبان فى « صحيحه » (٢٥٨/٩) وأورده الديلمى فى « الفردوس » (٨٩٠١) وأورده الهيثمى فى « المجمع » (٣٨٦/١٠) وعزاه لأحمد وأبى يعلى وقال : « رجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط » ا.هـ

(٤٠٨) * **حسن إن شاء الله** * رواه الطبرانى فى « الكبير » (٨٠٥٩) وفيه أبو غالب وبه علله الهيثمى فى « المجمع » (٣٨٤/١٠ ، ٣٨٥) قال « ...، رجاله رجال الصحيح غير أبى غالب وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف » ا.هـ قلت : ولكن أخرجه بطريق أخرى أحسن من هذه (٧٦٣٨) ومنها أخرجه أحمد (٢٥٧/٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٧) قال الهيثمى (٣٨١/١٠) رواه أحمد والطبرانى بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبرانى رجالهم رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن ميسرة وهو ثقة ا.هـ.

(٤٠٩) * **صحيح** * أخرجه الترمذى (٢٥٥٥ - تحفة) والدارمى فى « السنن » (٣٢٨/٢) بأسانيد صحاح والله تعالى أعلم

(٤١٠) * **فى إسناده ضعف** * أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٢٠/٣) وفيه عطية العوفى عن أبى سعيد .

(٤١١) * **إسناده فيه ضعف** * أخرجه ابن ماجة فى « سننه » (٣٦٨٥) وفيه يزيد الرقاشى عن أنس ، وهو فى « المشكاة » (٥٦٠٤) وأورده المنذرى فى « الترغيب » (٥٠/٢ - ٥١) وعزاه للطبرانى وقال : « وفيه

٤٧٢- **وذكر الطحاوى** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفاً وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول له : يا فلان أما تذكر يوماً اصطنعت معروفاً إليك ؟ فيقول : اللهم إن هذا اصطنع إلى فى الدنيا معروفاً ، قال : فيقال له : خذ بيده ادخله الجنة برحمة الله عز وجل » قال أنس : أشهد أنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقوله(٤١٢) .

٤٧٣- **وذكر الطحاوى أيضاً** من حديث أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - قال : « أصبح رسول الله - ﷺ - ذات يوم فذكر حديثاً طويلاً من حديث يوم القيامة ، ثم ذكر فيه : شفاعة الشهداء قال : ثم يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين انظروا فى النار هل فيها من أحد عمل خيراً قط ؟ فيجدون فى النار رجلاً فيقال له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا غير أنى قد أمرت ولدي إذا مت فاحرقونى بالنار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فاذرونى فى الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً فيعاقبنى إذا عاقبت نفسى فى الدنيا عليه قال فيقول الله : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك . فيقول : انظر [إلى] مُلْكِ أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله »(٤١٣) .

٤٧٤- **وذكر أبو بكر البزار** من حديث أبى بكرة الثقفى عن النبى - ﷺ - قال : « يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش فى النار [فَيُنَجّى الله تعالى برحمته من يشاء] ثم يؤذن

= أبو طلال هلال بن سويد أو ابن أبى سويد ، وثقه البخارى وابن حبان فقط والخبر فى « ضعيف الجامع » (٦٤٤٧) معزو لابن ماجة وأخرجه أيضا البغوى فى « شرح السنة » (١٨٥/١٥) وفيه أيضا سيّء الحفظ ! والله أعلم.

(٤١٣) « **صحيح** » أخرجه البخارى (٣١٢/١١ ، ٣١٣) ومسلم ٧٠/١٧ - ٧٤ - نووى) وأبو عوانة فى « صحيحه » (١٧٥/١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨) ، وعزاه الهيثمى فى المجمع (٣٧٧/١٠ - ٣٧٨) لأحمد وأبى يعلى بنحوه والبزار وقال . « ورجالهم ثقات » ا.هـ

للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين [أن يشفعوا] فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون »(٤١٤) .

٤٧٥- **وذكر مسلم** من حديث أبي سعيد الخدرى « أن ناساً فى زمن رسول الله - ﷺ - قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله - ﷺ - : نعم هل تضارُّون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله [سبحانه] من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلَّا [من] كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر غير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزير ابن الله ، فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا رب فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما تخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربناي فاسقنا فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر أتاهم رَبُّ العالمين [سبحانه] فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال : فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا [نشرك] بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول : هل بينكم

---

(٤١٤) « **صحيح** » أخرجه الإمام أحمد (٤٣/٥) والطبرانى فى « الصغير » (٥٦/٢ ، ٥٧) وقال الإمام الهيثمى فى المجمع (٣٦٢/١٠) : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى « الصغير » و « الكبير » بنحوه ، ورواه البزار أيضا ورجاله رجال الصحيح » ا.هـ وما بين المعكفات منه

وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا . ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ . قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دَحضٌ مزلَّة فيها خطاطيف وكلاليب [وحسك] تكون [بنجد] فيها شويكة يقال لها السَّعْدَان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مُسَلَّم ومخدوشٌ مرسل ومكدوسٌ فى نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويَحُجُّون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتُحَرَّمُ صورُهم على النار فيُخرِجون خَلْقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون يا ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها أحداً ممن أمرتنا . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً فيقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً . وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿ إنَّ اللهَ لا يظلم مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإن تَكُ حسنةً يضاعفها وَيُؤْتِ من لَدُنْهُ أَجْراً عَظيماً ﴾ فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبييون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَماً [فيلقيهم] فى نهر فى [أفواه] الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون

أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية . قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين . فيقول : لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون : يا ربنا أى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً »(٤١٥) .

٤٧٦- **قال مسلم** قال أبو سعيد الخدرى : « بلغنى أن [الصّراط] أَدَقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف »(٤١٦) .

٤٧٧- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث أبى هريرة : « أن ناساً قالوا يا رسول الله - ﷺ - هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : « هل تضارون من القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا . قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من [كان] يعبد الشمس الشمسَ ، ويتبع من [كان] يعبد القمر القمر ، ويتبع من [كان] يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هده الأمة فيها [منافقوها] - وذكر الحديث - قال : ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سَلِّم سَلِّم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السَّعْدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يَعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم [المؤمن يقى] بعمله ، ومنهم المجازَى حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرِج برحمته مَنْ أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرِجوا من النار

---

(٤١٥) « صحيح » أخرجه البخارى (٢/٢٩٢ ، ٢٩٣ - فتح) وأحمد (٢/٢٩٣ ، ٢٩٤) والنسائى كما فى تحفة الأشراف (١٠/٢٧١).

(٤١٦) « صحيح » أخرجه مسلم (٣/٣٣ ، ٣٤) وأحمد (٦/١١٠) وأورده الحافظ فى « المطالب العالية » وسكت عليه البوصيرى كما أفاد الأعظمى ر ٣٦٩/) وهو فى « الترغيب » (٤/٢١١)

من كان لا يشرك بالله شيئاً فمن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون مِنْهُ كما تنبت الحبةُ فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول : أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحُها وأحرقنى [ذكاؤها] فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيتَ إن فعلتُ ذلك بك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء [الله] [فيصرف الله وجهه عن النار ؛ فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت] ثم يقول : أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول : أى رب ويدعو الله ، حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة [انْفَهَقَتْ] له الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول : أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال : أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له : تَمَنَّهْ فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله لَيُذَكِّرُه مِنْ كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل : ذلك له ومثله معه » .

قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا [يَرُدّ] عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حَدَّث أبو هريرة : « إن الله قال لذلك الرجل ومثله معه » قال أبو سعيد : « وعشرة أمثاله معه » يا أبا هريرة ، قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : « ذلك لك ومثله معه » قال أبو سعيد : أشهد أنى

حفظت من رسول الله - ﷺ - قوله : « ذلك لك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة(٤١٧) .

٤٧٨- **وذكر عن** عبد الله بن مسعود أن رسول الله - ﷺ - قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفتَ إليها وقال : تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ثم ترفع له شجرة فيقول : أى رب [أَدْنِنِى] من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله [عَزَّ وَجَلَّ] : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها . فيقول : لا يارب ويُعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه . فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها [ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول : أى ربّ أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها] لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ فيقول : لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها [فيستظل] بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليَين فيقول : أىْ رب [أدننى] من هذه فأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ قال : بلى يارب هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : يارب أدخلنيها . فيقول : يا ابن آدم ما [يَصْرِينى منك] أيرضيك أن [أعطيك] الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ قالوا : مِمّ تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله - ﷺ - فقالوا : مِمّ تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء

---

(٤١٧) * صحيح * متفق عليه عند الشيخين ، وتقدم

منى وأنت رب العالمين فيقول : إنى لا أستهزىء منك ولكنى على ما أشاء قادر »(٤١٨) .

٤٧٩- **وعن أبى سعيد الخدرى** عن النبى - ﷺ - فى هذا الحديث قال فيه : « ويُذَكِّرُهُ الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل : هو لك وعشرة أمثاله . قال : ثم يدخل بيته فتدخل عليه زَوْجَتَاهُ من الحور العين فيقولان له : الحمد لله رب العالمين الذى أحياك لنا وأحيانا لك فيقول ما أُعْطِى أحدٌ مثل ما أعطيت »(٤١٩) .

٤٨٠- **وذكر مسلم** من حديث معمر بن هلال العنزى قال : « انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلى [الضّحى] فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له : يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة قال : [حَدَّثَنَا] محمد - ﷺ - قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم فيقولون : ياآدم اشفع لذريتك . فيقول : لست لها ولكن عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته [فيؤْتى] عيسى عليه السلام فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد فأُوْتى فأقول : أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر [عليه] إلا أن [يُلْهِمُنِيهِ] الله ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعْطَهُ واشفع تُشَفَّع . فأقول : رَبِّ أُمَّتى أُمَّتى فيقال : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرةٍ من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم

---

(٤١٨) * صحيح * أخرجه الإمام أحمد (٤٣/٣ ، ٤٤) ومسلم (٤٢/٣ ، ٤٣) والبغوى (١٨٦/١٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨)

(٤١٩) * صحيح * وهو فى صحيح مسلم (٤٣/٣، ٤٤)

(٤٢٠) * صحيح * أخرجه البخارى (٣٩٦/١٣) ومسلم (٦١/٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) والبغوى (١٥٧/١٥ - ١٦٠).

أخر له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : رب أمتى أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى [رَبِّى] فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل »(٤٢٠) هذا حديث أنس الذى أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مُسْتَخْفٍ فى [دارِ أبى] خليفة قال : فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا : يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه فى الشفاعة ، قال : هيه ، فحدثناه الحديث فقال : هيه ، قلنا : مازادنا ، قال قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئاً ما أدرى أنسى الشيخ أم كره أن يحدثكم فَتَتَّكِلوا قلنا له : حدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان من عَجَل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أُحَدِّثكموه قال : ثم قال : « ثم أرجِع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب إئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله قال : ليس ذلك لك أو قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى [وجبْريائى] لأخرجن من قال لا إله إلا الله » قال فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع » .

(٣٣) باب ذكر من يخرج من النار برحمة الله تعالى من غير شفاعة أحد

٤٨١- قد تقدم حديث مسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - وذكر خروج من يخرج من النار بشفاعة الملائكة والنبيين وغيرهم : « قال فيقول الله عز وجل قد شفعت الملائكة وشفع النبييون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط وذكر الحديث » . وقوله عز وجل فى الحديث قبل هذا : « وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن من قال لا إله إلا الله » .

٤٨٢- **وروى سنان بن حرب العبسى** سمع ابن عمر عن النبى - عليه السلام - قال : « اشتكت النار إلى ربها عز وجل ضيقها بما فيها من أهلها وحرها وزمهريرها فغمزها فقال : حسبى على عبادى فأخرج منها عدد الجراد والذباب »(٤٢١) ذكره أبو الحسن الدارقطنى .

٤٨٣- **وذكر أبو بكر البزار** عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « يأتى على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد يعنى من الموحدين »(٤٢٢) هكذا رواه موقوفاً من حديث عبد الله بن عمر وليس فيه ذكر النبى - ﷺ - .

---

(٤٢١) * لم أقف عليه ! فالله تعالى أعلم.

(٤٢٢) * - **ضعيف** * وقد بينت فى خطبة الكتاب أن ليس من شأنى تخريج الآثار أو الموقوفات ، ولكن لا بأس من الإشارة هنا إلى أن المصنف لو استغنى عن إيراد هذا الأثر لكان خيرًا له ولنا (!) لاسيما وأنه أورد من الأخبار الصحيحة فى شأن إخراج الموحدين من النار الشيء الكثير مما يجعل تأثير هذا الأثر هيّنًا إلى

٤٨٤- **ويروى عن سلمان الفارسى** - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجوار بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية »[(٤٢٣)] روى من مسند أحمد بن خالد .

حوارها هذا لو صَحّ ، فضلاً عن كونه مثار جدل وأخذ ورد بين علماء المسلمين ، وقد أورده بعضهم مستدلاً به على القول بفناء النار حالف فيه الناس (أ) وفيه مسائل ضيقة وعرة لا أحب الخوض فيها -أصلا- فأورد الهيثمى رحمه الله فى المجمع (٣٦٣/١٠) عن أبى أمامة قال قال - ﷺ - : « ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج وأحمر تخفق أبوابها » قال : رواه الطبرانى وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف » ا.هـ. وراجع كتاب « الصواعق المرسلة » لابن القيم رحمه الله.

(٤٢٣) « **ضعيف** » أخرجه الطبرانى (٢٧٢/١٨/٦) وفيه عبدالرحمن ابن زياد ابن أنعم وهو الإفريقى وهو ضعيف. راجع « المجمع » (٤٠١/١٠).

(٣٤) باب ما أول طعام أهل الجنة

٤٨٥- **ذكر البخارى** من حديث أنس بن مالك : « أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم نبى الله – ﷺ – المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إنى سائلك عن ثلاث لا يَعْلَمهُنّ إلا نبى : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أَخْبَرَنى بِهِنّ جبريلُ آنفاً قال ابن سلام : ذلك عدو اليهود من الملائكة ، قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماءَ المرأة نزع الولد وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال : يا رسول الله إن اليهود قَوْمٌ بُهْتٌ فَسَلْهُمْ عَنِّى قبل أن يعلموا بإسلامى فجاءت اليهود فقال : أىُّ رَجْلٍ عبد الله فيكم ؟ قالوا : خَيْرُنَا وابنُ خَيْرِنَا وأَفْضَلُنَا وابنُ أَفْضَلِنَا ، فقال النبى – ﷺ – : أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ، قالوا : أعاذهُ الله من ذلك فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالوا : شَرُّنَا وابن شرنا وتَنَقَّصُوه ، قال : هذا أخاف يا رسول الله »(٤٢٤) .

(٤٢٤) * صحيح * أخرجه البخارى (٣٦٢/٦)

(٣٥) باب من صفة الجنة وما أعد الله لأهلها

قال الله عز وجل : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة / ٢٥] ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ [النساء /٥٧] ، ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، إخواناً على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم عنها بمخرجين ﴾ [الحجر / ٤٥ – ٤٨] ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ [فاطر / ٣٤ – ٣٥] ، ﴿ إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [الدخان / ٥٢ – ٥٧] ، ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [الواقعة / ١٠ – ٢٤] ، ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين ﴾ [الواقعة / ٢٧ – ٣٨] ، ﴿ وجوه

يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية ﴾ [الغاشية /٨ – ١١][٤٢٥] .

٤٨٦– **أبو بكر البزار من حديث** أبى سعيد الخدرى عن النبى – ﷺ – قال : « خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك وقال لها : تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة : طوبى لك منزل الملوك »[٤٢٦] وهذا يروى موقوفاً عن أبى سعيد قال : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوك » .

٤٨٧– **وذكر الترمذى** عن أبى هريرة قال : « قلت يا رسول الله مم خلق الخلق ؟ قال : من الماء . قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم »[٤٢٧] .

٤٨٨– **ومن حديث مسلم** عن أبى سعيد الخدرى : « أن ابن صياد سأل النبى – ﷺ – عن تربة الجنة فقال [دَرْمَكَة] بيضاء مسك خالص »[٤٢٨] .

---

(٤٢٥) « ياهادىَ الطريق جُرْت (!) إنّما هُو الفَجْرُ أو البَجْرُ (!)
هذا هو ما أعلمنا عليه ونبها إليه مِن حظر سياق الآيات كلها سياقاً واحداً بلا نسبة إلى سورة أو فواصل بينها. هذا فضلاً عن الخطأ الفاحش فى كتابة الآية (٥٧) من سورة النساء والمشتكى لله وحده.

(٤٢٦) « خبر أبى سعيد راجع له « مجمع الزوائد » (٤٠٠/١٠).

(٤٢٧) « ضعيف » وهو فى « جامع الترمذى » (٢٦٤٦ تحفة) وفى إسناده زياد الطائى ، « وهو مجهول من السادسة أرسل عن أبى هريرة (تقريب ٢٧١/١)

(٤٢٨) « صحيح » وهو فى « صحيح مسلم » (٥٢/١٧ نووى)

٤٨٩- **وعن أنس بن مالك** عن النبى - عليه السلام - قال : « ادخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك »(٤٢٩) الجنابذ : القباب واحدها جنبذة .

٤٩٠- **وذكر مسلم** أيضاً من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴾ [السجدة / ١٧] ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ »(٤٣٠) .

٤٩١- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث سهل بن [سعد] عن رسول الله - ﷺ - قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها »(٤٣١) قال أبو حازم : فحدثت به النعمان بن أبى عياش [الزرقى] فقال :(٤٣٢) حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب ذو الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها » .

٤٩٢- **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤ إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ ولَموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا إن شئتم ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »(٤٣٣) .

---

(٤٢٩) * أرجو أنه حسن (الترغيب ٤/٢٥٢).

(٤٣٠) * **صحيح** * متفق عليه البخارى (٤١٥/٨) ومسلم (١٦٥/١٧).

(٤٣١) * **صحيح** * أخرجه البخارى فى « بدء الخلق » وفى « التفسير » وفى « الرقاق » (٤١٥/١١) ومسلم (١٦٧/١٧).

(٤٣٢) * نسبته ليست بالمخطوط تميزاً له عن غيره فقال حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب بالجواد المضمر ... الحديث » وهو صحيح.

(٤٣٣) * **صحيح** * أخرجه البخارى (٣١٩/٦) والترمذى (٣٢٩٢) وقال « حسن صحيح » وأحمد (٤٣٨/٢) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٠٩/١٥) وصححه.

٤٩٣- **وأما** ما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « إن فى الجنة شجرة يستظل الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ [ولقابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ مِنَ] الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب »(٤٣٤) .

٤٩٤- **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة : قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »(٤٣٥) .

٤٩٥- **ومن مسند البزار** عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن فى الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة عرض ساقها ثنتان وسبعون سنة »(٤٣٦) .

٤٩٦- **وذكر ابن المبارك** عن سليم بن عامر قال : « كان أصحاب النبى - ﷺ - يقولون : إنه لينفعنا الله بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابى يوماً فقال : يا رسول الله لقد ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أدرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله - ﷺ - : وما هى ؟ قال السدر فإن له شوكا مؤذياً فقال رسول الله - ﷺ - : أو ليس يقول ﴿ سدر مخضود ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل ذى شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمراً تفيق الثمرة منها على اثنين وسبعين لوناً طعام ما فيه لون يشبه الآخر »(٤٣٧) ويروى ثمراً بالثاء المثلثة فيها كلها .

٤٩٧- **وقال عليه السلام** : « وذكر سدرة المنتهى وإذا ثمرها كالقِلال »(٤٣٨) ذكره

---

(٤٣٤) * **صحيح** * أخرجه البخارى (٣١٩/٦ ، ٣٢٠) والترمذى (٢٥٢٤) وما بين المعكفين أكملته من رواية البخارى.

(٤٣٥) * **حسن** * الترمذى فى جامعه من طريق زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة وقال حديث حسن غريب من حديث أبى سعيد ا.هـ. وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢٥٠/٩) والبيهقى فى « البعث والنشور » (ص ١٦٧).

(٤٣٦) * **حسن** * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » رواه البزار والطبرانى وإسناد الطبرانى حسن

(٤٣٧) **صحيح** * أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (١٥٦/٦) وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » (٤٧٦/٢) وقال « صحيح الإسناد » ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهو كما قالا والله أعلم.

(٤٣٨) - **صحيح** * أخرجه البخارى (٣٠٢/٦) ومسلم (٢٠٩/٢ - ٢١٥).

مسلم بن الحجاج رحمه الله .

٤٩٨- **وذكر مسلم أيضاً** عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحِل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا »[٤٣٩] **وذكر مسلم أيضاً** من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن أهل الجنة ليتراءون [أهل الغرف] من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغائر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وَصدَّقُوا المرسلين »[٤٤٠] .

٥٠٠- **وذكر مسلم أيضاً** عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء » فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم - ﷺ - : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى بعدها على أضوأ كوكب درى فى السماء لكل إمرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب »[٤٤١] .

٥٠١- **وذكر الترمذى** عن أبى سعيد عن النبى - ﷺ - : « إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب فى السماء لكل واحد منهم زوجتان

---

(٤٣٩) * **صحيح** * متفق عليه البخارى (١١/٤١٥) ومسلم، وأبو عوانة (١/١٨٢ ، ١٨٣) من طريق حعفر بن عوف قال ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به كما عند الشيخين).

(٤٤٠) **صحيح متفق عليه** أخرجه البخارى من حديث سهل بن سعد وكذا مسلم (٢٨٣٠) وأحمد (٥/٣٤٠) والطبرانى فى الكبير (٥٧٦٢)

(٤٤١) * **صحيح . متفق عليه** أخرجه البخارى (٦/٣١٨) ومسلم (١٧/١٧٠).

على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها »[٤٤٢] .

٥٠٢- **وذكر مسلم بن الحجاج** عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خَلْقِ رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء »[٤٤٣] .

٥٠٣- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يبصقون أمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء » ويروى : على خَلْق[٤٤٤] .

٥٠٤- **وذكر أيضاً** من حديث أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم من الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحُسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا »[٤٤٥] .

٥٠٥- **وذكر من حديث** جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون

---

(٤٤١) صحيح متفق عليه . البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٣/١٧) .

(٤٤٢) صحيح - متفق عليه : البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧١/١٧) .

(٤٤٤) صحيح - متفق عليه . البخارى (٣٢٦/٦) ومسلم (١٧٢/١٧) .

(٤٤٥) صحيح - متفق عليه : البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٣/١٧) .

ولكن طعامهم ذلك [جُشَاء] كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس »[٤٤٦] .

٥٠٦- **وذكر النسائى** من حديث زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من اليهود إلى النبى - ﷺ - فقال : يا أبا القاسم أتزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فقال : إى والذى نفسى بيده إن الرجل منهم لَيُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة . قال الرجل : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى فقال النبى - ﷺ - : حاجة أحد منهم رشح يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر[٤٤٧] .

٥٠٧- **وذكر الترمذى** من حديث أنس بن مالك قال : « سئل رسول الله - ﷺ - : « ما الكوثر ؟ قال : ذلك نهر أعطانيه الله ، يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُرْ ، قال عمر : إن هذه لناعمة . قال رسول الله - ﷺ - : آكِلُها أنعم منها »[٤٤٨] .

٥٠٨- **ومن مسند البزار** عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجىء مشويا بين يديك »[٤٤٩] .

٥٠٩- **أبو بكر بن عبد الله الشافعى** من حديث أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة

---

(٤٤٦) **صحيح - أخرجه مسلم** (١٧٣/١٧) والترمذى (١٠/٢ عارضة)

(٤٤٧) * **صحيح** * أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٢٥٦/٩) والبيهقى فى « البعث والنشور » (ص ١٨٦) نحوه

(٤٤٨) * **صحيح - متفق عليه** : أخرجه البخارى (٧٣١/٨) ومسلم (١١٢/٤).

(٤٤٩) * **ضعيف** * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٤١٧/١٠) رواه البزار وفيه حميد ابن عطاء الأعرج وهو ضعيف وقال المنذرى فى « الترغيب » (٢٦٠/٤) رواه ابن أبى الدنيا والبزار والبيهقى قلت : هو فى كتاب « البعث والنشور » وليس فى السنن - كما يتبادر - عند إطلاق لفظ البيهقى (ص ١٨٧) وفى إسناده خلف ابن خليفة ذكره الإمام الذهبى فى « الميزان » وذكر له هذا الخبر من مناكيره

(٤٥٠) **صحيح بمجموع طرقه** أخرجه الترمذى (٢٦٦٩- تحفة) وكذا أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى وقال الترمذى حديث غريب وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه . قال الهيثمى فى « المجمع » (٤٠١/١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده جيد

جُرْدًا مُرْداً مُكَحَّلين ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »(٤٥٠) ذكره الترمذى وحديث أبى بكر أكمل .

٥١٠- **وذكر الترمذى أيضاً** عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُرَدُّون بنى ثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » .

كذا قال ثلاثين(٤٥١) ، والأول أحسن إسنادًا .

٥١١- **وذكر مسلم** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه »(٤٥٢) .

٥١٢- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « ينادى منادٍ إن لكم أن تَصِحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾(٤٥٣) .

٥١٣- **وعن أبى بكر بن عبد الله بن قيس** عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضا »(٤٥٤) .

٥١٤- **وبهذا الإسناد** أن رسول الله - ﷺ - قال : « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن »(٤٥٥) .

---

(٤٥١) * **صحيح** * وهو فى « صحيح الجامع » (٧٩٢٨) وأخرجه أحمد (٢٤٣/٥) والترمذى (٢٥٤٥) وهو فى « المشكاة » برقم (٥٦٣٩) وأورده الديلمى فى « الفردوس » (٨٩١٠) وقال الهيثمى فى « المجمع » رواه الطبرانى فى « الصغير » والأوسط وإسناده حسن

(٤٥٢) **صحيح** * أخرجه مسلم (١٧٤/١٧) وأحمد (٣٧٠/٢ و٤٠٧ و٤١٦) والدارمى (٣٣٢/٢) والبغوى فى « شرح السنة » (٢٢٠/١٥).

(٤٥٣) **تقدم فى الذى قبله والحمد لله أولاً وآخراً.**

(٤٥٤) **صحيح** أخرجه البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٥/١٧)

(٤٥٥) **قوله** : وبهذا الإسناد . إلخ

٥١٥- **وذكر الترمذى** من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم وإثنتان وسبعون زوجة وتنصب لهم قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين [الجابية] إلى صنعاء »[٤٥٦] .

٥١٦- **وذكر الترمذى** من حديث على بن أبى طالب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابى فقال : [لِمَن هى] يا رسول الله ؟ قال : هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام »[٤٥٧] .

٥١٧- **وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ ينظر إلى جِنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله - ﷺ - : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[٤٥٨] وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا .

٥١٨- **وذكر الترمذى** عن أنس أن رسول الله - ﷺ - قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى

= قلت : أين هو (؟) يرحمك الله (؟!) قال : قال رسول الله - ﷺ - فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة .. إلخ الحديث تقدم تخريجه آنفاً عند الشيخين وغيرهما والله تعالى أعلم.

(٤٥٦) **ضعيف** « أخرجه الترمذى (٢٦٨٧) وفيه رشدين بن سعد ودراج عن أبى الهيثم وهذا إسناد واهٍ بمرة.

(٤٥٧) **إسناده ضعيف وهو صحيح** أخرجه الترمذى (٢٦٤٧ - تحفة) وأبو يعلى (٤٢٨ ، ٤٣٨) وعبد الله بن أحمد فى « زوائد المسند » وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (٣٢٠) قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحق وقد تكلم بعض أهل الحديث فيه من قبل حفظه ا.هـ والله تعالى أعلم.

(٤٥٨) **ضعيف** « رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة وهو مجمع على ضعفه ا.هـ (٤٠٤/١٠).

الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا [ولنصيفها] على رأسها خير من الدنيا وما فيها »(٤٥٩) .

٥١٩- **وعن سعد بن أبي وقاص** عن النبي - ﷺ - قال : « لو أن ما يقل [ظُفْر] [مما] في الجنة بَدَا [لتزخرفت] له ما بين [خوافق] السموات والأرض ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم »(٤٦٠) .

٥٢٠- **وعن أبي سعيد الخدري** عن النبي - ﷺ - قال : « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب »(٤٦١) .

٥٢١- **وذكر الترمذي أيضاً** عن عبد الله بن مسعود عن النبي - ﷺ - قال : « إن المرأة من نساء أهل الجنة لَيُرَى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حَتَّى يُرَى مُخُّهَا » وذلك بأن الله عَزَّ وجل يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من وراءه » ويروى هذا عن عبد الله بن مسعود قوله .

٥٢٢- **وذكر مسلم** من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إني [لأعْرِفُ] آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له : انطلق ادخل الجنة ، قال : فيذهب فيدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل ، فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ فيقول :

---

(٤٥٩) **صحيح** * أخرجه البخاري (١٣/٦) ومسلم (٢٦/١٣ - ٢٧).

(٤٦٠) **إسناده ضعيف وهو صحيح** أخرجه أحمد (١٦٩/١، ١٧١) ونعيم بن حماد في « زوائد الزهد » (٤١٦) والبغوي في شرح السنة (٢١٤/١٥) والترمذي (٢٦٦١ تحفة) وقال غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة . وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث وقال عن عمر ابن سعد عن النبي - ﷺ - ا.هـ ورواية يحيى بن أيوب التي أشار إليها الترمذي أخرجها البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٠٨/٢/٣)،... والترمذي بهذا القول يريد أن يعلل رواية ابن لهيعة - والواقع أن رواية ابن لهيعة أصح من رواية يحيى ابن أيوب قطعاً لأن الراوي عنه ابن المبارك وهو أحد الذين سمعوا عنه قبل الاختلاط ا.هـ والله أعلم

(٤٦١) **ضعيف** * أخرجه الترمذي والحاكم (٤٢٦/٢ ، ٤٢٧) وهو في « المشكاة » (٥٦٤٨) و « ضعيف الجامع » (١٨٨٠).

نعم ، فيقال : له [تمَنَّ] فيتمنى فيقال له : لك الذى تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بى وأنت الملك ؟ قال فلقد رأيت رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه »(٤٦٣) .

٥٢٣- **وعنه** قال قال رسول الله - ﷺ - : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبواً فيقول له الله : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها [ملأى] فيرجع فيقول : يارب إنها [ملأى] فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة قال : فيأتيها فيخيل إليه أنها [ملأى] فيرجع فيقول : يارب وجدتها [ملأى] فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو فإن لك عشرة أمثال الدنيا - قال : فيقول : أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك ؟ فلقد رأيت رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه قال وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »(٤٦٤) .

٥٢٤- **وذكر مسلم أيضاً** عن المغيرة بن شعبة عن النبى - ﷺ - قال : « سأل موسى عليه السلام ربه قال ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجىء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة فيقول : [أى] رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال : له أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردتُّ غرست كرامتهم بيد[ى] وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » قال

---

(٤٦٢) **ضعيف** * أخرجه الترمذى (٢٦٥٤ تحفة) وإسناده ليس بذاك وابن حبان فى « صحيحه » (٩/٢٤٤) وهو فى ضعيف الجامع (١٧٧٦).

(٤٦٣) **صحيح** * أخرجه مسلم فى « صحيحه » (٣/٣٩ ، ٤٣).

(٤٦٤) **صحيح** وما أدرى السر فى تكرير الرواية وقد مرت قبل فى الرواية الفائتة مباشرة من طريق عثمان بن أبى شيبة وإسحق بن إبراهيم الحنظلى كلاهما عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله قال . فذكره مرفوعًا وما بين المعكفات من رواية الصحيح.

ومصداقه من كتاب الله عز وجل : ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين ﴾[465] الآية .

٥٢٥– **وذكر النسائى** من حديث أنس عن النبى – ﷺ – قال : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع »[466] قالوا يا رسول الله أو يطيق ذلك قال : يعطى قوة مائة .

٥٢٦– **وذكر البزار** فى مسنده عن أبى هريرة قال : « قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة ؟ قال : إى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء »[467] .

٥٢٧– **وعن أبى سعيد** الخدرى قال : قال رسول الله – ﷺ – : « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً »[468] .

٥٢٨– **وذكر الترمذى** من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلاً سأل النبى – ﷺ – فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من خيل ؟ قال : إنِ اللهُ أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها [على] فرس من ياقوتة حمراء تَطِير بك فى الجنة حيث شئت [إلّا فعَلَتْ] »[469] .

قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من إبل ؟ قال : فَلَمْ يقل له ما قال لصاحبه [فقال] إنْ يُدْخِلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » .

٥٢٩– **وذكر الترمذى** من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله – ﷺ – قال : « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

---

(٤٦٥) – **صحيح** أخرجه مسلم فى صحيحه (٣/٤٤ – ٤٦).

(٤٦٦) – **صحيح** أخرجه الترمذى (٢٦٥٩ تحفة).

(٤٦٧) – **حسن إن شاء الله** الديلمى فى « الفردوس » (٧٠٨٥) قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٤٢٠) رواه الطبرانى فى « الصغير » و « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة.

(٤٦٨) **ضعيف** – أورده الإمام الهيثمى وقال عقبة رواه البزار والطبرانى فى الصغير وفيه معلى بن عبدالرحمن الواسطى وهو كذاب ا.هـ قلت · راجع المطالب العالية (٤/٤٠١)

(٤٦٩) **حسن إن شاء الله** أخرجه الترمذى (٢٦٦٦ تحفة) وفى إسناده المسعودى وهو ثقة كان اختلط والله أعلم.

والفردوس أعلاها درجةً ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس »[٤٧٠] .

٥٣٠- **وذكر الترمذى** أيضا من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين عام »[٤٧١] .

٥٣١- **وذكر الترمذى** أيضا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « إن فى الجنة مائة درجة لو أن [العالمين] اجتمعوا فى إحداها لوسعتهم »[٤٧٢] .

٥٣٢- **وذكر النسائى** من حديث أبى هريرة أن النبى - ﷺ - قال : « من ليس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ، ومن شرب فى آنية الذهب والفضة فى الدنيا لم يشرب بها فى الآخرة »[٤٧٣] ثم قال رسول الله - ﷺ - : « لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة » .

٥٣٣- **وذكر مسلم** من حديث أبى بكر بن عبد الله بن قَيس عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »[٤٧٤] .

٥٣٤- **وذكر الترمذى** عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعده »[٤٧٥] .

---

(٤٧٠) **صحيح** - أخرجه الترمذى (٢٦٥١) وهو فى المشكاة برقم (٥٦١٧) « وصحيح الجامع » والصحيحة (٩٢٢).

(٤٧١) **صحيح إن شاء الله** أخرجه الترمذى (٢٦٤٩) وقال : حسن غريب وأورده المنذرى فى « الترغيب » (٤/٢٥٠) وقال رواه الطبرانى فى « الأوسط » وهو فى « صحيح الجامع » (٤١٢١) وراجع « الصحيحة » (٩٢٢).

(٤٧٢) * **ضعيف** * أخرجه الترمذى (٢٦٥٣) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد

(٤٧٣) **صحيح** . **متفق عليه** أخرجه البخارى فى « اللباس » ومسلم (١٦٤٥).

(٤٧٤) **صحيح** - **متفق عليه** البخارى (٨/٦٢٣) ومسلم (٢/١٦).

(٤٧٥) **صحيح إن شاء الله** أخرجه الترمذى (٢٥٧١) وأحمد (٥/٥) وابن حبان (٢٦٢٣) والدارمى (٢/٢٤٣)

٥٣٥- **ويروى** عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك » ذكره [ابن حبان وغيره][٤٧٦] .

٥٣٦- **وذكر** من حديث على بن أبى طالب قال قال رسول الله - ﷺ - : « إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا [نبأس] ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له »[٤٧٧] .

٥٣٧- **وذكر البخارى** عن سهل بن سعد عن النبى - ﷺ - قال : « للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »[٤٧٨] .

٥٣٨- **وذكر الترمذى** عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى »[٤٧٩] .

قال إسحاق بن إبراهيم : إذا اشتهى ولكن لا يشتهى يريد أنه لا تَوَالُدَ فى الجنة كما جاء عن النبى - ﷺ - .

= وأبو نعيم فى الحلية (٦/٢٠٤) كلهم من طريق سعيد بن إياس الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعًا به وعنه أخرجه البيهقى فى « البعث والنشور » ص (١٦٧) وفى الدر المنثور (٦/٤٩) عزاه السيوطى لابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى « البعث » وفى « المطالب العالية » (٤/٤٠٢) عزاه شيخ الإسلام للحارث وقال الأعظمى قال البوصيرى رواه الحارث مرسلاً ورواته ثقات

(٤٧٦) **حسن إن شاء الله** أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٩/٢٤٩).

(٤٧٧) **إسناده ما هو بذاك** قال الهيثمى فى « المجمع » (١٠/٤٢٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه وفى إسنادهما سليمان بن أبى كريمة وهو ضعيف.

(٤٧٨) **صحيح** : متفق عليه أخرجه البخارى (٦/٣٢٨) ومسلم (٨/٢٢).

(٤٧٩) ارجو **أنه حسن** أخرجه الترمذى (٢٦٨٨) وقال حسن غريب.

(٣٦) باب ما جاء أن أهل الجنة لا ينامون

٥٣٩- **ذكر البزار فى مسنده** عن جابر بن عبد الله قال : قيل يا رسول الله : « أينام أهل الجنة ؟ قال : لا ، النوم أخو الموت[٤٨٠] . زاد أبو الحسن الدار قطنى « والجنة لا موت فيها » ذكره من حديث جابر أيضا .

(٣٧) باب ما جاء فى زيارة أهل الجنة ربهم

٥٤٠- **ذكر الترمذى** عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله - ﷺ - أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون رَبَّهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من يافوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دَنِي على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل [إلّا] حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل فيهم : يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى

(٤٨٠) **صحيح** : قال الهيثمى (١٨/١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ورجاله رجال الصحيح - قلت وأخرجه البيهقى فى البعث ص ٢٣٧.

الدنيا فيقول : يارب أفلم تغفر لى ؟ فيقول بلى فبسعة مغفرتى بلغت بك منزلتك هذه [فبينا] هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما [اشتهيتم] فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة [فيه] ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُبَاعُ فيها ولا يُشْتَرى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضُهُم بعضاً قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دَنِيٌّ فَيَرُوعُه ما يرى عليه من اللباس [فما] ينقضى آخر حديثه [حَتّى] يتخيل [عليه] ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ : مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن [لك] من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول : إنا جالسنا اليوم رَبَّنَا الجَبَّار جَلّ جَلالُه [وَيَحِقُّ لَنَا] أن ننقلب بمثل ما انقلبنا(٤٨١) .

---

(٤٨١) **صحيح** · أخرجه مسلم (١٧٠/١٧) والترمذى (٢٦٧٣) وابن ماجة (٤٣٣٦) والدارمى (٣٣٨/٢) والبيهقى فى « البعث والنشور » (ص ٢٠٤).

(٣٨) باب

٥٤١- **وذكر الترمذى** من حديث صهيب عن النبى - ﷺ - فى قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس /٢٦] قال : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ نادى مُنَادٍ : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، قالوا : ألم يُبَيِّضُ وجوهَنَا ؟ أَلَمْ يُنَجِّنا من النار ؟! ألم يدخلنا الجنة ؟! قالوا : بلى ، فَيَكْشَفُ الحجابُ فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه(٤٨٢) .

(٣٩) باب ما جاء أن فى الجنة سوقاً

٥٤٢- **ذكر مسلم** من حديث أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم ويزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا »(٤٨٣) .

وأنشدوا :

لمن ظل بجنات الخلود يرد حراً بقاس العميد .
برد من الصبا ما كان غضا ويطلع فوقه نجم الصعود .
ويجمع قاضيات للأمانى شردن عليك أيام الشرود .

---

(٤٨٢) **صحيح** : أخرجه الترمذى وكان من الأليق عزوه إلى مسلم فقد أخرجه فى كتاب « الإيمان » من « صحيحه » (١٨١) والبغوى (١٥/٣٢٠).

(٤٨٣) **صحيح** . أخرجه مسلم (١٧/١٧٠) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال : فذكره

وزد ما شئت من أمل بعيد فقد أُسعِفت بالأمل البعيد .
لمن تلك القصور مشيدات وليس كما عهدت من المشيد .
قصور ما قصور ما قصور تريك عجائب الملك الحميد .
ذهبتَ لوصفها فعجزت عنه كعجز الماء يذهب للصعود .
لمن تلك القباب مكللات يصيب العيش وَالعمر المديد .
أمان من تصاريف الليالى وياسعاد جديد فى جديد .
ملين بكل قاصرة لغوب تلألأ فوق مطلعها السعيد .
كأن الحسن خص به رواها فليس على رواها من مزيد .
تماشى من شداها فى رياض وتخطو من سناها فى برود .
يحار الطرف إن ينظر إليها ويشخص فى خدودٍ أو قدود .
عجبتُ لها وَلِى تدنو وأتأنَّى وتدعونى وأعرض فى صدود .
وما هذاكم إلا لأنى نزلت بهمتى تحت الصعيد .
وأعظم حسرة من ذاك جهلى بخالقها وجهلى بالوعيد .
ولو أنى استضأت بنور علم يوقفنى على الرأى السديد .
لآثرت الإله ولم ألاحظ سواه من طريفٍ أو تليد .
ولكنى وردتُ حِياض دنيا شرعت بهن فى ماء صديد .
على علم وردتُ بسوء رأيى وجهلى بالمقاصد والقصود .
فمن لى والمنا حُلوٌ جناها ومَهلها شَهِيٌّ للورود .
بعلم مؤيد [فطِنٍ] لبيب وتوبة حازم جلدٍ شديد .
تريه البدرَ فى ظُلَم الدياجى وتنهضه بأثقال العهود .
لعل عوارف الرحمن تصفو بذاك على سؤال مستريد .
فتورده موارد صافيات فطَعِم المسك بالعذب البَرُود .
وإلا صُبَّ فى مهوىً عميقٍ ودُحرج من ذُرى طَود بعيد .

حشر ٨١ – ١٠٥

(٤٠) باب من صفة النار وصفة أهلها
وما أعد الله لهم فيها

قال تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ [النساء /٥٦] ، ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخِياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ [الأعراف / ٤٠ ، ٤١] ، ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكُفُّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ [الأنبياء /٣٩] ، ﴿ فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثياب من نار تصب من فوق رؤسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ [الحج / ١٩ - ٢٣] ، ﴿ تلفح وجوهَهم النارُ وهم فيها كالحون ﴾ [المؤمنون / ١٠٤] ، ﴿ أولئك الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ [غافر / ٧٢] ، ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نُعَمِّرْكُم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ [فاطر / ٣٦ ، ٣٧] ، ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ [الدّخان / ٤٣ - ٤٨] ، ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سَموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ﴾ [الواقعة / ٤١ - ٤٤] ، ﴿ خذوه فغُلُّوه ثم الجحيم صَلُّوه ثم فى

سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يَحُضُّ على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [الحاقة / ٣٠ - ٣٧] ، ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ [المزّمّل / ١١ ، ١٢] ، ﴿ إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بَرْدَاً ولا شرابا إلا حميما وغَسَّاقا جزاءً وِفَاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كِذَّابا وكلَّ شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ [النبأ / ٢١ - ٣٠] ، ﴿ هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حاميةً تُسْقَى من عَيْن آنيةٍ ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يُسمِن ولا يُغْنى من جوع ﴾ [الغاشية / ١ - ٧] .

٥٤٣- **وذكر الترمذى** من حديث أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : « لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها قال : فجاءها فنظر إليها وإلى ما أَعَدّ الله لأهلها فيها قال : فرجعي إليه [قالَ : فَوَعِزّتك] لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها فَأَمَر بِها فحُفَّت بالمكاره فقال : ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها قال : فرجع إليها فإذا هى قد حُفّت بالمكاره فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحدٌ . قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هى يركب بعضُها بعضا فرجع إإليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أَحَدٌ فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات فقال : ارجع إليها فرجع إليها ﴿ فإذا هى قد حفت بالشهوات فرجع إليه ﴾ فقالِ : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أَحَدٌ إلا دخلها »[٤٨٤] .

٥٤٤- **وذكر مسلم** من حديث شقيق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يؤتى بجهنم يومئذ ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »[٤٨٥] .

---

(٤٨٤)**صحيح** - أخرجه البخارى (٣٢٠/١١) ومسلم (١٦٥/١٧).

(٤٨٥) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٧٩/١٧) والترمذى (٢٦٩٨ تحفة).

٥٤٥- **ومن حديث مسلم** أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « ناركم هذه التى يُوقِدُ ابنُ آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلُّها مثل حرها »[٤٨٦] .

٥٤٦- **وذكر سفيان** بن عيينه من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة »[٤٨٧] .

٥٤٧- **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « أوقِد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة »[٤٨٨] .

٥٤٨- **ومن حديث مسلم** عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « كنا مع رسول الله - ﷺ - إذ سمع وجبةً فقال النبى - ﷺ - : تدرون ما هذا ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار ، الآن حين انتهى إلى قعرها »[٤٨٩] .

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على [أهل] الجنة وبينهم وبينهم حجاب فينادى أصحابُ الجنة أصحاب النار ﴿ أنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم : ﴿ أن أفيضوا علينا من

---

(٤٨٦) **صحيح** ، **أخرجه مسلم** (١٧٩/١٧) والترمذى (٢٧١٥ تحفة).

(٤٨٧) **صحيح** . أخرجه الإمام مالك (٩٩٤/٢) والبخارى (٣٣٠/٦).

(٤٨٨) **ضعيف بهذا الإسناد** أخرجه الترمذى (٢٧١٧ - تحفة) من طريق يحيى بن بكير أخبرنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال الترمذى وحديث أبى هريرة هذا موقوف أصح ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبى بكير عن شريك ا هـ.

(٤٨٩) **صحيح** . أخرجه مسلم فى الصحيح (١٧٩/١٧) والبغوى (٢٥٣/١٥).

الماء أو مما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار[490] .
قال بعض [المفسرين] (!) هو معنى قول الله تعالى : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ [السّجدة / ٢٠] .

ولعلك تقول وكيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة ؟ أو كيف يسمع بعضهم كلام بعض ؟ وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك : لا تقل هذا فإن الله تعالى يُقَوِّى أبصارَهم وأسماعَهم حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا ، وهذا قريب فى القدرة جدا ، وإذا تأملته وجدته .

٥٤٩- **وذكر الترمذى** من حديث ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قرأ هذه الآية : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران / ١٠٢] قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن قطرة من الزقّوم مطرت فى الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه »[491] .

٥٥٠- **ومن حديثه** أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت إلى الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليلَ والنهارَ قبل أن تبلغ أصلها أو قال قعرها »[492] .

٥٥١- **ومن حديث قاسم بن أصبغ** عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله

---

(٤٩٠) السيوطى فى « الدر المنثور » (٣/ ٦٠ - ١٥٨) والبيهقى فى « البعث » .ص ٢٧٧

(٤٩١) **صحيح** - أخرجه الترمذى (٢٧١١ تحفة) وقال حسن صحيح وأحمد (١/ ٣٠٠) وابن حبان (٢٦١١ موارد) والبغوى (١٥/ ٢٤٦)

(٤٩٢) **ضعيف** - وهو فى « جامع الترمذى » وفيه سعيد بن زيد وهو صدوق له أوهام عن أبى السمح وقد عرفت حاله

– ﷺ – قال : « لو أن دَلوا من غِسْلين يُهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا »(٤٩٣) .

– وبهذا الإسناد عن رسول الله – ﷺ – قال : « ويل وادٍ فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفًا ، ثم يهوى كذلك أبدا » .

– قال قاسم بن أصبغ – وبهذا الإسناد عن رسول الله – ﷺ – قال : « لو أن مقمعاً من حديد وضع فى الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض » .

٥٥٢– **وبهذا الإسناد** عن النبى – ﷺ – قال : « قال لو ضرب بمقمع من حديد الجبلَ لَتفتَّتَ غباراً »(٤٩٤) .

٥٥٣– **وذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « يَخرج عُنُقٌ من النار يوم القيامة [له] عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إنى وكلت [بثلاثة] بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمُصَوِّرين »(٤٩٥) .

٥٥٤– **وذكر من حديث أبى سعيد الخدرى** عن النبى – ﷺ – قال : ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ [المؤمنون / ١٠٤] قال : « تشويه النار فتقلص شفَتُه العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سُرَّته »(٤٩٦) .

وذكر من حديث أبى أمامة عن النبى – ﷺ – فى قوله : ﴿ يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ [إبراهيم /١٦ ، ١٧] قال : « يُقَرَّب

---

(٤٩٣) **ضعيف** – أخرجه الترمذى (٢٧١٠ تحفة) وفيه دراج عن أبى الهيثم وقبله فيه رشدين بن سعد ورشدين فيه مقال والخبر فى ضعيف الجامع (٤٨٠٦).

(٤٩٤) **ضعيف** . قال الهيثمى رحمه الله فى « المجمع » (٣٩١/١٠) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعفاء قد وثقوا ... ا.هـ.

(٤٩٥) **صحيح** – وهو فى جامع الترمذى (٢٧٠٠) وقال : حسن صحيح غريب وهو فى « المشكاة » (٤٥٠٢) وقال فى « المجمع » (٣٩٥/١٠) رواه البزار وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه والطبرانى فى الأوسط وأحد إسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح ا.هـ.

(٤٩٦) **ضعيف** . أخرجه الترمذى (٢٧١٣ تحفة) عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى – ﷺ – قال : فذكره .

إلى فِيه فيكرهه فإذا أُدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل : ﴿ وسُقوا ماءً حميماً فقطع أمْعَاءَهُم ﴾ [محمد - ﷺ - / ١٥] ويقول : ﴿ وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ﴾ [الكهف / ٢٩] الآية(٤٩٧) .

٥٥٥- **وذكر من حديث أبى هريرة** عن النبى - ﷺ - قال : « إن الحميم ليُصَب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يَمْرُق من قدميه وهو الصَّهْر ثم يُعَاد كما كان »(٤٩٨) .

٥٥٦- **وذكر مسلم** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « رأيت عمرو بن لحى بن قمعه بن جندب أخا بنى كعب هؤلاء يَجُر قَصَبه فى النار » وقد تقدم والقصب : الأمعاء(٤٩٩) .

٥٥٧- **ومن حديث مسلم** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط ؟ فيقول : لا والله يارب . ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مَرَّ بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط »(٥٠٠) .

٥٥٨- **وذكر البزار فى مسنده** عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم »(٥٠١) .

---

(٤٩٧) **حسن** * هو فى « سنن الترمذى » (٢٧٠٩ تحفة) .

(٤٩٨) **ضعيف** - أخرجه الترمذى (٢٧٠٨) وأورده المنذرى (٢٢٨/٤) وعزاه للترمذى والبيهقى .

(٤٩٩) **صحيح** - أخرجه مسلم (١٨٨/١٧ - ١٨٩ نووى) .

(٥٠٠) **صحيح** - وهو فى صحيح مسلم والبغوى (٢٤٢/١٥)

(٥٠١) **ضعيف** * أورده الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٣٩٤/١٠) وقال رواه أبو يعلى عن شيخه إسحق ولم ينسبه فإن كان ابن راهوية فرجاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه ا.هـ.

٥٥٩- **ومن حديث مسلم** عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ضِرْس الكافر مثل أُحُد وغِلَظُ جلده مسيرة ثلاث »(٥٠٢) .

٥٦٠- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث أبي هريرة رفعه قال : « ما بين مِنْكَبي الكافر في النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع »(٥٠٣) .

٥٦١- **وذكر الترمذي** من حديث أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال : « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة »(٥٠٤) .

٥٦٢- **وروى الترمذي** من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يُسمِن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غُصَّة فيذكرون أنهم كانوا يُجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا : بلى قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال . قال : فيقولون : ادعوا مالكاً ، فيقولون : يا مالك ليقضِ علينا ربك . قال : فيجيبهم : إنكم ماكثون ؟

قال سليمان بن مهران الأعمش [نُبِّئْتُ] أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال : فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون

---

(٥٠٢) **صحيح** : أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧/١٨٦ نووى) والبغوى (١٥/٢٤٩).

(٥٠٣) **صحيح متفق عليه**. أخرجه البخارى (١١/٤١٥) ومسلم (١٧/١٨٦ نووى) والبغوى فى « شرح السنة » (١٥/٢٥٠).

(٥٠٤) - **حسن** - وهو فى جامع الترمذى (٢٧٠٣- تحفة) واستغربه وقال المنذرى بعد إيراده قال الترمذى حديث حسن غريب صحيح (ا) وأخرجه الحاكم (٤/٥٩٥) وابن حبان فى صحيحه (٩/٢٨٤) والديلمى فى « الفردوس » (٣٨٨٢).

قال . فيجيبهم : اخسئوا فيها ولا تُكَلِّمون . قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل »(٥٠٥) .

٥٦٣- **وعن ابن عمر** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الكافر ليُسحب لسانه الفرسخ والفرسخين [يتوّطأهُ] الناسُ »(٥٠٦) .

٥٦٤- **ويروى عن أنس بن مالك** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون فى النار الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى تصير فى خدودهم كأمثال الجداول ولو أجريت فيها السفن لجرت » ذكره الترمذى وغيره(٥٠٧) .

٥٦٥- **وذكر مسلم** عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال : « يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تُشرك - أحسبه قال ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك »(٥٠٨) .

٥٦٦- **وذكر البخارى** عن أنس عن النبى - ﷺ - قال : « يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن لك ما فى الأرض من شىء أكنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك »(٥٠٩) .

---

(٥٠٥) **ضعيف** « وهو فى « جامع الترمذى » (٢٧١٢ تحفة) مرفوعاً قال الترمذى قال عبدالله بن عبدالرحمن (يعنى شيخه) والناس لا يرفعون هذا الحديث . وإنما روى عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله وليس بمرفوع ... ا.هـ وهو فى « ضعف الجامع » (٦٤٦١) .

(٦٠٦) **ضعيف** * أخرجه الترمذى (٢٧٠٥ تحفة) وقال هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه . « ...» وأبو المخارق ليس بمعروف ا.هـ وأورده المنذرى فى الترغيب (٢٣٧/٤) وهو فى « ضعيف الجامع ».

(٥٠٧) **الإسناد فيه مقال والحديث حسن إن شاء الله** أخرجه ابن ماجة بلفظ المصنف بإسناد فيه يزيد الرقاشى وهو ضعيف وأخرجه الحاكم (٦٠٥/٤) والأخدود هو الشق العظيم فى الأرض « منذرى ٢٤٢/٤ »

(٥٠٨) **صحيح** . متفق عليه أخرجه البخارى (٣٦٧/١١) ومسلم (٢٨٠٥)

(٥٠٩) **صحيح متفق عليه** أخرجه البخارى فى « الرقاق » ومسلم فى « صفات المنافقين ».

٥٦٧- **ويروى** من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم - فنفختهم نفخة لم تترك لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب »[٥١٠] .

---

(٥١٠) لم أقف عليه فليحرر والله تعالى أعلم.

(٤١) باب ذكر أهون أهل النار عذاباً

٥٦٨- **ذكر مسلم** عن العباس أنه قال : « يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال نعم هو فى ضَحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار »(٥١١) .

٥٦٩- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث عبد الله بن الحارث قال : سمعت العباس يقول : « قلت يا رسول الله : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح »(٥١٢) .

٥٧٠- **وذكر مسلم** عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشِراكَا[ن] من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المِرْجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً »(٥١٣) .

٥٧١- **وعن أبى سعيد الخدرى** أن رسول الله - ﷺ - ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغُه »(٥١٤) .

---

(٥١١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٨٤/٣ النووى).

(٥١٢) **صحيح** ، وهو عند مسلم (٨٤/٣)

● أما الضحضاح : فهو بضادين معجمتين مفتوحتين والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير فى النار، وأما الغمرات فبفتح الغين والميم واحدتها غمرة بإسكان الميم وهى المعظم من الشيء ا.هـ نووى رحمه الله.

(٥١٣) **صحيح** : وهو فى صحيح مسلم (٨٥/٣ - ٨٦ - نووى).

(٥١٤) **صحيح متفق عليه** البخارى (٤١٦/١١) ومسلم (٨٥/٣).

٥٧٢- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال : « أهون الناس عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه »[٥١٥] .

٥٧٣- **وذكر مسلم أيضاً** من حديث النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لَرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه »[٥١٦] .

---

(٥١٥) صحيح وهو فى صحيح مسلم (٣/٨٥ - نووى).

(٥١٦) صحيح - أخرجه مسلم (٣/٨٥ - ٨٦ نووى)

(٤٢) باب ذِكر : مَنْ أشد الناس عذابا

٥٧٤- **ذكر قاسم بن اصبغ** من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة رجلٍ قتل نبياً أو قتله نبى أو مُصَوِّر يصور التماثيل »(٥١٧) .

(٤٣) باب أخذ النار من المعذَّبين على قدر أعمالهم

٥٧٥- **ذكر مسلم** من حديث سمرة بن جندب أنه سمع النبى - ﷺ - يقول : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حُجزتِه ومنهم من تأخذه إلى عنقه »(٥١٨) .

٥٧٦- **وعنه** قال : قال رسول الله - ﷺ - : « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزتِه ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْقوته »(٥١٩) .

٥٧٧- **وذكر البزار** من حديث أبى سعيد عن النبى - ﷺ - : « إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى صدره مع أجزاء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى ترقوته مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد انغمس فيها »(٥٢٠) .

---

(٥١٧) **صحيح متفق عليه** البخارى (٣٧٢/٧) ومسلم (١٧٩٣)

(٥١٨) **صحيح** . أخرجه أحمد (١٠١/٥) ومسلم (١٨٠/١٧).

(٥١٩) **صحيح** . وهو فى صحيح مسلم (١٨٠/١٧ نووى).

(٥٢٠) **صحيح** : أخرجه مسلم كما مرّ بك وأخرجه بتمامه البزار على ما فى « مجمع الزوائد (٢٩٨/١٠) قال : « ورجاله رجال الصحيح » ا هـ.

(٤٤) باب ذكر الخلود

٥٧٨– **ذكر الترمذى** من حديث أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال : « يجمع الله الناسَ يوم القيامة فى صَعيدٍ واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون . فيمثل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ماكانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك ، الله رُبنا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم يتوارى ثم يطلع فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك ، نعوذ بالله منك ، الله ربنا هذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو القمر ليلة البدر قالوا : لا يا رسول الله قال فإنكم لا تضارون فى رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى ثم يطلع فيعّرفهم نفسَه ثم يقول : أنا ربكم فاتبعونى فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فيمر عليه مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه : سَلِّم سلم ، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ثم يقال : ﴿ هل امتلأتِ فتقول : هل من مزيد ﴾ ثم يطرح فوج فيقال : ﴿ هل امتلأت فتقول هل من مزيد ﴾ حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضُها إلى بعض ثم قالت قط قط فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال : يا أهل الجنة فيَطَّلِعون خائفين ثم يقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هذا الموت الذى وكل

بنا . فيضجَع فيُذْبَح ذبحاً على السور ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت »[٥٢١] .

٥٧٩- **وذكر هناد بن السرى** من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يُؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا هذا الموت ، فيؤمَر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما : خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً »[٥٢٢] .

٥٨٠- **وذكر مسلم** من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، قال ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيُذبَح قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت . ثم قرأ رسول الله - ﷺ - : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا »[٥٢٣] .

٥٨١- **وذكر مسلم** من حديث نافع أن عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « يُدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخلُ أهل النار النار ثم يُؤذِّن مؤذِّن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه »[٥٢٤] .

---

(٥٢١) صحيح ، وهو أشهر من أن يعرف : البخارى ، مسلم وغيرهم.

(٥٢٢) صحيح : متفق عليه البخارى (٤٢٨/٨) ومسلم (٢٨٤٩).

(٥٢٣) صحيح ، أخرجه مسلم (١٨٤/١٧- نووى).

(٥٢٤) صحيح ، أخرجه مسلم فى صحيحه (١٨٥/١٧ ، ١٨٦).

٥٨٢- **وذكر أيضاً** من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أُتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى منادٍ : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت . فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم »(٥٢٥) .

٥٨٣- **وذكر الترمذى** من حديث أبى سعيد رفعه قال : « إذا كان يوم القيامة أُتِى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار »(٥٢٦) .

٥٨٤- **وذكر البزار** من حديث أبى سعيد أن رسول الله - ﷺ - قال : « من كتب عليه الخلود لم يخرج منها يعنى من النار »(٥٢٧) .

وأنشدوا :

أما سمعتَ بأهل النار فى النار وعن مقاساتِ ما يَلقون فى النار .
أما سمعت بأكباد لهم صُدِعتْ خوفاً من النار فانذابت على النار .

---

(٥٢٥) **صحيح** : أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧/١٨٦ نووى).

(٥٢٦) **صحيح بمتابعاته** . وهو فى « جامع الترمذى » راجع كلام ابن العربى القاضى رحمه الله فى عارضة الأحوذى. وكلام المباركفورى فى التحفة (٧/٢٧٨ ، ٢٧٩).

(٥٢٧) خبر أبى سعيد أن رسول الله - ﷺ - قال : من كتب عليه الخلود لم يخرج منها (يعنى النار) (ا) جهدت - ما علم ربى تقدست أسماؤه - فلم أقع له على عين ولا أثر (ا) وفى الجملة فإنه يشهد له ما قبله من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة فى شأن الخلود والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم وهو جل شأنه حسبنا ونعم الوكيل وهو تعالى ذكره من وراء القصد « رَبّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، رَبّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، وأعف عنا وأغفر لنا وأرحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

قاله بلسانه ، وقيَّده ببنانه
راجى عفو رَبّه الغفور
عبيدالله أبو عبدالرحمن المصرى الأثرى
عامله الله بلطفه الخفى

أما سمعت بأغلال لهم تناط بهم فيسحبون سحباً على النار .
أما سمعت بضيقٍ فى مجالهم وفى القرار ولا قرار فى النار .
أما سمعت بأنفاس لهم حُبست عن التنفس من حرارةِ النار .
أما سمعت بأجساد لهم نضجت من العذاب ومن غلى على النار .
أما سمعت بما يكلفون به من ارتقاءِ جبال النار فى النار .
حتى إذا ما علوا على شواهقها صبُّوا بعنف إلى أسافل النار .
أما سمعت بزقّوم يسوغه ماء صديد ولا تسويغ فى النار .
يسقون منه كؤوساً مُلِئتْ سُقماً ترمى بامعائهم رمياً على النار .
يشوى الوجوهَ وجوهاً ألبست ظُلماً يبس الشراب شراب ساكن النار
ولا ينامون إن طاف المنام بهم ولا منام لأهل النار فى النار .
إن يستقيلوا فلا تقال عثرتُهم أو يستغيثوا فلا غياث فى النار .
وإن أرادوا خروجاً رُدَّ خارجُهم بمقمع النار مدحوراً إلى النار.
فهم إلى النار يُدْفَعون بالنار وهم من النار يهربون للنار .
ما إن تخَفَّف عنهم من عذابهم لا يفتر عنهم سورة النار .
وهذه صدعت أكباد سامعها من ذى الحِجا وهى التخليد فى النار.
ولو يكون إلى وقت عذابهم فى النار هون ذاكم لفحة النار .
فيا إلهى ومن أحكائيه سبقت فى الفرقتين من الجنات والنار .
رحماك يارب فى ضعفى وفى ضعتى فما وجودك لى صبر على النار .
ولا على حر شمس إن برزت لها فكيف أصبر يا مولاى للنار .
فإن تغمدنى عفو وثقتُ به منكم وإلا فإنى طعمة النار .

ونحن نستعيذ بالله من عذابه الذى لا يقوم له جميع الوجود فكيف الحشرات منه والدود ، ومن غَصَّه الذى لا يُستطَاع سمعُه فكيف نزوله ووقعه ، ونسأله رحمته التى نتفلت عنها بأفعالنا ونتباعد عنها بقبيح أعمالنا ، بمنه وطوله لا رب غيره ولا معبود سواه ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه

وسلم تسليماً وشرف وكرم عدد ما ذكره الذاكرون وقد [ر ما] غفل عنه الغافلون ، والحمد لله رب العالمين .

كمل نسخاً والحمد لله حق حمده وصلى الله على النبى المصطفى محمد عبده ورسوله ، وذلك ليلة الخميس الحادى عشر من شهر شوال فى سنة ثمانى وأربعون وستمائة بمدينة تونس قدرها الله على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه القائل بأن لا إله إلا الله ولا معبود سواه محمد بن موسى بن مسبح المحلاوى بن الخزرجى ثم القرطى الراغب فى بركة دعاء قارئه أن يغفر الله له ولمؤلفه وقارئه ومسمعه، وصلى الله على محمد وسلم .

(١) موضوعات الكتاب وأبوابه [حسب تقسيم المصنف]

الفهارس

(٢) فهارس الأحاديث المرفوعة فقط

حسب إيراد المصنف رحمه الله

فهارس أحاديث الكتاب ، حسب ترتيب المصنف

رقم الإيداع :

دار الصحابة للتراث بطنطا

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

ت: ٣٣١٥٨٧ ص ب ٤٧٧